جامعة مؤتة
عمادة الدّراسات العُليا

التأييد والتثبيت في القرآن الكريم، دراسة موضوعية.

إعداد الطالب
محمد جمال فلاح الخرشة

إشراف
الدكتور طالب الصرايرة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العُليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلومه/ قسم أصول الدين

جامعة مؤتة، 2013 م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب محمد جمال الخرشة الموسومة بـــ:

التأييد والتثبيت في القرآن الكريم، دراسة موضوعية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **أصول الدين.**

القسم: أصول الدين.

	التوقيع	التاريخ	
د. طالب محمد الصرايرة		2013/7/1	مشرفاً ورئيساً
أ.د. نايل ممدوح أبو زيد		2013/7/1	عضواً
أ.د. امين محمد البطوش		2013/7/1	عضواً
أ.د. محمد علي الزغول		2013/7/1	عضواً

عميد الدراسات العلـــيا

أ.د. عبدالفتاح خليفات

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى المعلم الأول، الهادي البشير النذير، النبي الأمي الكريم

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

إلى الحضن الدافئ والقلب الطاهر الذي عرفته...أمي الحنونة

إلى قدوتي، وقرة عيني وطريقي إلى رضا ربي... أبي الحبيب

إلى إخوتي حفظهم الله، الذين لطالما وقفوا إلى جانبي، إلى كل المحبين والمخلصين لكتاب الله سبحانه - جلَّا في علاه - إلى أقصانا الأسير، فك الله أسره، ورزقنا الله فيه صلاة بعد التحرير، إلى أهلنا المرابطين على أرض فلسطين إلى كل مسلم مُجاهد عامل على تمكين دين الله تعالى في الأرض

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

محمّد جمال فلاح الخرشة.

الشّكر والتّقدير

قال تعـــالى: M z { | } ~ وَمَن ¢ £ ¤ ¥ ¦ L [النمـــل:40].

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم، أو ساعد في هذا البحـــث، أو أســـدى إلـــي نصيحة، أو توجيهاً.

وأخص بالذّكر الأستاذ الكريم المشرف على هذه الرسالة، الدكتور: طالـــب الصرايرة، الذي منحني من جهده ووقته الكثير، وجاد عليّ بنصائحه النافعة؛ فاسأل الله عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والتقدير للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الـــدكتور: أمين البطوش والأستاذ الدكتور: نايل أبو زيد والأستاذ الدكتور: محمـــد الزغـــول، وذلك لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، لثرائها بتوجيهاتهم النافعة.

وكما أتوجه بالشكر والعرفان لجامعة مؤتة والقائمين عليها عامّـــة، وقـــسم أصول الدين خاصة، ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلـــى زملائـــي الطـــلاب الـــذين رافقوني في دراستي، وقدموا لي النصح والإرشاد، وإلى كل من ساهم في إخـــراج هذا الجهد المتواضع ، فجزاهم الله عني خير الجزاء

محمّد جمال فلاح الخرشة.

قائمة المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
الشّكر والتّقدير	ب
قائمة المحتويات	ج
قائمة الملاحق	هـ
الملخّص باللغة العربية	و
الملخّص باللغة الإنجليزية	ز
المقدمة.	1
الفصل الأول: التأييد والتثبيت في اللغة والاصطلاح وأهميتهما	7
1.1 التأييد والتثبيت في اللغة والاصطلاح	7
2.1 العلاقة بين (التأييد والتثبيت) والصبر	14
3.1 الألفاظ القريبة الدلالة للفظتي التأييد والتثبيت	22
الفصل الثاني: التأييد والتثبيت في القرآن الكريم وشروطهما	40
1.2 مصدر التأييد والتثبيت في القرآن الكريم	40
2.2 شروط التأييد والتثبيت الإلهيين	49
الفصل الثالث: تأييد الله تعالى وتثبيته لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام	92
1.3 تأييد الله وتثبيته لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام	94
2.3 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه إبراهيم عليه الصلاة السلام	101
3.3 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام	110
4.3 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه عيسى عليه الصلاة والسلام	124
الفصل الرابع: تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين	133
1.4 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه في مكة	133

2.4 نماذج لتأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين في العهد المدني 140
1.2.4 غزوة بدر 141
2.2.4 غزوة أحد 149
3.2.4 غزوة الخندق 156
4.2.4 غزوة حنين 161
الخاتمة 168
المراجع 170
الملاحق 184

قائمة الملاحق

رمز الملحق	عنوانه	الصفحة
أ	فهرس الآيات القرآنية	184
ب	فهرس الأحاديث النبوية	212
ج	فهرس الأعلام	216
د	فهرس الأبيات الشعرية	219

الملخّص

التأييد والتّثبيت في القرآن الكريم، دراسة موضوعيِّة.

محمّد جمال فلاح الخرشة.

جامعة مؤتة 2013/2012م.

جاءت هذه الدّراسة تستهدفُ الكشفَ عن مواضع وأشكال التّأييد والتّثبيت في القرآن الكريم، ودراستها دراسة موضوعية في ضوء آراء علماء التفسير.

وانقسمتْ هذه الدّراسةُ في أربعة فصول وخاتمة، وصُدِّرتْ بمقدّمة، أمّا الفصل الأول، فكان الحديث فيه عن التأييد والتثبيت لغةً واصطلاحاً، والفرق بين التأييد والتّثبيت والصبر، والحديث عن الألفاظ قريبة الدلالة للفظتي التّأييد والتّثبيت، وعلاقة كل منهما بالأخر، وتناول الفصل الثّاني التأييد والتثبيت في القرآن الكريم وشروطهما ثم الحديث عن مصدرهما في القرآن الكريم، أمّا الفصل الثّالث، فقد تناول تأييد الله تعالى وتثبيته لأولي العزم من الرسل، وتناول الفصل الرّابع تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ثمّ جاءت الخاتمة متضمّنة أهمَّ النّتائجِ التي توصّلت إليها الدّراسة.

أمّا منهجُ الدّراسة، فهو المنهج الاستقرائي التّحليلي القائم على رصد الآيات القرآنيّة التي لها صلة بموضوع الدراسة من كتب التّفسير، وأفادت الدّراسة أيضاً من المنهج الوصفي، في وصف بعض مظاهر التأييد والتّثبيت، وتفسيرها.

وقد أفادت الدّراسة من عددٍ كبيرٍ من كتب التّفسير، والمعاجم العربيّة، قديمها وحديثها.

Abstract

And installation support in the Koran, an objective study.

Mohammed Jamal Falah Al-Khresheh

Muta University 2012/2013 AD.

This study was designed to detect positions and forms of support and installation of verses in the Koran, and studied in the light of the views of objective interpretation of scientists.

And divided the study into four chapters and a conclusion, and exported an introduction, Chapter I, annexation as a prelude to the subject, and recently expressed support and installation language and idiomatically, the difference between support and installation and patience, and talk about the words close to the significance of the Fezta support and installation, and the relationship of each other, and the second chapter support The installation in the Koran and their conditions then talk about in the Holy Quran, Chapter III, has dealt with the support of God and install it for a preliminary determination of the Apostles, and eat the fourth quarter to support God and install the Prophet Muhammad peace be upon him and the faithful, and then came the finale, including the most important results The study's findings.

The methodology of the study, it is the inductive analytical approach based on the monitoring of the Quranic verses that are relevant to the subject of study of the books of interpretation, the study also reported from Applied descriptive approach, in the description of some verses that have Bmvohma relationship support and installation, and interpretation.

The study reported a large number of books interpretation, and Arabic dictionaries, books old and new.

المقدمة.

الحمد لله القائل في كتابه الكريم:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L [الأنفال:26]... وقولـــه:M = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q L [إبراهيم:27].

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبـــده ورســـوله... اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعدُ:

فخير ما بُذلت فيه الأوقات وصُرّفت إليه الاهتمامات ووجّهت إليـــه الأنظـــار وأشار إليه البنان هو كتاب الله -عز وجل- الـــذيM c d e f g h i j k l m n o p q L.[فصلت:42] .

فهو مصدر انتصاراتنا، وضمان عزّتنا، وأمان سعادتنا، من قال به صـــدق، ومن حكم به عدل، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة ردّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركـــه مـــن جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتـــين وهـــو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي من عمل به أجر، ومـــن حكـــم بـــه عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط المستقيم، وفوق كل ذلك هو كتاب الهداية التي ليست في سواه، حبل الله المتين الذي من استمسك به كفاه الله تعالى وأيّـــده وثبـــت قدميه .

فهذه خطة بحث لنيل درجة الماجستير، من جامعة مؤتة، قـــسم أصـــول الـــدين بعنوان: "التأييد والتثبيت في القرآن الكريم، دراسة موضوعية".

أبين فيها ما يلي:

1- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع لكونه يتناول آيات تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه - صـــلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، ففي دنيانا كثيرة المعارك يحتـــاج كـــل امـــرئ إلـــى الاطمئنان إلى مصيره؛ فينقسم الناس إلى مؤمن بالله وكافر به؛ فالمؤمنون يلتزمـــون جانب الله والكافرون يتكلون على الأسباب وحدها.

فلما كان الأمر كذلك أراد المؤمنون أن يتثبتوا من صدق موقفهم، وأن الله تعالى ناصرهم، وأنه سبحانه سيؤيدهم ويثبتهم؛ فأنزل هذا في كتابه، وجعله خالدا على مر الدهر؛ ليتذكر الناسي ويستوثق المهتز، ويعود ناقص الإيمان إلى كماله؛ فالحمد لله على كل حال.

كما أننا إذا أردنا بحث أمر من الأمور والوقوف على حقيقته، لجأنا أول ما لجأنا إلى كتاب ربنا، والتمسنا العبرة في أوليائه؛ الذين نصروه فنصرهم، ودعوه فأجابهم؛ من الأنبياء والمرسلين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ومن ثم تبرز واضحة جلية قضية تأييد الله تعالى لأنبيائه المرسلين وعباده المؤمنين وتثبيتهم على الحق؛ إذ هي - كما نعلم - قضية مصيرية، يحتال لها كل منا ما وسعته الحيل.

كما تبرز أهمية موضوع الدراسة من خلال تحليل الآيات العديدة في كتاب الله تعالى حول هذا الموضوع، والوقوف على مدى احتفاء القرآن به. وضرب العبر والأمثال بمن سبق في هذا الإطار الذي يتجدد على مدار عمر كل إنسان مرات عديدة، فلولا أن الأمر ذو بال وخطر ما أعاره كتاب الله - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - هذا الاهتمام البالغ، وما أكد عليه وزاد وأعاد هذا التأكيد مرة بعد أخرى.

2- أسباب الاختيار لهذا الموضوع:

لقد وقع اختياري على هذا الموضوع لعدة أسباب أجملها فيما يلي:

أولا: التقرب إلى الله سبحانه جلا في علاه، ونيل رضاه ومثوبته وغفرانه، وذلك من خلال البحث والنظر، وخدمة الكتاب العزيز، وهو شرف لا يناله إلا كل مؤمن.

ثانيا: عدم وجود دراسة مستوفاة حول هذا الموضوع، حسب المعطيات المتوفرة لدي، إنما هو مبثوث في ثنايا الكتب، فرأيت أن أجمع شتات الموضوع بدراسة وافية مستقلة، تُتيح لكل طالب علم أن يستفيد منها.

ثالثا: الوقوف على أهمية التأييد والتثبيت الإلهيين، وبيان أشكالهما .

رابعاً: رفد الدراسات الموضوعية، والمكتبات بهذا الموضوع المهم، الذي بحاجة الأمة الإسلامية له.

3-أهداف الدراسة:

من خلال ما توّفر لدى الباحث من معلومات عن طبيعة قضية العلاقة بين التأييد والتثبيت من ناحية، وأهمية هذا التأييد والتثبيت للبشر حيث يسعون إليه دائبين من ناحية ثانية، وأن هذين التأييد والتثبيت الإلهيين موكولان لفئة من دون الناس هم المؤمنون فحسب، أصبح الهدف الرئيس للدراسة يكمن فيما يلي:

أولا: ابتغاء مرضات الله تعالى، فهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.

ثانيا: حشد الآيات التي تتناول الموضوع وتدور حوله في كتاب رب العالمين سبحانه، مع تفاسير المفسرين لكل آية والوقوف حيال أقوالهم بتمعن واهتمام.

ثالثا: تحليل هذه الآيات وتلك التفاسير والاجتهادات للوقوف على علاقات الترابط وخيوط الانسجام بينها.

رابعا: استجلاء العوامل المؤثرة في قضية التأييد والتثبيت، واستبعاد غير المؤثرة منها؛ للخلوص إلى المنهج المتكامل الذي يمكن استثماره في حياة كل إنسان أراد تأييد الله تعالى وتثبيته.

خامسا: حشد مزيد من وثوق العلاقة بين الله تعالى وعباده، حينما يسعون إلى تأييده ويتطلعون إلى تثبيته إياهم؛ فيتقربون إليه فيتقرب إليه سبحانه.

4- إشكالية الدراسة:

تكمن الإشكالية التي جاءت عليها هذه الدراسة لمعالجتها في الإجابة عن التساؤلات التالية :

أ - ما هو المقصود بالتأييد والتثبيت لغةً واصطلاحاً وهل هُناك ارتباطُ بين المعنيين؟

ب - ما هي العلاقة بين التأييد والتثبيت والصبر؟

ج - ما هو مصدر التأييد والتثبيت الإلهيين ؟

د - ما هي شروط التأييد والتثبيت الإلهيين ؟

هـ - ما هي أشكال أو مظاهر التأييد والتثبيت الإلهيين؟

وغير ذلك من الأسئلة التي حاولت الإجابة عليها في دراستي هذه، راجياً من المولى عز وجل أن يجعلها في ميزان حسناتي وصحائف أعمالي، إنه سميع قريب مُجيب الدعاء.

5- الدراسات السابقة:

إنّ مادة هذه الدراسة "التأييد والتثبيت في القرآن الكريم" حسب المعطيات المتوفرة لدي، من خلال المنهج الذي سار عليه الباحث، لم يتم بحثها من قبل أحد الباحثين أو الدارسين بشكل علمي مستقل، وإنما وجدت هذا الموضوع مبثوثا في ثنايا الأبحاث وبعض الكتب ومن أهمها:

1- وسائل الثّبات في القرآن والحديث[1].

2- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم[2].

3- الثبات على الحق في ضوء القرآن الكريم[3].

4- تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مُبشرات النصر والتمكين[4].

5- معالم على طريق الصحوة (الثبات) [5].

6- وعود القرآن بالتمكين للإسلام[6].

([1])المناسية، أمين محمد، وسائل الثّبات في القرآن والحديث، دراسات في علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلّد33، العدد1، 2006.

([2])الصلابي، علي محمد، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة، ومكتبة التابعين، عين شمس، 1422هـ/2001م .

([3])الخضيري، عبد العزيز بن عبد الله، الثّبات على الحق في ضوء القرآن الكريم، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلّد1، العدد1، 1429هـ/2008م .

([4])العفّاني، سيّد بن حسين، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مُبشرات النصر والتمكين، دار ماجد عسيري، مصر .

([5])الشريف، محمد موسى، معالم على طريق الصحوة الثبات، ط1، دار الأندلس الجديدة، مصر، 1429هـ/2008م .

([6])الخالدي، صلاح عبد الفتاح، وعود القرآن بالتمكين للإسلام، دار القلم، دمشق،

7- النظم القرآني في آيات الجهاد[1].

8- الجهاد طريق النصر[2].

9- المهذب في عوامل النصر والهزيمة[3].

10- عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين[4].

11- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم[5].

12- النصر والتمكين آت بإذن الله[6].

13- نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وكفايته والدفاع عنه في الكتاب والسنة[7].

6- **منهجية الدراسة:**

اتبع الباحث بعون الله تعالى وتأييده وتثبيته المنهج الاستقرائي التحليلي حسب خطة التفسير الموضوعي، بالإضافة إلى المنهج الوصفي وذلك من خلال النقاط التالية:

1- جمع الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في القصص القرآني والتي لها علاقة بموضوع البحث .

([1])الخنين، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر، النظم القرآني في آيات الجهاد، ط1، دار التوبة، الرياض، 1416هـ/1996م .

([2])غوشه، عبد الله، الجهاد طريق النصر، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الأردن، 1396هـ/1976م .

([3])الشحود، علي بن نايف، المهذب في عوامل النصر والهزيمة، ط1، 1433هـ/20112م.

([4])الشهري، أحمد بن حمدان، عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، ط1، دار القاسم، الرياض، 1425هـ/2004م.

([5])السيّد، محمد يوسف محمد، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، ط1، دار السلام، مصر، 1418هـ/1997م .

([6])الشحود، علي بن نايف، النصر والتمكين آت بإذن الله، ط1، 1433هـ/2012م .

([7])الخضيري، عبد الله بن صالح، نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وكفايته والدفاع عنه في الكتاب والسنة، مكة المكرمة، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى، 1429هـ/2008م .

2- تقسيم الآيات القرآنية التي تُشير إلى موضوع البحث إلـــى مجموعـــات تُمثـــل الفصول والمباحث والمطالب واختيار عنوان لكل مجموعة من الآيات .

3- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم.

4- تفسير الآيات القرآنية من أًمّهات كتب التفاسير مع ربطها بالواقع المعاصر مـــا أمكن .

5-عزو الآيات الكريمة إلى سورها، وبيان أرقامها مع تشكيلها وذلك في متن البحث تجنبا لإثقال الحواشي.

6- ذكر اسم العائلة والمؤلف والكتاب والتحقيق وذكر الطبعة وذكـــر دار النـــشر والمدينة وسنة النشر ورقم الجزء والصفحة بالحاشية واستخدام الرمز (ص) بدلا من كلمة صفحة في حال ورود اسم الكتاب لأول مرة أما في حال تكراره أكتفي فقط بذكر العائلة والكتاب .

7- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وذلك بعزوها إلى مظانها الأصلية، فإن كانـــت في الصحيحين أكتفي بتخريجها منهما أو من أحدهما، وإن لم تكن الأحاديث في الصحيحين، فإني مع عزوها إلى مصادرها أنقل حكم العلماء عليها مـــا أمكـــن مُعتمدا بعد الله على كلام المحققين من أهل الحديث.

8- عند حذف شيء من النص لا يقتضيه المقام فإني أضع مكانه نقاطاً "...".

9- لم ألزم نفسي بترجمة كثير من الأعلام المغمورين؛ وذلك حتى لا يطول المقام؛ إلا ما كان في صميم الدراسة ومتعلق بها.

10- إعداد مجموعة من الفهارس التي تخدم البحث وتُسهل عملية الوصـــول إلـــى المعلومات وهي:

أ - فهرس الآيات القرآنية، حيث رُتبت السور والآيات حسب ورودهـــا فـــي مـــتن الرسالة.

ب - فهرس الأحاديث النبوية.

ج - فهرس الأعلام.

د - فهرس الأبيات الشعرية.

الفصل الأول

التأييد والتثبيت في اللغة والاصطلاح وأهميتهما

1.1 التأييد والتثبيت في اللغة والاصطلاح.

التأييد في اللغة: من (آد يَئِيد أيداً) إذا اشتد وقوي، والتأييد: مصدر أيّدته أي قويّته، قال الله تعالى: M ? @ A L. [المائدة:110]. وقرئ إذا آيدُتك أي قويّتك[1]. تقول من أيدته على فاعلته وهو مؤيد، وتقول من الأيد: أيَّدته تأييداً أي قوّيته، وقيل أيّدك الله، أي: قوّاك الله[2]. وقيل: أيّدهُ: قوته على إلانة الحديد بإذن الله تعالى، وتقويته إياه، وأيده مؤايدة، وأيدّته تأييداَ فهو مؤيد[3].

التثبيت في اللغة: يُقال ثَّبَتَ الشيءُ يثبتُ ثباتاً بالفتح أو ثبُوتاً بالضم فهو ثابتٌ وثبيتُ وثبتٌ، وأثبته هو، وشيء ثبتُ: ثابت. ويقال للجراد إذا رز أذنابه ليبيض ثُبت وأثبت وثّبّت، ويقال: ثبت فُلان في المكان يُثبتُ ثُبوتاَ فهو ثابت أذا أقام به. وأثبته السُّقم إذا لم يفارقه. وثبته عن الأمر كثّبطه، وفرس ثبت ثقف في عدوه، ورجل ثبت الغدر إذا كان ثابتاً في قتالٍ أو كلامٍ، وفي الصحاح: إذا كان لسانه لا يزال عند الخصّومات، وقد ثُبُتَ ثباتةً وثُبوته. وتثبت في الأمر والرأي واستثبت تأنى فيه ولم يعجل واستثبت في أمره إذا شاور وفحص عنه[4]. وقوله عز وجل: M ! "

---

1 - الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات القرآنية، دار سعد الدين، القاهرة، ج2، ص363.

2 - الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، (ت:350هـ)، معجم ديوان العرب، تحقيق: أحمد مختار عمر، دار الشعب للصحافة، القاهرة، 1424هـ/2003م، ج4، ص229.

3 - ابن فارس، أحمد بن زكريا، (ت:395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1 دار الجيل بيروت: 1995م مادته أيّد: ج1، ص163. وابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري،(ت:711هـ)، لسان العرب، ط4، دار صادر، بيروت،2007م، ج1، ص209،210. انظر: المقري، أحمد بن محمد بن علي،(ت:770هـ)، المصباح المنير، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية للنشر،ص22.

4 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،ج1ص399. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، (ت:1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار

$ % & ' ( ) * + , - . /

0 1 2 3 4 5 6 7 ا 9 : ; < = L.[البقرة:

265].قال الزجّاج[1].أي:"ينفقونها مُقرّين بأنها مما يثيب الله ُ عليها"[2].

فمن خلال التعريف اللغوي للفظتي التأييد والتثبيت نجد أنهما يدورا حول معنى التقوية وشد الأزر وشحذ الهمة وإعلاء الكلمة.

التأييد والتثبيت اصطلاحا:

تعددت المعاني اللغوية والاصطلاحية التي تحمل معاني لفظتي التأييد والتثبيت، وقد جاءت هذه المعاني الاصطلاحية أعم من المعاني اللغوية، وُيمكننا القول بأنه هُناك التقاء واضح بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية التي بيّنها المفسرون من خلال تفسير الآيات القرآنية التي وردت فيها اللفظتين.

التأييد اصطلاحا:-

أولا: التأييد بمعنى التقوية والإعانة[3].

الهداية للنشر، ج4،ص472، انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد الصحاح،(ت:393هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد زكريا يوسف، ط4، دار العلم للملايين، بيروت،1990م، ج2ص267، وابن منظور، لسان العرب،ج3 ص6.

1 - الإمام أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد السري الزجاج البغدادي نحوي زمانه، مصنف كتاب (معاني القرآن)، وله تأليف جمة منها (الإنسان وأعضائه)، وكتاب(الفرس)، وكتاب(العروض)، وكتاب(الاشتقاق)، وكتاب(النوادر)، انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت:748هـ)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، ج11، ص222.

2 - الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (ت:311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص347.

3 - انظر: أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، (ت:1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص984. والمناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، دار عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ/1990م، ص89. والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص336. والحرالّي، علي بن أحمد بن حسن، (ت:638هـ)، تراث

هذا معنى مكتسب بلا شك مـن المعنـى اللغـوي لمـصطلح التأييـد، إذ ثمة علاقة قوية كما أسـلفنا بـين التعريـف اللغـوي والتعريـف الاصـطلاحي لمعنى التأييد، فمنه ما وقع لنبي الله عيسى علـى نبينـا وعليـه أفـضل الـصلاة والـسلام، قـال تعـالى:Mوَءَاتَيْنَا عِيسَى ¢ £ ¤ ¥ ¦ § L. [البقـرة: 87]. حيث أيده الله أي قواه[1]. بجبريـل عليـه الـسلام ومنـه مـا أيـد الله بـه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت فقـال ـــ عليـه الـصلاة والسلام: ـــ "إن الله يؤيد حسان بـروح القـدس مـا نـافح عـن رسـول الله"[2]، وهذه حقيقة التأييد بمعنى التقوية والإعانة وإسـناد الإعانـة إلـى جبريـل عليـه السلام[3].

أبي الحسن الحرالّي المراكشي في التفسير، تحقيق: محمد بن عبد السلام الخيـاطي، ط1، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الربـاط، 1418هــ/1997م، ج1، ص238. والشوكاني، محمد بن علي، (ت:1250هـ)، فتح القدير، ط1، دار ابن كثيـر، دار الكلـم الطيب، دمشق، بيروت،1414هــ، ج1، ص129. وابـن عاشـور، محمـد الطـاهر، (ت:1393هـ)، التحريـر والتنـوير، الـدار التونـسية للنـشر، تـونس، 1984هــ، ج23،ص227. الماوردي، علي بن محمد، (ت:450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: الـسيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص375.

1 - الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص129،

2 - الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،(ت:279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمـد محمـد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط2، مكتبـة مـصطفى البـابي الحلبي، مصر، 1395هـ/1975م، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الـشعر، حـديث رقم(2846)، ج5، ص138. من حديث بن أبي الزناد، قال: أبو عيـسى حـديث حـسن صحيح.

3 - الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين،(ت:606هـ)، مفـاتيح الغيـب، ط3، دار أحياء التراث العربي، بيروت،1420هـ، ج3، ص596.

وقـــال تعـــالى:M ! " # $ % & ' ( ) *

+ , - . / 0 1 2 3 4 L

،[الأنفال:26].قال القاسمي: {أيّدكم} "يعني أعانكم وقواكم"[1].

وقوله تعالى: M ! " # $ % & ') * + ,

- . L. [الأنفال:62]. الذي أيدك بنصره، يعني هو الذي قوّاك وأعانك[2].

ثانيا: التأييد بمعنى الإعانة والإمداد[3].

قـــال تعـــالى:Mقَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ L .[القصص: 35]. قال الطبري:{سنشد عـضدك بأخيك}،"أي: نقويك ونعينك بأخيك"[4]. فهذا تأييد من الله تعالى لنبيه موسـى عليـه السلام، حين أعطاه الله ما يماثل أخيه هارون عليه السلام من المقدرة علـى إقامـة الحجة، يقول ابن عاشور:"وهذا كله تمثيل لإيضاح حجته بحال تقوية من يريد عملا عظيما أن يشد على يده وهذا التأييد الذي شاع بمعنى الإعانة والإمداد"[5].

---

1 - القاسمي، محمد جمال الدين، (ت:1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيـون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ج5، ص278.

2 - الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (ت:741هـ)، لباب التأويل فـي معـاني التنزيـل، تحقيق: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص324. والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تحقيـق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م، ص325.

3 - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20،ص117. وابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، (ت:542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيـق: عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ج2، ص516.

4 - الطبري، محمد بن جرير، (ت:310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيـق: أحمـد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/ 2000م، ج19، ص578.

5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20 ص 117.

ثالثا: التأييد بمعنى التكثير والإظهار والنصر[1].

قال تعالى:M c d e f g L.[آل عمران:13]. "أي: يُكثر تأييده"[2]. ومثال ذلك ما حدث مع المؤمنين عندما رأوا الكافرين مثلي أنفسهم في العدد، وكثّرهم الله في عين عدوهم[3]. ومع ذلك أيّدهم الله ونصرهم وأوقع المسلمين بهم، قال تعالى:M O P Q R S T U W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e f g i j k l m n o L.[آل عمران: 13]. وهذه حقيقة التأييد بالتكثير والإظهار والنصر[4]. وقال تعالى:M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى × مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ à نَحۡنُ â ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ ç è é ê ë فَأَيَّدۡنَا î ï عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ô L.[الصف: 14]. هذا ما أيد الله به أهل النصرانية بدعوة الحواريين وأتباعهم فهذا التأييد بالتكثير والإظهار[5]. قال: ابن عباس: أيد الله الذين

---

1 - البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1418هـ، ج2، ص8.

2 - الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت:502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، 1412هـ، ج1، ص97.

3 - الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت:538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج1، ص341.

4 - أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي الشهير بأبي حيان،(ت:754هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،1420هـ،ج3، ص46،47..انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القران، ج 6، ص 242. والقاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص290.

5 - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص528. والزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ، ج28، ص180.

امنوا في زمن عيسى عليه السلام بإظهار محمد صلى الله عليه وسلم على دين الكفار [1].

وعليه فإن بعد النظر في كتب المعاجم اللغوية وكتب التفاسير، وجدنا أن مصطلح التأييد يأتي بمعاني سياقية متعددة تدور جميعها حول معنى (التقوية والإعانة والإمداد والتكثير والإظهار).

التثبيت اصطلاحاً:-

من خلال البحث عن تعريف مصطلح التثبيت، نجد أنه ليس هناك تعريف محدد وشامل لهذا المصطلح، بل جاءت هذه اللفظة متسعة المعنى، أي أنها تتغير بتغير السياق العام، وهذا ما وجدناه سابقا في مصطلح التأييد، فلذلك شرعنا بجمع أهم الدلالات الأكثر استعمالا لهذه اللفظة، فمن خلال ذلك نستنتج أن التثبيت في مصطلح القرآن الكريم فقد ورد على عدة أوجه أو معاني وهي: ـــ

أولا: التّثبيت بمعنى تحقيق الشيء وترسيخه[2].

قال تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) *
+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 :
; < = L.[البقرة: 265]. قال ابن عاشور:"هو تمثيل يجوز أن يكون لكبح النفس عن التشكك والتردد، أي أنهم يمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق في وجوه البرّ، ولا يتركون مجالا لخواطر الشح"[3].

---

1 - القرطبي، محمد بن احمد بن أبي بكر،(ت:671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج18، ص90. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت:774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، 1420هـ/ 1999م، ج8، ص114.

2 - الطنطاوي، محمد سيّد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1997م، ج1، ص610. رضا، محمد رشيد، (ت:1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج5، ص196. وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج2، ص667.

3 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص51.

ثانيا: التثبيت بمعنى التقوية[1].

قال تعالى: M ¶ ¸ ¹ إِلَّآ » ¼ ½ ¾ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ L.[آل عمران:147]. قال الطبري:{وثبت أقدامنا}يعني:"قوي قلوبنا على جهادهم لتثبيت أقدامنا فلا نهزم عنهم"[2].

ثالثا: التثبيت بمعنى اليقين والتصديق.

قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = L.[النساء: 66]،

قال الطبري:"معنى قوله{أشد تثبيتا}يعني: أشد تصديقا، لأنه إذا كان مُصدقا، كان لنفسه أشد تثبيتا، ولعزمه فيه أشد تصحيحا"[3].

وقال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * L.[البقرة: 265]، وقال الطبري: {وتثبيتا من أنفسهم}،"يعني: يقينا من أنفسهم، فالتثبيت اليقين"[4].

وقال السيوطي[5]: {وتثبيتا من أنفسهم}، "أي: تصديقا ويقينا"[6].

---

1 - رضا، تفسير المنار، ج5، ص196.

2 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج5، ص354.

3 - المرجع نفسه، ج8، ص529.

4 - المرجع نفسه، ج5، ص532.

5 - هو: عبد الرحمن بن أبي بكر الطولوني المصري الشافعي، جلال الدين أبو الفضل، عالم مشارك في أنواع العلوم، له كثير من المؤلفات منها الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، والمزهر في اللغة، والجامع الصغير في الحديث، ت:911هـ، انظر: كحالة، عمر بن رضا، (ت:1408هـ)، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج5، ص128.

6 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ج2، ص46.

رابعا: **التثبيت بمعنى البشارة.**

قال تعالى:M Y Z [\ ] ^ _ ` a b ، d e f
g h i j k l m n o p q L.

[الأنفال:12]، قال القرطبي: {فثبتوا الذين أمنوا}"أي: بشروهم بالنصر أو القتال معهم أو بالحضور معهم من غير قتال"[1].

ونجد بعضا من المفسرين يقول بأكثر من معنى لتفسير لفظة التثبيت، وهذا بــلا شك عائد إلى اتّساع دلالة هذه اللفظة كما ذكرنا سابقا، ومن ذلك قول الرازي فــي بيان معنى التثبيت في الآية السابقة بقوله فالتثبيت على وجوه.

الأول: إنّهم عرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله ناصر المؤمنين والرسول عرف المؤمنين بذلك، فهذا هو التثبيت.

والثاني: إنّ الشيطان كما يمكنه إلقاء الوسوسة إلى الإنسان فكذالك الملك يمكنه إلقاء الإلهام إليه فهذا هو التثبيت.

والثالث: إنّ الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم وكانوا يمدونهم بالنصر والفتح والظفر[2].

فمما سبق يُستخلص لنا أن التثبيــت: هــو التحقيــق والترســيخ والتقويــة والاستقرار والبشارة والدوام في الموضع الذي من شأنه الأستزالة وهو ضد الحركة والسكون.

2.1 العلاقة بين (التأييد والتثبيت) والصبر.

بيَّنا فيما سبق معنى التأييد والتثبيت، وكي نوجد العلاقة بينهما وبين الصبر؛ لذا لا بد لنا من تبيين معنى الصبر أولا في اللغة والاصطلاح، ومن ثــم نــتكلم عــن العلاقة بينهما.

---

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7 ص 378، والسمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، (ت:373هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ج2، ص11.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص463.

الصبر في اللغة:

نقِيضُ الجَزَعِ صَبَرَ يَصْبِرُ، فهو صابرٌ وصَبيرٌ وصَبُورٌ، وتَصَبَّرَ واصْــطَبَرَ واصَّبَرَ. وأصْبَرَه أمَرَه بالصَّبْر، كصَبَّرَه، وجعل له صَبْراً[1].

"فالصبر حبس النفس عن الجزع...وصبره حبسه"[2]. قال تعــالى:M ! " #
$ % & L.[الكهف:28]، أي: حبسٌ فيه شدة ومشقة على النفس[3]. وبهذا فإن الصبر لغة: حبس النفس وكفها وهو نقيض الجزع[4].

الصبر اصطلاحاً:

الصبر: هو"ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"[5]. وقيل الصبر: "قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية"[6].

وأصل الصبر، حبس النفس عن محابها، وكفها عن هواها؛ ولذلك قيل للصابر على المصيبة: صابر؛ لكف نفسه عن الجزع وسمي رمضان بــشهر الــصبر، لأن المسلمين يحبسون أنفسهم عن تناول الطعام والشراب والشهوات فيه[7].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص438. والفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقــوب، (817هـــ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـــ/2005م، ج1، ص422. والأزهــري، محمــد بــن أحمــد، (ت:370هـــ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ج12، ص120.

2 - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ص706.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص359.

4 - الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو، (ت:170هـــ)، كتــاب العــين، تحقيــق: مهــدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج7، ص115.

5 - الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت:816هـــ)، التعريفات، تحقيــق: مجموعــة مــن العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـــ/1983م، ص131.

6 - المناوي، التوقيف على مهام التعاريف، ص212. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكــر، (ت:911هـــ)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، ط1، دار مكتبة الآداب، القاهرة، 1424هـــ/2004م، ص202.

7 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج1، ص11.

"فهو خلق فاضل من أخلاق النفس وقوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"[1]. وهو قُوَّة خُلقية من قوى الإرادة تُمكّن الإنسان من ضبط نَفَسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام[2].

وقال السعدي: "فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه إلا به"[3].

فيتبين لنا بعد ذلك أن الصبر هو:"المنع والحبس فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن التشويش"[4]. ومعنى الجزع: هو الململة كأنه على جمر[5]. فمعنى الصبر إذا الثبات لأنه عكس الجزع الذي هو الململة والحركة، وبهذا فإن الثبات أصل الصبر كما قال ابن قيم الجوزية:"أصل الصبر قوة الثبات فمتى ما أُيّد العبد بعزيمة وثبات فقد أُيّد بالمعونة والتوفيق"[6].

---

1 - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت:751هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط3، دار ابن كثير، دمشق، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1409هـ/1989م، ص16.

2 - عبد المحسن، عبد الرحمن محمد، معالم أصول التربية الإسلامية، ط28، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1417هـ، ص457.

3 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص74.

4 - ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص15. وابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416هـ/1996م، ج2، ص155.

5 - الفراهيدي، كتاب العين، ج8، ص325.

6 - ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص110.

وقال الخوّاص[1]: "الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة"[2]. وقال الثعالبي[3]: "فاثبتوا واذكروا الله لأن الثبات هو الصبر وذكر الله هو الدعاء"[4].

ويظهر لنا بعد عرض المعنى الاصطلاحي للصبر عند العلماء أن المعنى الاصطلاحي للصبر يستند إلى الأصل اللغوي وهو حبس النفس عن الجزع، كما إن المعنى الاصطلاحي للصبر عند بعض العلماء حمل معنى الثبات على الدين وتحمّل الإنسان للآلام والمشقات والمتاعب.

فالصبر يُعدّ أهم مظاهر القوة الروحية المشرقة؛ فهو الذي يثبت صاحبة على طاعة الله فيما يأمر وينهى، ويهوّن عليه مصائب الدنيا ومصاعبها، ويفتح لصاحبه الطرق المغلقة مُبدّدا ظلماتها بضيائه العظيم، وخيره العميم.

ولِما للصبر من بالغ الأهمية في حياة الأمة، فقد حث الله ـــ سبحانه جلا في علاه ـــ عليه وأمر بالاستعانة به، وقرنه مع الصلاة، قال تعالى: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ L .[البقرة:153]، أي: استعينوا بالصبر على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي، والتسليم لأمري"[5]. فإن الله مع

---

1 - هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخوّاص، له في التوكل والرياضيات حظ كبير، ت:291هـ، انظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن، (ت: 465هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص104.

2 - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ص157.

3 - هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، مفسر، فقيه، صوفي، متكلم، له تصانيف منها: الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز، وقطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين، ونفايس المرجان في قصص القرآن، ت: 875هـ، انظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص192.

4 - الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت:875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، ج1، ص231.

5 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج3، ص212.

الصابرين، أي:بالعون والنصرة والتأييد"[1]. فقد جعلهُ مُلازما في رحاب العبادة قال تعالى:M & ' (| L [مريم:65]. ولا عجب في ذلك من تظاهر الآيات القرآنية في الحث عليه، وذلك لآثاره الطيبة وثماره الدانية.

ومما لا شك فيه أنّ قتال الأعداء يحتاج إلى صبر، يُقوّي العزائم ويشحذ الأهمم، ويُثبت الأقدام، للظفر بالنصر والظهور عليهم، فقد أخبر القرآن أنّ الصبر هو السلاح الأمضى في لقاء العدو، وذلك ببيان"أنّ المؤمن الصابر يستطيع أن يُواجه ويُقاوم عشرة من أعداء الله شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة، والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده"[2]. قال تعالى:M ^ _ ` a b c d e f g h i j k L.[الأنفال:65]. ثم نُسخ ذلك، ليتقرّر أنّ المؤمن الصابر يستطيع أنّ يُواجه اثنين من أعداء الله، قال تعالى:M l m n o p q r s u v w x y z { | } ~ مِّنكُمْ أَلْفٌ ¢ £ ¤ ¥ § ¨ © ﴿٦٦﴾ L.[الأنفال:66]،[3].

---

1 - السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار المعروف بأبي المظفر، (ت:489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض، 1418هـ/1998م، ج1، ص156. والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، (ت:510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج1، ص185. والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص317. وابن عجيبة الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد المهدي، (ت:1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، الناشر حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ، ج1، ص186. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص322.

2 - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص66. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج14، ص51،52. والسمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص30، 31.

3 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج14، ص51،52. والسمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص30، 31. والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص69.

فقد عدّ القرآن الصبر أحد أهم عوامل النصر الحاسمة التي أمر الله عباده المؤمنين بالأخذ بها مُبينا معيّته بالنصر، والتأييد والتثبيت لعباده الصابرين[1]. قال تعالى: M » ¼ ½ ¾ لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L. [الأنفال: 45ـ46]

فمعية الله تعالى لعباده الصابرين التي ذكرتها الآيات السابقة، هي معية نصر وتأييد وتوفيق وتسديد[2]. "فالصبر سبب للثبات الذي هو سبب من أسباب النصر، وأجدر النّاس بالصبر المؤمنون بالله عز وجل[3]. ولقد نصر الله بني إسرائيل من بعد موسى عليه الصلاة والسلام مع طالوت بصبرهم، قال تعالى: M F G H I J K L L. [البقرة:249]. فقالوا لهم مثبّتين ومطمئنين وآمرين لهم بالصبر:) T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` L. [البقرة: 249]. أي: بالنصر والمعونة والتوفيق، مما دفعهم جميعا للتوجه إلى الله بأن يفرغ عليهم صبرا يُقوّي عزمهم، ويُؤهلهم للنصر على عدوهم[4].

وكما أخبر سبحانه بقوله: M b c d e f g h i j k l m n o p q L. [البقرة: 250].

أي: "ربنا قوّي قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين"[5]. "فافتتحوا دعاءهم بطلب الصبر عند المخاوف لأنه هو عدة القتال الأولى، وركنه الأعلى، إذ به يكون ضبط النفس فلا تفزع، وبه يسكن القلب

---

1 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص316. والبقاعي، أبي بكر إبراهيم بن عمر بن حسن، (ت:885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج8، ص326.

2 - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج1، ص185. وأبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، أيّسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، دار مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424هـ/ 2003م، ج3، ص171.

3 - رضا، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، ج2، ص 389.

4 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص108.

5 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص107،108.

فلا يجزع، ثم التمسوا منه -سبحانه - أن يثبّت أقدامهم عند اللقاء لأن هذا الثبات هو مظهر الصبر، ووسيلة النصر، وعنوان القوة، ثم ختموا دعاءهم بما هو ثمرة ونتيجة للصبر والثبات وهو النصر على الأعداء"[1].

وللبيضاوي كلام لطيف على هذا الدعاء إذ قال:"وفيه ترتيب بليغ؛ إذ سألوا أولاً إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر، ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه، ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالباً"[2].

فقد جاء هذا التعبير بلفظ الإفراغ لأنّ الموقف يحتاج إلى عظيم الصبر، فعن دلالة هذا التعبير يقول الرازي:"الإفراغ الصّبّ، يُقال: أفرغتُ الإناء إذا صببت ما فيه، والإفراغ إخلاء الإناء ممّا فيه، وإنّما يخلوا بصب كل ما فيه، فقولهم:{أفرغ علينا صبرا}يدل على المبالغة في طلب الصبر من وجهين: أحدهما: أنه إذا صبّ الشيء في الشيء فقد أثبت فيه بحيث لا يزول عنه، وهذا يدل على التأكيد، والثاني: أن إفراغ الإناء هو إخلاؤه، وذلك يكون بصب كل ما فيه، فمعنى أفرغ علينا صبرا: أي أصبب علينا أتمّ صبّ وأبلغه"[3]. وكانت نتيجة هذا الصبر والدعاء به أن نصرهم الله على عدوهم، قال تعالى:M r s L.[البقرة:251].

وهذه الصيغة من الدعاء بالصبر هي نفسها التي دعا بها السحرة الذين هدّدهم فرعون بالقتل لمّا أمنوا، لِما يحتاجه هذا الموقف العصيب من صبر عظيم، وتأييد وتثبيت على الحق إذ قالوا:M Z [\ ] ^ _ ` L.[الأعراف:126] أي: ربنا هب لنا صبرا واسعا، وأكثره علينا، حتى يفيض علينا ويغمرنا، كما يغمر الماء الفراغ وتوفنا مسلمين غير مفتونين [4].

---

1 - طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، ص573.

2 - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص152.

3 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج6، ص514.

4 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص142. وابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج2، ص441. والصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص431.

وكانت النتيجة أن نصرهم الله تبارك وتعالى؛ لأنهم كانوا أهلاً لهذا النــصر، فهم حققوا أسبابه، ومن أول أسبابه الصبر في مواجهة الأعداء، والصبر في الجهــاد في سبيل الله تبارك وتعالى.

والصبر على فعل الطاعات و ترك المنكرات وعدم التسخط على أقــدار الله المؤلمة يجعل صاحبه يكثر من الطاعات و يقلل من المحرمات و بذلك يزداد إيمانه، وأهل الإيمان يدافع الله عنهم و يحميهم من عدوان الكفار علــيهم، و يحمــيهم مــن ظهور الكفار عليهم و يحميهم من أذى الخلق، قال تعــالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ .[الحج: 38]. أي: إن الله تعالى يــدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشــرار وكيــد الفجــار، ويحفظهــم ويكلؤهم وينصرهم لأنه عز وجل لا يحب كل خوَّان لأمانة ربه، جحود لنعمته[1].

وفي الحديث الذي يرويه ابن عباس قال: كنت رديف رســول الله صــلى الله عليه وسلم، فقال: "يا غُلام ألا أُعلمك كلمات ينفعك الله بهنّ؟" فقلــتُ: بلــى، فقــال: "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدّة، وإذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلُّهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليــه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، واعلم أنّ في الــصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأنّ النّصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مــع العسر يُسرى"[2].

وعليه فإنه مما سبق يتضح لنا جليا أن وعد الله تعالى وسنته فــي خلقــه أن ينصر عباده الصابرين، وأن يؤيدهم ويثبتهم، إنه باب من أبواب النصر، وإنه ســبب من أسباب النصر.

---

1 - ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج5، ص433. والزحيلي، التفسير المنيــر فــي العقيــدة والشريعة والمنهج، ج17، ص226.

2 - الشيباني، أحمد بن حنبل، (ت:241هـ)، مُسند الإمام أحمد، تحقيق: شُــعيب الأرنــؤوط، وعادل مرشد، ط1، دار مؤسسة الرسالة، بيــروت، 1421هـــ/2001م، (2803)، ج5، ص19. قال محققو المسند: إسناده صحيح.

لهذا وجّه الله نبيه محمّداً صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر فقال: M v x y

z { L. [هود:49]، وأول العاقبة النصر لأهل الصبر، لأهل تقوى الله تبارك وتعالى بالفوز والنصر والغلبة والتمكين للمتقين[1]. قال الرازي: في هذه الآية"تنبيه على أن الصبر عاقبته النصر والظفر والفرح والسرور"[2].

إذاً، النصر مع الصبر، هذا منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه سنّة الله في خلقه، أن ينصر عباده الصابرين الثابتين، لأن النصر مع الصبر، النصر صبر ساعة، لذلك يكتب الله تعالى التأييد والتثبيت والعزة والتمكين والنصر لعباده الصابرين، فهل نُحقق هذا الصبر لنُحقّق النصر من الله تبارك وتعالى ؟

3.1 الألفاظ القريبة الدلالة للفظتي التأييد والتثبيت.

(النصر -الربط على القلوب- المعية)

للفظتي التأييد والتثبيت ألفاظٌ قريبة الدلالة منهما، يدلوا كل منهما على معانٍ قريبة، نوضّح تلك الألفاظ فيما سيأتي في هذا المبحث مُستعينين بما ورد في أمهات الكتب وثنايا الأبحاث، علنا نُجمل المعنى ونوضح الفكرة.

أولا: النصر.

يأتي جذر:(ن، ص، ر) في مقدمة المواد اللغوية في هذه المجموعة من الألفاظ القريبة الدلالة للفظتي التأييد والتثبيت.

فمادة (نصر)، النّصر: إعانة المظلوم، نصَره عَلَى عَدُوِّهِ ينصُره ونصَره ينصُره نصْراً، وَرَجُلٌ ناصِر مِنْ قَوْمٍ نُصَّار ونَصْر مِثْلُ صَاحِبٍ وصحْب وأَنصار؛ قَالَ: واللهُ

---

1 - الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (ت:468هــ)، الوسيط في تفسير القــرآن المجيــد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هــ/1994م، ج2، ص577. والزمخشري، الكشاف، ج2، ص401.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج18، ص361.

سَمَّى نَصرَك الأَنْصَارَا، آثَرَكَ اللهُ بِهِ إِيْثارا[1]. وفي الحديث: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"[2]. وتفسيره أَن يمنَعه من الظلم إِن وجده ظالِماً وإِن كان مظلوماً أَعانه على ظالمه[3]. والاسم النُّصْرة، أي: الإعانة، والنّصير: النّاصر، والجمع الأنصار[4]. والنّصر: هو المعاونة والتأييد، بضدّ الخذلان"[5].

ولهذا الجذر في اللغة دلالات حسية تلقى بظلالها على الاستعمال القرآني، ومن ذلك: نَصر المَطرُ أو الغَيْثُ الأرض: أي: سقاها وغاثها، ونصرت الأرضُ فهي منصورة أي: مُطرت[6]. "وسُمّي المطر نصراً، كما سُمّي فتحاً، وقيل: ومدت الوادي النواصر: وهي المسايل التي تأتي بالماء من بعيد"[7].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص210. وبن سيّدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت:458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، ج8، ص299.

2 - البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت:256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما، حديث رقم (2443)، ج3، ص128.

3 - ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، (ت:449هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، دار مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ/2003م، ج6، ص572.

4 - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ص829. والزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج14، ص223.

5 - ابن دريد، محمد بن الحسن، (ت:321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج2، ص744.

6 - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ص829. والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص809.

7 - الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، (ت:538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م، ج2، ص275.

والنّصر أيضا: الرزق[1]. أو العطاء[2]. "وحُكيَ أنَّ سائلاً وقف على قوم، فقال: انصروني، نصركم الله، يريد: أعطوني، أعطاكم الله"[3]. "وهو مستعار من نصر الأرض أو من العون"[4]. والنصر: التأييد[5]. والعون[6].

ومما لاشك فيه أنّ العلاقة واضحة بين المعنى الحسي والدلالة المعنوية للنصر، وقد أدرك العربي عُمق هذه العلاقة؛ لأنّه يعرف أهمية الغيث في حياته الصحراوية الظامئة الصعبة.

العلاقة بين التأييد والتثبيت والنصر:

لقد رتب سبحانه نصره لعبادة المؤمنين وتأييدهم وتثبيت أقدامهم عند لقاء الأعداء على نصرهم لدينه وتنفيذهم أوامره واجتنابهم نواهيه وهكذا تتحقق سنة الله تعالى في نصر عباده، فمن لزمها ظفر بالنصر والتمكين ومن تجنبها وجد نتيجة فعله من الهزيمة والذل والخذلان، كما هي حال كثير من بلدان المسلمين في هذا الزمان"[7].

فالنصر الذي وعد الله تعالى به عبادة المؤمنين ليس سهلاً، بيد أنّه يتحقق للذين يستحقونه بإخلاصهم لعقيدتهم وثباتهم عليها وجهادهم في سبيلها، فثمرة التأييد والتثبيت، هو النصر من الله عز وجل، وفتح قريب، واستخلاف لمن ثبت على البأساء

---

1 - ابن القطاع، علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي، (ت:515هـ)، الأفعال، ط1، دار عالم الكتب، 1403هـ/1983م، ج3، ص253. وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت:597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ، ج3، ص226.

2 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص435.

3 - الزمخشري، أساس البلاغة: ج 2 ص 275.

4 - الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص809.

5 - ابن القطاع ، الأفعال، ج3 ص 253.

6 - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 808، والفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: ص483.

7 - الخنين، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر، النظم القرآني في آيات الجهاد، ط1، دار التوبة، الرياض، 1416هـ/1996م، ص265.

والضراء، ويُقابل ذلك خُذلان وانتكاس وانكسار لأهل الباطل في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والنصر كما بيّن القرآن الكريم يكون دنيوياً وأخروياً، قال تعالى:Mمَن كَانَ × أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ à إِلَى â ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ ç è é ê ë L.[الحج:15]، فيكون نصر الله تعالى في الدنيا بإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، ويكون في الآخرة بإعلاء الدرجة وبلوغ المنزلة[1]، وقال السعدي:"هذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون"[2].

وقال سبحانه:M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L.[غافر:51]. "فالنصر قد يكون بالحجة، ويكون بالغلبة والقهر، ويكون بإهلاك العدو، وكل هذا قد كان للأنبياء والمؤمنين من قبل الله تعالى، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم، وقد نصرهم بإهلاك عدوهم، وأنجاهم مع من آمن معهم"[3]. وأضاف القرطبي قائلا: نصر الله تعالى في الدنيا قد يكون في الحجة والانتقام من الأعداء[4].

"فنصرة الله تعالى لعبده ظاهرة، ونصرة العبد لله هو نصرته لعبادته، والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نهيه"[5].

وبهذا فقد تضافرت ألفاظ عديدة في القرآن الكريم لتدل على أنّ النصر وتأييد الله للمؤمنين وتثبيته لهم في الحياة الدنيا مترتبان على ما يبذله المؤمنون في سبيل

---

1 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص210.

2 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص535.

3 - الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج4، ص17.

4 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص322.

5 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص809.

عقيدتهم، وهذا الأمر يجعلنا نعد هذه الألفاظ مستعملة للدلالة على الثواب الدنيوي في جانب من جوانبه.ولهذا اللفظ في القرآن الكريم أربعه وجوه[1].

الوجه الأول: النصر بمعنى: المنع، قال تعالى:Mوَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ L. [البقرة: 48]، أي:"ولا هُم يمنعون من العذاب"[2]. وقوله سبحانه:M Z [\ ] L [الشعراء -93]. أي: "يمنعونكم من العذاب، أو يمتنعون منه"[3].

الوجه الثاني: النصر بمعنى: العون، ومن ذلك قوله تعالى:M ¥ ¦ § ¨ © ٱللَّهَ « L [محمد: 7]. أي: إن تنصروا دين الله تعالى ورسوله وعباده المؤمنين، ينصركم، أي يُعنكم على عدوكم ويثبت أقدامكم[4]. وقوله:M L M N O P Q L.[آل عمران:160]. أي: يُعنكم الله على عدوكم[5]. فنصرة العبد لله تعالى، نصرته لعبادته، والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نواهيه[6].ويترتب على هذا الجهد من العبد نصر الله وهو عونه لعبده، وكذلك قوله تعالى:M J K L M L [الحج:40].

وذهب أبو هلال العسكري إلى أنَّ هناك فرقاً بين النصرة والإعانة، وذلك،"أنَّ النصرة لا تكون إلا على المنازع المغالب والخصم المناوئ المشاغب، والإعانة تكون على ذلك وعلى غيره، يقول: أعانه على من غالبه، ونازعه، ونصر عليه، وأعانه على

1 - الدامغاني، الحسين بن محمد، (ت:478هـ)، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيدا الأهل، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م، ص458، 459.

2 - السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص77. والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص43.

3 - الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص357.

4 - أبو بكر الجزائري، أيّسر التفاسير، ج5، ص73.

5 - الجلالين، المحلي، جلال الدين محمد، (864هـ)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة، ص89. والشربيني، محمد بن أحمد، تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص210.

6 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 809.

فقره: إذا أعطاه ما يعينه، وأعانه على الأحمال، ولا يقال: نصره على ذلك، فالإعانة عامة والنصرة خاصة"[1].

الوجه الثالث: النصر بمعنى: الظفر[2]. قال تعالى:M وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ L.[آل عمران:147]. وقوله سبحانه:M d e f g h i L [آل عمران: 126]، وقد خص القرآن النصر بأنه من عند الله لكي يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين وعدهم الله بإمدادهم بها[3].

والوجه الرابـــع: النصر بمعنى: الانتقام، وذلك قوله تعالى:M h i j k l L [محمد:4]، وقوله تعالى:M A B C L [القمر:10]، أي فانتقم[4].

وقد يعبر القرآن الكريم عن النصر بالروح كما في قوله تعالى:M 7 8 9 : ; < = > L.[المجادلة:22]، "فالروح هُنا هو: النصر والغلبة والإظهار والدولة، وقد يعبر عن ذلك بالريح، والروح والريح كلاهما يرجعان إلى معنى واحد، وقد قال سبحان: M $ % & ' (L [الأنفال:46]، أي: دولتكم واستظهاركم"[5].

ولمعرفة الفرق بين النصر والفتح، ولبيان عطف النصر على الفتح كما في قوله تعالى:M A B C D E F L.[النصر:1]. يقول الرازي:"النصر هو الإعانة على تحصيل المطلوب، والفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا، والظاهر أن النصر كالسبب للفتح، فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه، وثانيا: يحتمل أن يقال: أن النصر كمال الدين، والفتح الإقبال الدنيوي الذي هو تمام النعمة،

---

1 - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، (395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ، 540.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج32، ص336.

3 - المرجع نفسه، ج8، ص354.

4 - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص434.

5 - الرضي، الشريف، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار الأضواء، بيروت، ص329.

وثالثا: النصر هو الظفر في الدنيا على المنى، والفتح بالجنة، وأظهر الأقوال في النصر أنه الغلبة"[1].

"**والخلاصة**: إنّ النصر ليس هبة تُمنح كما يتوقع بعض المخدوعين، وإنما هو مشروط بالإتيان بمقومات دينية أساسية، فما دمنا نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله إيمانا صحيحا، تحقق لنا النصر والسيادة والعزة، وما داموا هم فاسقين خارجين عن حدود الله والطاعة والإيمان، ظلوا أذلة مقهورين"[2].

ثانيا: الربط على القلوب.

للجذر (ر، ب، ط)، في اللغة دلالات حسيّة، منها:

(رَبَطَ)، الرَّاءُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَثَبَات، مِنْ ذَلِكَ رَبَطْتُ الشَّيْءَ أَرْبِطُهُ رَبْطًا، وَالَّذِي يُشَدُّ بِهِ رِبَاطٌ، والرِّبَاطُ: المُرابَطَةُ، وهو مُلَازَمَةُ ثَغْرِ الْعَدُوِّ، كَأَنَّهُمْ قَدْ رُبِطُوا هُنَاكَ فَثَبَتُوا بِهِ وَلَازَمُوهُ، وَرَجُلٌ رَابِطُ الْجَأْشِ، أَيْ شَدِيدُ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ[3]. والرِباطُ: ما تشد به القربة والدابة وغيرهما والجمع رُبُطٌ[4].

قال الأخطل[5]:

تموتُ طَوراً وتحيا في أَسِرَّتِـــــها كما تُقَلَّبُ في الرُّبْطِ المَراويـــــدُ

وفيهم رباط الخيل: حبسها واقتناؤها، قال الشاعر[6]:

ما زال فينا رِباطُ الخيلِ مُعْلَمَةً وفي كُلْيب رِباطُ اللُّؤْمِ والعارِ

وتستخدم ربط أيضًا:

---

1 - الرازي، مفاتيح الغيب،ج32، ص336.

2 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج4، ص42،43.

3 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص472.

4 - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، ص1127. وابن منظـور، لـسان العرب، ج7، ص303.

5 - الأخطل، غياث بن غوث، (ت: 92هــ)، ديوان الأخطل، شرح وتصنيف مهـدي محمـد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص82.

6 - الأخطل، ديوان الأخطل، ص166.

رابط الجيش: "أقام في الثغر، والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم، ثم سُميت الإقامة في الثغر مرابطة ورباطاً، والغزاة في مرابطهم ومرابطاتهم، وهي مواضع المرابطة، ووقف ماله على المرابطة، وهي الجماعة التي رابطت، ومنه: اللهم انصر جيوش المسلمين ومرابطاتهم"[1]. ويلاحظ أَنِّ هذه الدلالات وجدت بعد الإسلام وتوسع الفتوح، واستقرار الفاتحين في الثغور.

ومن الدلالات الحسية للمادة أيضا قولهم: "ترابط الماء في مكان كذا، إذا لم يخرج من مجتمعه وركد فيه، ومنه ماء مترابط"[2].

العلاقة بين التأييد والتثبيت والربط على القلوب:

استعملت هذه المادة في القرآن الكريم خمس مرات، وجاءت مقترنة بالقلب ثلاث مرات[3]. وذلك في قوله تعالى:M p q r s t u v w x y z { L.[القصص:10]. قال الطبري: "لولا أن عصمناها من ذلك بالتثبيت والتوفيق"[4]. وقال السمرقندي:"لولا أن ثبتنا قلبها وقويّنا قلبها وألهمناها الصبر واليقين لتكون من المؤمنين المُصدّقين بوعد الله"[5]. فهو ربط من الله تعالى على قلبها وتثبيت وتقوية بقدرته وإرادته، فلولا ذلك لأظهرت للناس أن الذي التقطه آل فرعون هو ابنها[6].

وهذا كله فضل من الله إذْ أَلهمها الصبر والتثبيت كما يربط الشيء المتفلت ليستقر ويطمئن[7]. وقوله تعالى:M ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ وَٱلْأَرْضِ

---

1 - الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص331،332.

2 - المرجع نفسه، ج1، ص331.

3 - عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القران الكـــريم، دار الحـــديث، القـــاهرة، 1996م، ص 368.

4 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص530.

5 - السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص600. والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص813.

6 - طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج10، ص383.

7 ـــ الزمخشري، الكشاف، ج3، ص395.

« ¼ ½ ¾ إِلَٰهًاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ L .[الكهف:14]. والربط هنا "عبارة عن شدة عزم وقوة صبر أعطاها الله لهم، ولما كان الفزع والخور يشبه بالتناسب الانحلال، حسن في شدة النفس وقوة التصميم أَنْ يشبه الربط"[1]. قال ابن قيم الجوزية: "إن هؤلاء كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق، وذاقوا حلاوته، وباشر قلوبهم، فقاموا من بين قومهم، وقالوا: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، والربط على قلوبهم يتضمن: الشد عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان، حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف والربط على القلب عكس الخذلان، فالخذلان حَلَّهُ من رباط التوفيق، فيغفل عن ذكر ربه ويتبع هواه، ويصير أمره فرطاً، والربط على القلب شدُّهُ برباط التوفيق، فيتصل بذكر ربه ويتبع مرضاته ويجتمع عليه شمله[2].

وقوله تعالى:M R S T U V W L الأنفال:11]، المراد به: أن بسبب نزول هذا المطر قويت قلوبهم، وزال الخوف والفزع عنهم، ويقال لكل من صبر على أمر: ربط قلبه عليه، كأنه حبس قلبه عن أن يضطرب، وألقى استعمال حرف الجر على الذي يفيد الاستعلاء ظلّه على دلالة اللفظ، فكأَنّ المعنى: أن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفَع فوقها[3].

---

1 - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص501. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 365. والثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القــرآن، ج3، ص512.

2 - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج3، ص68.

3 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص462. والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيــل، ج2، ص298. وابن عادل الحنبلي، سراج الدين عمر بن علي، (ت:775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلميــة، بيروت، 1419هـ/1998م، ج9، ص469.

وأما قوله تعالى: M ¼ ½ ¾ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ L . [آل عمران:200]، أي: "رابطوا أعدائكم الخيل، أي: أرتبطوها كما يرتبطها أعدائكم"[1].

وكذلك قوله تعالى: M ¨ © مَّا « ¬ ® ¯ ° ± L. [الأنفال:60]. قال الزمخشري:"والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة"[2]. "والمرابطة إقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يُستعان به"[3]. "ثم إن عطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها، كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة"[4].

وقد ذكر الراغب الأصفهاني أن المرابطة ضربان:" مُرابطة في ثغور المسلمين، وهي كمرابطة النفس البدن فإنّها كمن أقيم في ثغر وفوّض إليه مراعاته، فيحتاج أن يراعيه غير مخل به وذلك كالمجاهدة، قال صلى الله عليه وسلم:"من الرِّباطِ انتظارُ الصّلاة"[5]. ومرابطة بمعنى: قوة القلب، قال تعال: M ° ± ² L [الكهف:14].وبنحو هذا قيل: فلان رابط الجأش، إذ قوي قلبه"[6].

---

1 - الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج2، ص156. وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص365.

2 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص232.

3 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص323.

4 - القاسمي، محاسن التأويل، ج5، ص316.

5 - القشيري، مسلم بن الحجاج، (ت:261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، حديث رقم (251)، ج1، ص219.

6 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص339.

وقد يُعبّر القرآن الكريم عن الربط بلفظ الختم: وذلك في قوله تعالى:M I J K L
M N L.[الشورى:24]، أي:يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قولهم: إنّه مفتر كذّاب(1).

وهذا المعنى فيه صلة بالدلالة اللغوية للمادة، إذ الختم هو التغطية والاستيثاق من أَنْ لا يدخله شيء وفي ذلك حفظ للقلب من أي مداخلة تشق عليه(2).

ثالثا: المعية.

(مع) تقتضي الاجتماع إما في المكان، نحو: هما معا في الدار، أو في الزمان، نحو: ولدا معا، أو في المعنى كالمتضايفين نحو: الأخ والأب، فإن أحدهما صار أخا للآخر في حال ما صار الآخر أخاه، وإما في الشرف والرتبة، نحو: هما معا في العلو، وتقتضي معنى النصرة، وأن المضاف إليه لفظ (مع) هو المنصور، نحو قوله تعالى: M ¨ © إِنَّ » L.[التوبة:40]، أي: الذي مع يضاف إليه في قوله: الله معنا هو منصور، أي: ناصرنا، وقوله:M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ L.[النحل:128]، وقوله:M > ? @A B L.[الحديد:4]، وقوله:Mإِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ L.[البقرة:153]، وقوله: M j k l m n L.[البقرة:194]، وقوله عن موسى:M - . / 0 L.[الشعراء:62]، ورجل إمّعة: من شأنه أن يقول لكل واحد: أنا معك، والمعمعة: صوت الحريق والشجعان في الحرب، والمعمعان: شدة الحرب(3).

---

1 - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج4، ص145. والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص964.

2 - ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص163. والزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج32، ص41.

3 - أنظر: الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج22، ص211، 210. والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص771.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "... فمعية الله تعالى مع عبده نوعان عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة"[(1)].

ومعية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف، والمراد منها أن الله مع جميع الخلق بعلمه فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم وعالم بهم[(2)].

ومن خلال الآيات القرآنية الواردة في معية الله تعالى لخلقه، يظهر لنا أنّ هناك نوعين من المعية؛ نوع عام ونوع خاص، اختص الله تعالى به عباده المخلصين، وهما على النحو التالي: -

المعية العامة:

وقد وردت هذه المعية في مواضع من آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى: M !

6 5 4 3 2 1 0 / . · , + *) (' & % $ # "

7 8 9 : ; < > ? @A B D E F G H L.[الحديد:4]، أي: بعلم الله وقدرته، فليس يخلوا أحد من تعلق علم الله تعالى وقدرته به، أين ما كان من أرض، وسماء، وبر، وبحر، فهو مطلع عليهم عالم بهم[(3)]. وقال الشوكاني: "وهو معكم أين ما كنتم، أي: بقدرته وسلطانه وعلمه، وهذا تمثيل للإحاطة بما يصدر منهم أينما داروا في الأرض، من بر وبحر، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم

---

1 - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: سيّد إبراهيم، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/2110م، ص479.

2 - التميمي، محمد بن خليفة بن علي، الآثار المروية في صفة المعية، ط1، دار أضواء السلف، الرياض، 1422هـ/2002م، ص11.وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، ط2، دار الصميعي، الرياض، 1425هـ/2004م، ص521.

3 - الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج4، ص245. والسمعاني، تفسير القرآن، ج5، ص365.

شيء"[1]. وقال السعدي:"هذه المعية، معية العلم والإطلاع، ولهذا توعد ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله:{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.أي: إن الله تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال، من بر وفجور، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم"[2].

وفي قوله تعالى:M ! " # $ %& ' ( ) * + ,- . / 0 1

2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @A B C D E G

H I J K L N O P Q R S L.[المجادلة:7]، أي: لا يتناجى ثلاثة فيما بينهم، ولا يتكلمون فيما بينهم بكلام الشر إلا هو رابعهم؛ لأنه يعلم ما يقولون فيما بينهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم؛ لأنه يعلم سبحانه فيما بينهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم، عالم بهم وبأحوالهم أين ما كانوا في الأرض، ثم يُخبرهم بما عملوا يوم القيامة من خير أو شر [3]. فالله تعالى حاضر عباده، مطَّلع على أحوالهم وأعمالهم، وما تهجس به أفئدتهم، لا يخفى عليه شيء من أمور العباد، ولهذا ختم الآية بقوله:{ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ القيامة إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، ثم يخبرهم سبحانه وتعالى بما عملوا من حسن وسيء ويجازيهم عليه يوم القيامة، لأنه عالم بكل شيء من الأشياء، فابتدأ الله هذه الآيات بالعلم بقوله:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَعْلَمُ}، واختتمها بالعلم بقوله: {إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، لينبه إلى إحاطة علمه جل وعلا بالجزيئات والكليات، وأنه لا يغيب عنه شيء في الكائنات لأنه قد أحاط بكل شيء علما[4].

وهذا النوع من أنواع المعية المراد به أن الله مع جميع الخلق بعلمه فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم وعالم بهم؛ وسميت عامة لأنها تعم جميع الخلق [5].

---

1 - الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص199.

2 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص837.

3 - السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص416. وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4، ص245.

4 - الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص318.

5 - التميمي، الآثار المروية في صفة المعية، ص11.

المعية الخاصة:

وردت في القرآن الكريم في مواطن كثيرة أورد منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الآيات التالية منها:

قوله سبحانه: M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ × مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ L. [النحل:128]."أي:بالنصر والمعونة والتأييد"[1]. وقوله تعالى: M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ L. [البقرة:153]. وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: M ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ L [طه:46]، وهنا نصرُ معيتهٍ وتأييد[2]. وقوله تعالى: M ~ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © إِنَّ « ¬ ¦ L. [التوبة:40]، وهي أيضاً معية الاطلاع والنصرة والتأييد، وسميت خاصة لأنها تخص أنبياء الله وأولياءه دون غيرهم من الخلق[3].

ومما ورد في السُنة بهذا الخصوص، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال صلى الله عليه وسلم:"أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي..."[4].

ففي هذا الحديث "فيه تصريح بأن الله تعالى مع عباده عند ذكرهم له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليه برحمته، ويمد بتوفيقه وتسديده، فإن قلت: هو مع جميع عباده كما قال سبحانه وتعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}، وقوله جلا ذكره:{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ}، قلت: هذه معية عامة، وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفور الإكرام له والتفضل عليه، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه

---

1 - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص433.

2 - الشنقيطي، محمد الآمين بن محمد المختار، (ت:1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1425هـ/1995م، ج9، ص138.

3 - التميمي، الآثار المروية في صفة المعية، ص12. وابن تيمية، الفتوى الحموية الكبرى، ص522.

4 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:{ويحذركم الله نفسه}، (7405)، ج9، ص121.

مع الصابرين، وكونه مع الذين اتقوا، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة[1].

والمعية الخاصة في قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}،أي: إن الله تعالى ناصرهم ومعينهم[2]. وقوله سبحانه:{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه، فهو مع موسى وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين، والمعنى أنه سبحانه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك[3].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:"ومعيته مع أهل طاعته خاصة لهم، فهوَ سبحانه مع الذين اتقوا ومع الذين هم محسنون، فالمعية العامة تقتضي التحذير من علمه وإطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه. والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته"[4].

وقال السعدي رحمه الله:"معية الله التي ذكرها في كتابه، نوعان: معية العلم والإحاطة، وهي المعية العامة، فإنه مع عباده أينما كانوا. ومعية خاصة، وهي معيته مع خواص خلقه، بالنصرة واللطف والتأييد"[5].

وعليه هذه بعض النقول أوردتها علي سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر؛ لإثبات أصالة التقسيم، وهُناك نُقول أخرى عن جمع أخر من العلماء كُلهم قالوا بهذا التقسيم

---

1 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت:1250هـ)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيّد المرسلين، ط1، دار القلم، بيروت، 1984م، ص15.

2 - الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر المعروف بتاج القراء، (ت:505هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، ج1، ص617.

3 - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج19، ص260.

4 - ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت:795هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، دار مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 1417هـ/1996م، ج3، ص116.

5 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص944.

للمعية تركتها خشية الإطالة وإنما أردت بهذا التنبيه على ورود هذا التقسيم في كلام أهل العلم.

العلاقة بين التأييد والتثبيت والمعية الإلهية:

المعية تقتضي الإحاطة بالخلق علما وقدرة، وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك من معاني ربوبيته إن كانت المعية عامة لم تخص بشخص أو وصف كقوله تعالى: M > ? @A B L.[الحديد:4]، وقوله: M- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E L. [المجادلة:7]، فإن خصت بشخص أو وصف اقتضت مع ذلك النصر والتأييد والتوفيق والتسديد(1).

فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يقول لصاحبه أبي بكر الصديق وهما في الغار خلال رحلة الهجرة المباركة: M¨ © إِنَّ « ¬ L. [التوبة:40]. فحين قيلت في أحلك الظروف، وأشد المواقف، حينها قد مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في غار ثور ثلاثة أيام، وخلالها كان قد وصل بعض الطامعين في الجائزة المعدة لمن أمسك بهما فقد كان كفار قريش يتبعونهما ويترصدون لهما، وقد أعدوا جائزة مقدارها مائة من الإبل لمن يأتي بخبرهما أو رأسهما وقد أدرك أبو بكر رضي الله عنه بالخطر المحدق به(2). ولنَدَعْ أبا بكر الصديق رضي الله عنه يكمل لنا القصة فليس الخبر كالمعاينة، فعن أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: "مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"(3).

---

1 - ابن العثيمين، محمد بن صالح، (ت:1421هـ)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط3، دار الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1421هـ/2001م، ص97.

2 - الزنداني، عبد المجيد بن عبد العزيز، بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، دار الإيمان، القاهرة، ص250.

3 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، حديث رقم (3653)، ج5، ص4. ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب فضائل الصحابة

ومعنى قوله تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}،أي: بعونه ونصره وتأييده[1].

فالله تعالى هو ناصرنا ومؤيدنا وحافظنا، وهذه ما يطلق عليها العلماء: المعية الخاصة، التي تقتضي النصر والتأييد، والحفظ والإعانة، وهذه النصرة والمعية تكون للعبد بحسب قربة من الله تعالى، فمن كان لله أكثر تقوى وعبادة كانت معية الله أقرب منه؛ لذا فقد أدركت معية الله تعالى الخاصة إبراهيم الخليل عليه السلام حين القي في النار، وأدركت محمدا صلى الله عليه وسلم حين كان مختبئا في الغار، وأدركت يونس عليه السلام حين كان في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر.

فهذه المعية هي مصداق قوله تعالى: M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L.[غافر:51]، وكما إن الله تعالى نصر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأيده وأعانه، فكذالك ينصر ربُنا ويؤيد ويعين كل متبع للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو سبحانه مع الصابرين، ومع المحسنين، ومع الصادقين، ومع المتقين، ومع كل مؤمن بالله، مخلص له في عبادته، متبع لرسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: Mإِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ L.[البقرة: 153]، وقال تعالى: M j k l m n L. [البقرة: 194]، وقال تعالى: M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ × مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ L. [النحل:128]،أي: إنه سبحانه مُعينهم وناصرهم ومؤيدهم[2]. فعندما يكون المؤمن قوياً بأيمانه، واثقاً من موعود الله ونصره وتأييده وتثبيته؛ يستشعر أن معية الله تعالى معه؛ فهذا كليم الرحمن موسى عليه الصلاة والسلام حينما تقابل أتباعه مع جند فرعون وقال أصحابه: M ' (L.[الشعراء:61]، ردّ عليهم موسى عليه السلام مُستشعراً تلك

رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم (2381)، ج4، ص1854.

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص337.

2 - الجزائري، أيّسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج4، ص156.

المعيةُ قائلاً: M * + , - . / 0 1 L.[الشعراء:62]. أي: إن معي ربي سينصرني وسيدلني على طريق النجاة والنصرة [1].

قال الرازي:"قوّى نفوسهم بأمرين: أحدهما أن ربه معه وهذا دلالة النّصرة والتكفل بالمعونة، والثاني: قوله{سيهدين}،أي: إلى طريق النجاة والخلاص، وإذا دله على طريق نجاته وهلاك أعدائه بلغ النهاية في النصرة"[2].

وقال ابن رجب الحنبلي:" فهذه معية خاصة اقتضت حُسن الظن بالله بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته"[3].

فالله سبحانه وتعالى"يخبُر أنه يدافع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم على أعدائهم"[4]. قال تعالى: M ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ L.[الحج:38]، فدفاع الله تعالى عن المؤمنين، ونصره للمتوكلين، وتأييده وتثبيته لهم، وعدم التخلي عنهم هو أمر ظاهر وجلي واضح، فإن الذي حفظ الأنبياء ونجّاهم قادر على انجاء عباده المؤمنين وأوليائه المتقين.

---

1 - الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص354.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص507.

3 - ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت:795هـ)، روائع التفسير(الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، ط1، دار العاصمة، السعوية، 1422هـ/2001م، ج1، ص141.

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص433. والزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج17، ص226.

الفصل الثاني

التأييد والتثبيت في القرآن الكريم وشروطهما

1.2 مصدر التأييد والتثبيت في القرآن الكريم .

إنّ مصدر التأييد والتثبيت في القرآن الكريم هو الله سبحانه - جلّ في علاه - وحده، وأنّ النصر والتمكين بيد مسبب الأسباب، ولنا وقفة مع أنموذج للتأييد والتثبيت في سورة الأنفال وهي تعالج غزوة بدر الكبرى، حيث يقول سبحانه وتعالى: M !

" # $ % & ' ( ) * + , - . /

0 1 2 3 4 6 7 8 9 : ; = > ? @ A B

C D E F G H I J K L M N O P

Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _

` a b d e f g h i j k l m

n o p q r s t u v x y z { | }

~ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ L .[الأنفال:9ـــ13]. لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»[1]. فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ

---

1 - مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غــزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث رقم (1763)، ج3، ص1383.

الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ[1]، "وفائدة التبشير بإمداد الملائكة أن يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدواً قوياً وجيشاً عديداً، فبشرهم الله بكيفية النصر الذي ضمه لهم بأنه بجيش من الملائكة"[2].

"وكان هذا الإمداد ماديا فعليا من قبيل إمداد العسكر بما يزيد عددهم، وشاركت الملائكة في القتال، وأكد ذلك روايات كثيرة ثابتة في البخاري ومسلم وليس ذلك من قبيل الإمداد المعنوي"[3].

ولبيان ذلك قال الرازي:"أجمع أهل التفسير والسيّر أنّ الله تعالى أنزل الملائكة يوم بدر، وأنهم قاتلوا الكفار"[4]، مُستدلا بقول ابن عباس رضي الله عنهما:"لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر، وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون، وهذا قول الأكثرين"[5]، غير إن بعض العلماء أنكروا اشتراك الملائكة في القتال، مُحتجين بعدة أمور منها[6] :- تفضيل أهل بدر على غيرهم من الصحابة، بحديث رسول الله

---

1 - الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج3، ص328. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ص95.

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص276.

3 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج4، ص72.

4 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص351.

5 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج7، ص175. وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص332. والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص297. والرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص 351. الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص435. والآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج5، ص163. وابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (ت:213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، دار مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1375هـ/1955م، ج1، ص634.

6 - رضا، تفسير المنار، ج4، ص93. والنّجار، محمد الطيب، (ت:1411هـ)، القول المبين في سيرة سيّد المرسلين، دار النّدوة الجديدة، بيروت، ص236، 237.

صلى الله عليه وسلم:"لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[1]، فإن كانت الملائكة قد اشتركت معهم في القتال، فأي مزيّة لهم على غيرهم من الصحابة الذين غزوا من بعدهم.

بالإضافة إلى أن اشتراك ألف من الملائكة في القتال يوم بدر فيه تعظيم لأمر المشركين، ورفع لشأنهم، وتصغير لشأن أفضل الصحابة وأشجعهم، وذلك بعدم استطاعتهم قتل أولئك الكفار إلا بمساعدة الملائكة، عدا على أن الملك الواحد من الملائكة قادر على إهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة، أيضا أن أكابر الكفار كانوا مشهورين، وكل واحد منهم يقابله واحد من الصحابة وهو معلوم ذلك لهم، وإذا كان كذلك فيمتنع إسناد القتل إلى الملائكة[2].

فمشاركة الملائكة يجعل هناك فئة كثيرة تضم المؤمنين والملائكة، وفئة قليلة وهم الكفار، فعند ذلك لا يصلح أن يُقال إن الفئة القليلة غلبت الفئة الكبيرة،"وبذلك يتبين لنا أن الملائكة لم تنزل للقتال، وإنما نزلت لتثبيت القلوب، وتقوية الأيمان، ومما يزيد هذا المعنى تأكيدا وقوة، قول الله تعالى بعد ذلك:M - . / 0 1 2 3

4 L {.[الأنفال:10]،... وبهذا يتبين لنا بما لا يقبل الشك والجدال، أن الملائكة إنما نزلت لتثبيت قلوب المؤمنين، ولم تشترك في القتال"[3].

ولكن ظاهر الآيات القرآنية تختلف مع قول القائلين بعدم مشاركة الملائكة للمؤمنين في القتال يوم بدر، بالإضافة إلى ورود أحاديث في الصحيحين تؤكد مشاركة الملائكة، منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رجل من المسلمين يؤمئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مُستلقيا، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرّ ذلك أجمع، فجاءه الأنصاري،

---

1 - مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم (2494)، ج4، ص1941.

2 - ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج5، ص518. والخطيب، عبد الكريم يونس، (ت:1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج5، ص573.

3 - النّجار، القول المبين في قول سيّد المرسلين، ص236،237.

فحدّث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:"صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة"[1]. وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: "هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ"[2]. ومنه أيضاً ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي داود المازني، وكان قد شهدا بدرا، قال: "إنّي لأتبع رجُلا من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفتُ أنه قد قتله غيري"[3]، وهُناك أحاديث صحيحة وكثيرة تدُل على مُشاركة الملائكة للمسلمين في بدر لا أًريد ذكرها تجنبا للإطالة .

والذي يميل إليه الباحث، هو ما ذهب إليه صاحب كتاب السيرة النبوية على ضوء القرآن والسُنّة حيث يقول: "والذي نراه -والله تعالى أعلم- أن الإمداد بالملائكة حصل قطعا لتكثير العدد، وتثبيت القلوب، وإلقاء البشرى، وأن بعضهم قاتل لا كُلّهم، وأن الجهد الأكبر في القتال إنما هو للمسلمين، وبذلك لا نكون قد تعسّفنا في التأويل، وخرجنا عن ظواهر بعض الآيات بغير داع، ولا نردّ الأحاديث الصحيحة الدّالّة على حصول قتال من بعض الملائكة، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"[4].

قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , L.[الأنفال:9]، قال السعدي:"أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لمّا قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم فاستجاب لكم وأغاثكم"[5]، وقال ابن عاشور: "والاستغاثة: طلب الغوث، وهو الإعانة على رفع الشدة

---

1 - مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، حديث رقم (1763)، ج3، ص1383.

2 - البخاري، الجامع المسند، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، حديث رقم (3995)، ج 5، ص 81.

3 - ابن حنبل، المسند، حديث رقم (23778)، ج39، ص195. قال: محققوه إسناده صحيح.

4 - أبو شُهبه، محمد بن محمد بن سويلم، (ت:1403هـ)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنّة، ط8، دار القلم، دمشق، 1427هـ، ج2، ص146.

5 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص316.

والمشقة ولمّا كانوا يومئذ في شدة، دعوا بطلب النّصر على العدو القوّي فكان دُعاؤهم استغاثة، فاستجاب لكم أي: وعدكم بالإغاثة، والفعل استجاب يدل على قبول الطلب، والسين والتاء فيه للمبالغة أي تحقيق المطلوب"[1].

وأضاف أبو زهرة قائلا:"فهذه هي استغاثة رسول الله، وهي استغاثة من معه ... وقد استجاب الله تعالى لاستغاثة نبيه، قال تعالى:{فاستجاب لكم}، فالفاء للعطف الدال على الفورية، أي: أن الإجابة كانت فور الدعاء، وكذلك دعاء النبيين ومن معهم من الصديقين والشهداء والصالحين، والاستجابة بالسين والتاء هي شدة الإجابة كأحسن ما تُجاب به الاستغاثة، لأنها استغاثة لله تعالى فهي إيمان لأجل قوة الإيمان وعزة المؤمنين، وقُرنت الإجابة بما يدل على قوتها، فهي من ربكم الذي يكلؤكم، ويرعاكم"[2].

وقد كانت هذه الاستغاثة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين طالبين من الله تعالى العون والنصر على أعدائهم، والتخلص منهم، في أول لقاء دار بينهم وبين أهل الكفر، فاستجاب لهم سبحانه وأنزل الملائكة تُقاتل معهم[3].

"ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نُعاسا يُغشيكم، أي: يُذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون أمنة لكم وعلامة على النصر والطمأنينة، ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به من الحدث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه، وليربط به على قلوبكم، أي: يُثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن، ويثبت به الأقدام، فإن الأرض كانت سهلة دهسه، فلما نزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام، ومن ذلك أن الله أوحى إلى الملائكة أني معكم بالعون والنصر والتأييد،{فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على

---

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص274.

2 - أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت:1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج1، ص3076.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص200. وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج2، ص191.

عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله"[1]. وكل هذه مظاهر وأشكال تأييد وتثبيت ألاهية سيتم الحديث عنها والتفصيل عنها في مبحث لاحق إن شاء الله تعالى[2].

وفي قوله تعالى:M d e f g h i j k l
m n o p L.[الأنفال:12]، يقول الشعراوي:"كانت أدوات القتال قديماً هي السيوف والرماح والنبال، وكان المقاتل يحتاج رأسه ليخطط به، ويحتاج يديه وأنامله ليمسك بها السيف، ولذلك يُنبّه الحق المؤمنين إلى هاتين النقطتين المؤثرتين فيقول:{فاضربوا فَوْقَ الأعناق واضربوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}، والضرب لما فوق الأعناق هو ضرب الرأس فيفقد القدرة على التفكير، أو تذهب حياته لينتهي، والضرب منهم في كل بنان، أي: ضربهم بالسيوف في أيديهم؛ لأن الضرب في الأيدي إنما يجرحها ويجعلها عاجزة عن القتال"[3]، وقال ابن عاشور:"وإنما خُصّت الأعناق والبنان، لأنّ ضرب الأعناق إتلاف لأجساد المشركين، وضرب البنان يُبطل صلاحية المضروب للقتال"[4]، وفي هذا كلّه شلّ مركزي لحركتي التفكير والتنفيذ.

ولو دققنا النّظر لوجدنا أن مادة (التأييد)، أي: التأييد الإلهي قد استعمل في سياق الحديث عن النصر والجهاد في خمس سور مدنية، وهي: وقوله:M ! " #
$ % & ' ( ) * + , - . / 0
1 2 3 4 L.[الأنفال:26]، وقوله:M ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . L.[الأنفال:62]، وقوله:M u v
w x y z { | } ~ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ ¢ £ ¤ ¥ ¦
§ ¨ © إِنَّ « ¬ ¯ ° ± ² ³ ´ µ
¶ ¸ ¹ ٱلَّذِينَ » ¼ ½ ¾ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ

---

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص316.

2 - انظر: (الفصل الرابع -المبحث الثّاني).

3 - الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)، تفسير الشعراوي، ط1997م، دار مطابع أخبار اليوم، ج8، ص4601، 4602.

4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص283.

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ L .[التوبة:40]، وقوله: M ! " # $ % &
' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4
5 7 8 9 : ; < = > @ A B C
D E F G I J K L M O P Q S T U V W
X Y L .[المجادلة:22]، وقوله: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ×
مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ à نَحْنُ â ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ ç è é ê
ë فَأَيَّدْنَا î ï عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ô L .[الصف:14]، ما عدا قوله تعالى: M O
P Q R S T U W X Y Z [\ ] ^ _
` a c d e f g i j k l m n o L .[آل عمران:13]، فقد جاءت بصيغة المضارع، لأن مقصود هذه الآية هو بيان حقيقة أنّ النّصر والظفر من الله، وممّا لا شك فيه أنّ بناء الفعل المضارع في العربية يُفيد الحدوث والتجدد والاستمرار[1]، ممّا يُشير لنا أنّ التأييد من الله تعالى للمؤمنين مُلازم لحالة الجهاد ما دامت قائمة.

وبهذا يتضح لنا تعليم المؤمنين بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى وحده، وتفويض أمورهم إليه مع التأكيد على أن التأييد والتثبيت الإلهيين إنما هو من عند الله عز وجل وحده، وليس من الملائكة أو غيرهم، فالأسباب يجب أن يأخذوا بها المسلمون، لكن يجب أن لا يغترّوا بها، وأنّ يكون اعتمادهم على خالق الأسباب والوسائل حتى يمدهم الله تعالى بتأييده وتثبيته وتوفيقه .

فقد بيّن سبحانه وتعالى مظاهر فضله على المؤمنين وأنّ النّصر الذي كان في بدر وقتلهم المشركين، ورمي النبي ــــ صلى الله عليه وسلم ــــ المشركين بالتراب يوم

---

1 - انظر: مصطفى، محمود السيّد حسن، الأعجاز اللغوي في القصة القرآنية، تقديم حسن عون، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير.
وينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، ط2، دار عمار، عمان، 1428هـ/2007م، ص9، بتصرف.

بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق من الله تعالى أولا، وبفضله ومعونته وتثبيته لهم ثانيا، قال تعالى:M ! " # $ % ' ( ) * + , - . /

0 1 2 3 5 6 7 8 9 L.[الأنفال:17]، قال الطبري:"أضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبِّب قتلهم، وعن أمره كان قتالُ المؤمنين إيّاهم، وكذلك قوله لنبيه عليه السلام:{وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}، فأضاف الرميَّ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب الرمية لرسوله[1].

وممّا جاء في آية آل عمران التي نحن بصددها الآن، قوله تعالى:M Z [\

] ^ _ ` a b d e f g h i j k l L.[آل عمران:126]، قال الرازي: "فالغرض هُنا يكون بأن يتوكلوا على الله تعالى لا على الملائكة وهذا تنبيه على أن إيمان العبد لا يكتمل إلا عند الإعراض عن الأسباب والإقبال بالكلية على مسبب الأسباب، وقوله تعالى: { الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}، فالعزيز إشارة إلى كمال قدرته، والحكيم إشارة إلى كمال علمه، فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن إجابة الدعوات، وكل من كان كذلك لم يتوقع النصر إلا من رحمته ولا الإعانة على من فضله وكرمه"[2]، فإن النصر من عند الله لا من عند غيره، وبهذا يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوهم بهم وفيه تنبيه على الإعراض عن الأسباب والإقبال على مسبب الأسباب[3].

وفي قوله تعالى:M O P Q R S T U W X Y Z [

\ ] ^ _ ` a c d e f g i j k

l m n o L.[آل عمران:13]، فمن خلال هذه الآية الكريمة يتبين لنا إجابة دعوة اللّه تعالى للمؤمنين لمّا استغاثوه بما ذكره من الأسباب، وفيها الاعتناء

---

1 - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج13، ص441، 442.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص354.

3 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ص 294.

العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية [1]، وفي هذا خبر وبشرى للمؤمنين، وتخويف للكافرين، أنهم لا بد أن يُغلبوا في هذه الدنيا، وقد وقع كما أخبر الله، فغُلبِوا غلبة لم يكن لها مثيل ولا نظير.

"وجعل الله تعالى ما وقع في "بدر" من آياته الدالة على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه على الحق، وأعداءه على الباطل، حيث التقت الفئتان، فئة المؤمنين الذين لا يبلغون إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا مع قلة عددهم، وفئة الكافرين، الذين يناهزون الألف، مع استعدادهم التام في السلاح وغيره، فأيَّدَ الله تعالى المؤمنين بنصره، فهزموهم بإذن الله، ففي هذا عبرة لأهل البصائر"[2].

وفي قوله تعالى: M { | } ~ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ L. [الروم:47]، أي: "هو حقّ أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة، تكرما وتفضلا"[3]. كقوله تعالى: M ; < = > ? L. [الأنعام:54]، وفيها أيضا تبشير للرسول صلى الله عليه وسلم وأمته بالنصر والضفر[4].

وعليه فإن تأييد الله تعالى وتثبيته لعباده نعمةً من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، لذا وجب أن يزداد حبنا وشكرنا وذكرنا له سبحانه، وأن نعترف بفضله ومنته وإحسانه، لأن البشر فُطرت نفوسهم على محبة وشكر من يُسدي إليهم إحساناُ، وعلينا أن نجعل هذه النعمة ـــــ نعمة التأييد والتثبيت الإلهيين - وسيله لعبادة الله سبحانه؛ فلا نتوجه بالذل والخضوع والخشوع إلا له وحده مالك الملك، حتى يكونا هذا عونا لنا على قيامنا بالخلافة في الأرض وفق منهج الله سبحانه وتعالى.

"وهذه الجند المرسلة من السماء، ليست إلا ألطافا من ألطاف الله تعالى بكم في هذا الموقف الحرج، ترون منها بشائر النصر، وتجدون فيها ريح السكينة والطمأنينة، أما

---

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص316.

2 - المرجع نفسه، ص963.

3 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج11، ص278.

4 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج20، ص114. والسمرقندي، بحر العلـــوم، ج3، ص16.

النصر فهو بيد الله وحده، فهو الذي كتب لكم النصر، وليست الملائكة التي قاتلت معكم"[1].

فقد حقق الله تعالى نصركم يوم بدر وأمدكم بالملائكة ليهلك طائفة من رؤوس الكفر والشرك بالقتل والأسر، فقد قتل يوم بدر سبعون وأسر سبعون من رؤساء قريش وصناديدهم[2]، فنزلت هذه الآيات في غزوة بدر الكبرى التي استحوذت على مساحة واسعة من كتب السيرة، ولا غرابة في ذلك، لأنها حمت ظلال الإسلام من الهزيمة والفناء إلى النّصرة والبقاء، إذ لولا تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه وللمؤمنين في هذه الغزوة لما نعموا بهذا الدين السماوي العظيم.

وعليه يتبين لنا جليًّا أن الله تعالى بيّن لنا أن النصر لا يكون إلا من عند الله عز وَجَلَّ وحده، والمعنى من ذلك ليس النصر إلا من عند الله دون غيره، فهو وحده مصدر التأييد والتثبيت، ولكن كي يُحقق اللهُ تعالى وعدهُ بتأييد المؤمنين وتثبيتهم، لا بد من توافر فيهم عدة شروط، وهو ما سنتكلم عنه في المبحث التالي .

2.2 شروط التأييـــد والتثبيت الإلـهيين.

إنّ للتأييد والتثبيت الإلهيين شروطاً ماديةً ومعنويةً، تحدث الله سبحانه - جلّ في علاه - عنها في كتابه العزيز، والذي سار النبي صلوات ربي وسلامه عليه على نهجها مؤتمرا بأمر ربه، فقدم الإنجازات التي بنت كيان هذه الأمة الزاهر، وكانت ثمرة هذه الإنجازات، هي تلك الانتصارات البنّاءة في تاريخ هذه الأمة فكانت نتاجا لتحقيق النصر بشقيه المادي: الذي يُدرك بالحواس، كإعداد العدة من أسلحة وجنود ومال، والاعتصام بحبل الله وعدم التفرقة، والإنفاق في سبيل الله، ومعنوي: الذي لا يدرك بالحواس، كحيازة الروح الإيمانية، والاتصال بالله تعالى بالذكر والدعاء،

---

1 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج20، ص114. والسمرقندي، بحر العلـــوم، ج3، ص16.

2 - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص412. والزحيلي، التفسير المنير فـــي العقيـــدة والـــشريعة والمنهج، ج4، ص75. والشربيني، محمد بن أحمد، تفسير الـــسراج المنيـــر، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ج1، ص198.

والتوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب، واليقين بعد ذلك كله والثقة بان النصر من عند الله .

وكلا من هذين الشقين متى تحققا، ألهمنا الله تعالى تأييده وتثبيته، وحُقق النصر الذي وعدنا الله تعالى به، النصر الذي يحفظ للأمة كيانها واستقرارها وأمنها ورخاءها؛ لذا أوجب الله سبحانه - جل في علاه - على المؤمنين بذل السعة والطاقة لتحقيق هذه الشروط حتى ينالوا النصر العزيز الذي وعدنا الله تعالى به، ولنبدأ بالشروط المادية وذلك لقرب إدراك الحواس منها ثم نُتبعها إياها بالشروط المعنوية .

الشروط المادية: -

الشرط الأول: إعداد العدة.

إنه لابُد للمسلم من قوة ينطلق بها في الأرض وذلك لحماية نفسه وإقامة دينه، قال تعالى: M ¨ © مَّا « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ دُونِهِمۡ » ¼ ½ ¾ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ L [الأنفال:60]؛ "أي: وأعدوا لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم، ما استطعتم من قوة، أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأْي، والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير"[1]، بالإضافة إلى إعداد العدة اللازمة المكافئة للقتال بحسب كل زمان ومكان وحال وذلك بتعليم الرجال القتال، وإعداد السلاح المناسب المتطور، وتحصين النّفوس بالخلق المتين والعلم الصحيح[2].

"فالله تعالى عندما أمر عبادهُ المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر، ولحفظ الأنفس ورعاية الحق والعدل والفضيلة

---

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص324.

2 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج2، ص182.

أمرهم بأمرين: أحدهما إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة، وثانيهما مُرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، فهي مداخل الأعداء ومواضع مُهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جُند دائم مُستعد للدفاع عنها إذا فاجئها العدو على غرة، قاومهُ الفرسان، لسرعة حركتهم، وقدرتهم على الجمع بين القتال وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها، ولذلك عظّم الشارعُ أمر الخيل وأمر بإكرامها، فهذان الأمران هُما اللذان تعول عليهما جميع الدول الحربية إلى هذا العهد التي ارتفعت فيه الفنون العسكرية وعتاد الحرب على درجة لم يسبق لها نظير، بل لم تكن تُدركها العقول ولا تتخيلها الأفكار "[1].

ولو تأملنا لوجدنا أن أبرز مظاهر هذه القوة هو الرمي، وهي قذف العدو على بعد بالقوة التي تردعه وترهبه وتخيفه، "وذلك أنّ رمي العدو عن بعد بما يقتله أسلم من مُصاولته على القرب بسيف أو رمح أو حربة، وإطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يُرمى به العدو من سهم أو قذيفة منجنيق أو طيّارة أو بُندقية أو مدفع وغير ذلك، وإن لم يكن كل هذا معروفا في عصره -صلى الله عليه وسلم - فإن اللفظ يشمله والمراد منه يقتضيه"[2].

ولهذا كان تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقوة في قوله تعالى: M ¨

مَّا © « ¬ ® ¯ ° ± 2 3 ´ µ ¶ ¸ 1

دُونِهِمۡ « ¼ ½ ¾ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ L.[الأنفال:60]. بالرمي إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية على أعواد منبره " أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ " قَالَهَا ثَلَاثًا[3]. فهذا اعتبار على انه أعظم مظهر للقوة هو الرمي .

---

1 - رضا، تفسير المنار، ج10، ص53.

2 - المرجع نفسه، ج10، ص53، 54.

3 - مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليــه، حــديث رقم (1917)، ج3، ص1522.

وقال صلى الله عليه و سلم: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان". قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما لكم لا ترمون". قالوا كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ارموا فأنا معكم كلكم"[1].

وعليه فالمسلمون مُكلّفون بأن يكونوا أقوياء وأن يحتشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين ولتكون كلمة الله تعالى هي العُليا وليكون الدين كله لله .

فمن خلال آيات الكتاب العزيز في إعداد العدة، يظهر لنا أن المادة الأولى والأساسية في إعداد القوة، والتي نوّه الله سبحانه وتعالى في امتنانه على الناس بها هي الحديد الذي فيه بأس شديد ومنفعة للناس، وفي ذلك توجيه للمسلمين نحو هذه المادة التي تعتبر الأولى في إعداد العدة وإبراز القوة والتي يناط بها النصر وتتصاع لها الأمم ويقوم عليها العمران البشري[2]. قال تعالى: M ! " # $ % &

' ( ) * + , - . / 0 1 2 3

4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L .[الحديد:25]. وأنزلنا لهم الحديد فيه بأس شديد، أي: "فيه قوّة شديدة، ومنافع للناس، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدوّ، وغير ذلك من منافعه"[3].

ففي الآية الكريمة بيان على أن الله تعالى خلق الحديد وأوجده، وأنعم به علينا، ليكون قوة شديدة لنا في الدفاع عن أنفسنا، وفي تأديب أعدائنا، وليكون كذلك مصدر منفعة لنا في مصالحنا وفي شؤون حياتنا، فمن الحديد تكون السيوف وآلات الحرب ومنه - ومع غيره - تتكون القصور الفارهة، والمباني العالية الواسعة، والمصانع النافعة[4].

---

1 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، حديث رقم (2899)، ج4، ص38.

2 - شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، ط12، دار الشروق، القاهرة، 1424هـــ/2004م، ص195. بتصرف يسير.

3 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج23، ص201.

4 - طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج14، ص228.

قال سيّد قطب رحمه الله: "إنه يجب على المعسكر الإسلامي إعداد العدة دائما واستكمال القوه في أقصى الحدود الممكنة؛ لتكون القوة المهتدية هي القوة العليا في الأرض؛ التي ترهبها جميع القوى المبطلة؛ والتي تتسامع بها هذه القوى في أرجاء الأرض فتهاب أولا أن تهاجم دار الإسلام، وتستسلم كذلك لسلطان الله"[1].

فإعداد العدة أمر مهم وله أركان يقتضي أن يُسخَّر له ميزانيات خاصة وإمكانيات هائلة، وذلك من تعبئة الأفراد والجماعات وتهيئة الطاقات المالية والعلمية وغيرها، يقول سيد قطب رحمه الله: "ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالا، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:60]. وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي؛ ومن كل شعور قومي أو طبقي، ليتمحض خالصاً لله وفي سبيل الله ولتحقيق كلمة الله، ابتغاء رضوان الله"[2].

وعلى هذا فالمؤمنون مأمورون بإعداد العدة دائما قدر استطاعتهم، ثم يطلبون العون والتأييد من الله، فمدد الله تعالى وتثبيته يجعل المؤمنين هم الأقوى مهما كانت قوة عدوهم، "وكان الهدف قديما وحديثا أن يمتلك المقاتل قوة تمكنه من عدوه ولا تمكن عدوه منه"[3].

وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مدى رمي السهام هو القوة، ولذلك فسّر الرسول صلى الله عليه وسلم القوة بقوله: "ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي"[4]؛ "لأنك بالرمي تتمكن من عدوك ولا يتمكن هو منك، فإذا تفوقت في الرمي كنت أنت المنتصر، وفي العصر الحديث تطورت أسلحة الرمي الفتّاكة، فبعد أن كانت المدفعية لفترة من الزمن هي السلاح المحقق للنصر لبعد مداها،

---

1 - قطب، سيّد، إبراهيم حسين، (ت:1385هـ)، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1412هـ/1992م، ج3، ص1538.

2 - المرجع نفسه، ج3، ص1544.

3 - الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص4776.

4 - مسلم، المسند الصحيح المختصر، حديث سبق تخريجه صفحة رقم (51).

ثم جاءت الطائرات لتصبح هي السلاح الأقوى؛ لأنها تستطيع أن تقطع مسافة طويلة وتلقي بقنابلها وتعود، ثم بعد ذلك جاءت الصواريخ، والصواريخ العابرة للقارات، إلى أخر الأسلحة المتطورة التي تتسابق على اختراعها الدول الآن، وكلها أسلحة بعيدة المدى، والهدف أن تنال كل دولة أرض عدوها ولا يستطيع هو أن ينال أرضها"[1].

"ويضيف الحق تبارك وتعالى: { وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ }، ورباط الخيل هو القوة التي تحتل الأرض، فمهما بلغت قدرتك على الرمي فأنت لا تستطيع أن تستولي على أرض عدوك، ولكنّ راكبي الخيل كانوا يدخلون المعركة في الماضي بعد الرمي ليحتلوا الأرض، وهذه عملية تقوم بها المدرعات الآن، فالمعركة تبدأ أولا رميا بالصواريخ والطائرات حتى إذا حُطِّمت قوة عدوك انطلقت المدرعات لتحتل الأرض، فالطائرات والصورايخ تهلك العدو وتحطمه ولكنها لا تأخذ الأرض، ولكن الذي يُمكننا من الأرض والاستيلاء عليها هو: رباط الخيل، أو المدرعات، فرباط الخيل هو عقدة للحرب"[2].

وهذا من الإعجاز في الأداء القرآني أنه أعطانا ترتيبا للحرب في كيفية استخدام القوة، فتبدأ بالرمي ثم بالخيل، "ونجد في زماننا هذا كله قوة للسيارة أو المدرعة أو الدبابة التي أصبحت تقاس وتكون منسوبة إلى الخيل، فيقال قوة خمسة أحصنة أو خمسمائة حصان"[3].

وعليه يظهر لنا جليا أن التجارب المعاصرة تكشف لنا بكل وضوح أن "إعداد العدة للجهاد أمر واجب"[4].

"فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنصّ القرآن صُنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطيارات والمناطيد وإنشاء السفن الحربية بأنواعها، ومنها

---

1 - الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص4777.

2 - المرجع نفسه، ج8، ص4778.

3 - المرجع نفسه، ج8، 4779.

4 - طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج6، ص308.

الغواصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صُنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب"[1].

فكل هؤلاء أمور أساسية في حياة هذه الأمة، فها نحن نرى القوى الغاشمة قد تكالبت على أمتنا في شتى المجالات وسبب ذلك ضعف قوتنا وعدم تماسكها وعدم استغلالها للطاقات التي بين يديها، فحري بالأمة الإسلامية أن تعد العدة وأن تتسلح بقوتها وعلمها ووحدتها وأموالها، حتى يُلهما الله سبحانه - جل في علاه - تأييده وتثبيته، وذلك ليس من أجل العدوان على الآخرين، وإنما من أجل الوصول بالأمة إلى الاكتفاء الذاتي والاستقلال الحقيقي، ولردع كل مخططات الطامعين في خيرات أمتنا ولإرهابهم حتى لا يعتدون علينا.

الشرط الثاني: الاعتصام بحبل الله تعالى وعدم التفرقة .

حفاظا على قوة المسلمين وكفاية عددهم ومعداتهم يدعوهم القرآن الكريم إلى التوحيد والاعتصام والتمسك جميعا بكتاب الله تعالى وبحبله المتين وهديه وصراطه المستقيم، الذي يربطهم جميعا بربهم وبدينهم ويعصمهم من التفرقة والنزاع والتردي والشقاق؛ إذ لا شيء يضر بالجماعة ويذهب بقوة الأمة أكثر من الاختلاف والتنازع فيما بينهم وتفريق الكلمة وتشعب الآراء، فأمثال هؤلاء تضطرب أحوالهم وتتعطل أعمالهم فلا تقوم لهم قائمة حتى يصيروا نهبا لغيرهم ومطمعا لأعدائهم، فيُحرمون من عون الله تعالى وتأييده ويفتقدون نُصرة القريب وتثبيته.

قال تعالى: M A B C D E F G H I J K L M
N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^
_ ` a b c d e L . [آل عمران:103]. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، أي: تمسكوا بحبل الله، والحبل هو الإيمان وسمي الإيمان حبلا؛ لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف، وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل إليه، فعلى هذا

---

1 - رضا، تفسير المنار، ج10، ص54. والمراغي، أحمد بن مصطفى، (ت:1371هـ)، تفسير المراغي، ط1، دار مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1365هـ/1946م، ج10، ص24.

اختلفوا في معنى الآية قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله؛ لأنه سبب يتوصل إليه، وقيل حبل الله هو الجماعة، فعليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة، وقيل حبل الله يعني أمر الله وطاعته، وَلا تَفَرَّقُوا يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا، ويقتل بعضكم بعضا، أي لا تحدثوا ما يكون عنه من التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والأمر بالاتفاق والاجتماع؛ لأن الحق لا يكون إلا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا[1].

فهذه دعوة من الله سبحانه - جل في علاه - إلى التمسك بدين الله والاجتماع على الحق وان تسود المحبة والمودة بين المؤمنين، وأن يتعظوا ويعتبروا بمن سبقهم من الأمم وأن يتجنّبوا التفرق والنزاع، وأن لا يتّبعوا ما تُمليه عليهم شهواتهم وأهواؤهم وعصبياتهم، ويصيروا بعد ذلك شيعا يضرب بعضهم رقاب بعض، قال تعالى: M v w x y z { | } ~ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ L .[آل عمران:105]. وقال تعالى: M I J K L M N O P Q R ¦ L .[الأنعام:159]. دلت الآية الكريمة على أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف[2]. وفيها حثُ للمؤمنين على أن كلمة المؤمنين ينبغي أن تكون واحدة وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع ما استطاعوا[3].

وفي قوله عزّ وجلّ:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ}، قرأ حمزة والكسائي: فارقوا، بالألف هُنا، أي: خرجوا من دينهم وتركوه[4]، ففي الآية حض للمؤمنين على الائتلاف وترك الاختلاف[5].

---

1 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص277. بتصرف يسير.

2 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص282.

3 - السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص515.

4 - الخطيب، معجم القراءات القرآنية، ج2، ص596.

5 - الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج2، ص533.

"وفي سبيل النهي عن التفرقة يذكر الله تعالى المؤمنين الأولين، وقد حل بينهم بفضل التمسك بكتاب الله والاعتصام به بالود والصفاء محل البغض والجفاء، يذكرهم بتلك الإخوة التي أفرغها عليهم الإيمان بالله، والتي انعم الله تعالى بها عليهم فقضت على ما كان بينهم من حروب طاحنة، وتباغض مستمر، وعداء مستحكم، ووحدت في نفوسهم الإحساس والشعور والرغبة في تحقيق الأغراض السامية، وأصبحوا بفضل هذا الصفاء وتلك الأخوة أسرة واحدة على قلب رجل واحد متحابين متعاونين شعارهم تقوى الله وصالح الناس، وفي هذا إيحاء جلي واضح لمؤمني العصور من بعدهم بأن هذه النعمة ـــ نعمة الإخوة ـــ تدوم بينهم وتثمر ثمراتها، بما وحدت به في أولهم من التمسك بالكتاب والاعتصام بحبل الله "[1].

"وقد أختلف الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون، ولم ينكر منهم أحد على أحد، ولم يقاطع منهم أحد أحدا، بل اقتدى الشافعي بالحنفي، والحنبلي بالمالكي، ويجّل عبد الله ابن عمر عبد الله ابن مسعود، وكانوا جميعا في كل عصورهم مع اختلافهم في الفهم والرأي أخوانا في الله معتصمين بحبل الله"[2].

فما أجمل أن نرى علماء المسلمين وقد اجتمعوا على اختلاف آرائهم الفقهية يبحثون شئون الإسلام، ويستعرضون أحواله، ويرسمون خطط الدعوة إلى الله وفيهم الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، وفيهم علماء الدين ورجال الدولة وغاية الجميع واحدة هي العمل على ضم صفوف المسلمين وتنقيتها من أشواك التفرقة [3]. فكلهم صفوفا متراصة خلف إمام واحد، يدعون ربا واحدا، مُتجهين إلى قبلة واحدة.

فوحدة الأمة والاعتصام بدين ربها هي الوحدة الحقيقية التي بواسطتها ينالون عون الله تعالى وتأييده، فيتحقق النصر على الأعداء وبتفرقها يؤدي إلى هزيمتها وضعفها وزوالها. قال تعالى: M A B C D E F ! L .[آل عمران:103].

---

1 - شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص111.

2 - المرجع نفسه، ص110.

3 - المرجع نفسه، ص110،111 بتصرف يسير.

فقد يُحقق المسلمون النصر على أعدائهم بوحدة الكلمة وهذا هو الطريق الذي بواسطته أن يحرروا أوطانهم وينالوا حريتهم ويحفظوا أموالهم وأهليهم .

يقول وهبة الزحيلي :"الاعتصام والتمسك بالقرآن وبدين اللّه تعالى وطاعته، والالتفاف الموحد حول أحكام اللّه حلالها وحرامها، واجتماع المسلمين على وحدة الهدف والغاية من أجل صون الحرمات والبلاد من عدوان المعتدين فإنه لم يتوافر لأمة مقومات تجمع بين شعوبها وأفرادها مثل ما توافر لأمة الإسلام، وهي الآن مع الأسف أبعد الناس عن اجتماع الكلمة ووحدة الصف والغاية والمنهج"[1].

فوحدة الأمة أمر أساسي وضروري، وذلك كي تعيش عزها التي عاشته في عصورها السابقة، فوحدة الأمة هو الطريق الوحيد الذي يعيد للأمة نصرها وعزها ورفعتها بين الأمم، وهذا الأمر ليس بصعب كما يصوره أعدائنا، فلنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة، فهو معلم البشرية، فقد وحدّ أمة العرب بالرغم من كثرة النزاع والشقاق الذي دبّ أوصالها، والتي صورها لنا القرآن الكريم أروع تصوير، قال تعالى:M (* + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ B C D E L.
[الأنفال:63،62].

"وعندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار وربطهم رباطا محكما بذلك الإخاء الذي أثمر المحبة والإيثار، ولكن لم يتركهم يخلدون إلى الأرض ويقعدون لحرث الأرض وزراعتها مع حاجتهم إلى ذلك، وإغاثتهم في أنحاء الجزيرة على صفة غزوات شارك فيها بنفسه أو سرايا أمّر عليها بعض الصحابة"[2].

فلا بُد لنا في هذا العصر أن نقتدي برسولنا الكريم، فما أحوجنا إليه وإلى التمسك بسنته ذلك إذ "لم يروا أن أمة تفككت عُراها واختلفت جماعاتها وفئاتها وتباينت

---

1 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج4، ص29.

2 - القادري، عبد الله بن أحمد، الجهاد في سبيل الله غايته وحقيقته، ط2، دار المنارة، جدة، السعودية،1413هـ/1992م، ج2، ص460.

آراؤها وتفرقت كلمتها وأهدافها تمكنت من النصر على أعدائها، فالنصر حليف الوحدة حليف الاتحاد، حليف التناصر والتساند والتراحم والتعاطف"[1].

وعليه فإن عاقبة التفرق وخيمة وبخاصة فيما يوجب التوحد والالتئام، فإذا أنفرط عقد المقاتلين وتوزعت الأغراض والمقاصد واختلفوا على ذلك وتنازعوا فقد فتحوا بذلك أبواب شر عظيم، إنه الفشل وذهاب الريح واضمحلال القوة، قال تعالى: M $ % & ' (L .[الأنفال:46]. أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم[2].

والمراد من ذلك أنه سبحانه وتعالى نهى عن التنازع والاختلاف، لأن ذلك سيؤدي إلى الفشل وهو الجبن في الحرب، وسيؤدي إلى ذهاب الريح أي ذهاب القوة والنصر [3].

الشرط الثالث: الإنفاق في سبيل الله تعالى .

يُعدّ إنفاق المال من أهم العناصر الحيوية التي تعتمد عليها عملية إعداد القوة، ويستحيل وجود قوة للأمة المسلمة بدون هذا العنصر، فهو عامل أساسي في تحقيق النصر واستقرار الأمة. "و قد رغّب القرآن الكريم في مواضع عديدة بالإنفاق به؛ لأنه وسيلة إغناء وتحقيق رفاه للجميع، وواسطة متعيّنة لصون عزّة الأمة وكرامتها ودحر عدوان المعتدين عليها، فما بخلت أمة بمالها إلا حاق بها الذّل والاستعباد، وتكالبت عليها الأمم"[4].

ولقد دعا القرآن الكريم إلى بذل المال وإنفاقه رخيصا في سبيل إعداد الأمة إعداد قويا، قال تعالى: M M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] _ ` a b c d e f g L .[البقرة:261].

قال الشوكاني:"اقتضت هذه الآية بأن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف"[5]، ويرى القرطبي: أن الحسنة تضاعف أكثر من سبعمائة ضعف لقوله تعالى:{والله يضاعف

1 - غوشة، عبد الله، الجهاد طريق النصر، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الأردن، 1396هـ/ 1976م، ص 189.

2 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص322.

3 - الشوكاني، فتح القدير،ج2، ص359.

4 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج3، ص43.

5 - الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص326.

لمن يشاء}."يعني على سبعمائة"[1]. "فالمقصود من الآية أنه إذا علم الإنسان الطالب للزيادة والربح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك، ولا التقصير فيه، فكذلك ينبغي لمن طلب الأجر عند الله في الآخرة أن لا يترك الإنفاق في سبيل الله، إذا علم أنه يحصل له بالواحد سبعمائة"[2].

ولهذا فقد"أخبرنا الله أن ما نُنفقه في سبيله يتضاعف لنا أضعافا كثيرة، فهو مفيد لنا في دنيانا وأخرانا"[3].

قال تعالى:M p q r s t u v w x z | | } ~ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

﴿١٩٥﴾ L . [البقرة:195]. فهُنا"يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير، من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته، وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين، وتوهين الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم"[4]. "وعند دراستنا لآيات الجهاد في القرآن الكريم نجد الاقتران بين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس، فالجهاد بالمال أمر مكمل للجهاد بالنفس، بل إن الجهاد بالنفس متوقف على المال، فالمال هو مصدر الإنفاق والإطعام وشراء الأسلحة وتأمينها وإعداد كل ما هو لازم للقتال"[5]. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا

---

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص303.

2 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص198، 199.

3 - طبّارة، عفيف عبد الفتّاح، روح الدين الإسلامي، ط28، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص338.

4 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص90.

5 - الجعوان، محمد بن ناصر، القتال في الإسلام، ط2، دار مطابع المدينة، الرياض، 1403هـ، ص29.

رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم"مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله"[1].

وبالتالي فإن للإنفاق أثر كبير في تحقيق النصر، وقد أعدّ الله سبحانه للمنفقين أجرا عظيما، قال تعالى: M ´ µ ¶ ¸ ¹ قَرْضًا « ¼ ½ ¾ كَثِيرَةً L . [البقرة:245]. قال الشيخ محمد رشيد رضا:"القتال للدفاع عن الحق أو لحماية الحقيقة يتوقف على بذل المال لتجهيز المُقاتلة ولغير ذلك ... ولهذا قرن الله تعالى الأمر بالقتال، بالحث على بذل المال، فالمراد بالبذل هُنا ما يُعين على القتال، وما هو بمعناه من كل ما يُعلي شأن الدين، ويصون الأمة ويمنعها من عدوان العادين، ويرفعُ مكانتها في العالمين، وقد ذُكِرَ حُكم هذا الإنفاق في سبيل الله بعبارة تستفز النّفوس، وأسلوب يحفز الهمم، ويبسط الأكف بالكرم"[2].

"فالإنفاق هو صرف للمال إلى وجوه المصالح فلذلك لا يقال في المضيّع إنه منفق، فإذا قيّد الإنفاق بذكر سبيل الله فالمراد به طريق الدين لأن السبيل هو الطريق، وسبيل الله هو دينه؛ فكل ما أمر الله به في دينه من الإنفاق فهو داخل في الآية"[3].

وعلى هذا فقد رغب الحق سبحانه المؤمنين في الإنفاق بما أعده لهم عنده يوم القيامة من الأجر العظيم. قال تعالى: M ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ خَوْفٌ « ¼ ½ ¾ ﴿٢٧٤﴾ L [البقرة:274]. قال ابن كثير:"هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سر وجهار"[4]. وقيل أيضا "أي يعمّون الأوقات والأحوال بالخير والصدقة... ولعل تقديم الليل على النهار والسر على

---

1 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مُجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حديث رقم (2786)، ج4، ص15.

2 - رضا، تفسير المنار، ج2، ص366.

3 - أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص294. وابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج3، ص352.

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص707.

العلانية للإيذان بمزية الإخفاء على الإظهار وقيل في رباط الخيل والإنفاق عليها"[1].

"وكلمة (عند ربهم) فيها من التشريف والترغيب في النفقة ما يستجيش شعورهم ويحضهم على البذل بسخاء في سبيل الله الذي سيجدون عنده الثواب الجزيل"[2].

ولقد ضرب سبحانه لنا مثلا للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته فقال عز من قائل:M ! " # $ % & ' ( ) *

+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 :

; < = L.[البقرة:265]. قال الزمخشري: وقد فُسر قوله تعالى:{وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}."أي يثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان، لأن النفس إذا رضيت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ظلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في أتباع الشهوات وبالعكس، فكان إنفاق المال تثبيتا على الإيمان واليقين، فإذا بذل صاحب المال ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبّتها كلها"[3].

فقد"دلت هذه الآية الكريمة على أن المؤمنين بما رزقهم الله تعالى من اليقين والتصديق المثبت لقلوبهم يقبلون على إنفاق أموالهم، طيبة بها نفوسهم؛ طلبا لما عند الله من الأجر والمثوبة، وهم على يقين بالثواب والتصديق بوعد الله"[4].أي بنصره وتأييده وتثبيته لهم .

"وقد رغب الله تعالى في بذل المال والنفس في سبيل إعلاء دينه بأن جعل ما يقدمه المؤمنون من مال ونفس صفقة تجارية بينهم وبين ربهم سبحانه، فالله سبحانه

---

1 - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت:982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص265. والآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص46.

2 - الدّقس، كامل سلامة، الجهاد في سبيل الله، ط2، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مكة المكرمة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1409هـ/1988م، ص82.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص313.

4 - الخضيري، عبد العزيز بن عبد الله، الثبات على الحق في ضوء الكتاب والسنة، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد(1)، العدد(1)، 1429هـ/2008م، ص83.

وتعالى هو المشتري والمؤمن هو البائع، والثمن هو الجنة"[1]. قال تعالى:M ¦ § ¨

© مِنَ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶

¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ

مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ L .[التوبة:111].

لقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم عظمة ومقدار هذه الصفقة فنظروا إلى "المشتري من هو؟ وهو اللّه جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان، وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب اللّه الكبار المنزلة على أفضل الخلق"(2). وقد وفّى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العقد، وشهدت لهم دمائهم التي أراقوها من مكة والمدينة إلى الشام وغيرها من البلدان،"ففي هذه الآيات تشجيع قوي ينفذ إلى أعماق النفس من شأنه أن يدفع المؤمن إلى التضحية بنفسه إلى القتال راضيا مُطمئنا إلى ربحه العظيم وفوزه بالجنة التي باع نفسه من أجلها"[3].

قال تعالى:M o p q r s t u v w x y z { |

} ~ فِي سَبِيلِ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © كُنتُمۡ « ¬ L.[الصف:10-11]. يقول السعدي رحمه الله:"هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم ... بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك ولو كان كريها للنفوس شاقا عليها، فإنه خير لكم إن كنتم تعلمون"[4].

---

1 - الدّقس، الجهاد في سبيل الله، ص76.

2 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص352.

3 - الدّقس، الجهاد في سبيل الله، ص111.

4 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص860.

"فالإنفاق في سبيل الله هو التجارة الرابحة التي تنفع صاحبها يوم القيامـــة"[1].

يقول سبحانه:M ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ فِى » ¼ ½ ¾ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ L .[الـــصف:12،13].

"وهذا كله من ربح تلك التجارة العظيمة التي لا تبور، فيقول للمؤمنين إن فعلتم مــا أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنــات والمــساكن الطيبــات والدرجات العاليات وأخرى تحبونها أي وأزيدكم على ذلك، أخرى تحبونهـــا وهـــي نصر من الله وفتح قريب،أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنـــصركم، فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصولا بنعيم الآخرة"[2]. "فما أعظمها من صفقة، وهي أن تتاجر مع الله، فتبيع نفسك ومالك لله، ويكون الجزاء الجنة" وهذا كله مــن ربــح تلك التجارة العظيمة التي لا تبور[3].

وعليه فإن"من القواعد التي تحقق النصر، بذل المال وإنفاقه فــي ســبيل الله لإعداد القوة اللازمة للدفاع والحماية إذ لا يتم شيء منها بدون المال"[4]. ولذلك قــال تعــالى:وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ L .[الأنفــال:60]، "فالغاية من الإنفاق في الجهاد وغيره هي رضوان الله ونصرة دينه وإعلاء كلمته، ليس للمنفق أن يتخذ غاية تتعارض مع هذه الغاية، فلا يتبع ما أنفق منا ولا أذى ولا فخــرا ومفاخرة على الأقران"[5].

ولهــذا قــال ســبحانه:M ¨ © مَّا « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ دُونِهِمْ » ¼ ½ ¾ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن

---

1 - طبّارة، روح الدين الإسلامي، ص339.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص112.

3 - العاصي، رائد عبد الكريم، القوة في القرآن الكريم، نــابلس، فلــسطين، 2009م، رســالة ماجستير، ص78.

4 - غوشه، الجهاد طريق النصر، ص183.

5 - أبو فارس، محمد عبد القادر، المدرسة النبوية العسكرية، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1413هـــ/1993م، ص112.

شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ L .[الأنفال:60]."فربطت الآية الكريمة بين إعداد القوة لإرهاب العدو، وبين البذل والإنفاق ربطا وثيقا، ووعدت المنفقين حسن الجزاء وأطيب الوفاء، وبدون الإنفاق والبذل فلن يكون هناك إعداد، فكل إعداد للعدة أو تجهيز للمجاهدين يحتاج إلى مال ومن هنا كان الربط بين الإعداد والإنفاق"[1].

"ولذا أمر اللّه المؤمنين بالإعداد الدائم للقوة الحربية لمواجهة الأعداء، وفي هذا كما أشارت الآية إرهاب للعدو، ومنعه من التفكير في العدوان على الأمة والمقدسات، وبما أن الإعداد المادي والأدبي والفني للجهاد متوقف على الدعم المالي، أوجب اللّه على المؤمنين المساهمة في الإنفاق على متطلبات القتال بحسب الحاجة وعلى قدر الطاقة والسعة"[2]."فإن ما يبذله الناس إن هو إلا رصيد لهم مذخور، يجدونه يوم يحتاجون إلى رصيد، يوم يحشرون مجردين من كل ما يملكون، فلا يجدون إلا ذلك الرصيد المذخور، فإذا بخلوا بالبذل، فإنما يبخلون على أنفسهم وإنما يقللون من رصيدهم"[3].

فتأييد الله تعالى وتثبيته للمؤمنين لا يأتي من الفراغ والتمني، وإنما يتشكل بفضل الله تعالى أولا ثم بالإعداد والإنفاق في سبيل الله تعالى ثانيا؛ فالمؤمنون مأمورون بالإنفاق في سبيله الله تعالى دائما قدر استطاعتهم، ثم يطلبون العون والتأييد والتثبيت من الله سبحانه ـــــ جلّ في علاه ـــــــــــ فمدد الله تعالى يجعل المؤمنين هم الأقوى مهما كانت قوة عدوهم. مما سبق يتضح لنا أن المؤمنين مكلفون في الإنفاق في سبيل الله تعالى، وذلك كي يحصلون على تأييده سبحانه وتثبيته لهم .

وبعد: فهذه أمهات وشروط التأييد والتثبيت المادية - كما انتهى البحث إليها - استنباطا من آيات القرآن الكريم أو تصريحا بها، وهي كما رأينا - ليست وحدها

---

1 - الدّقس، الجهاد في سبيل الله، ص75.

2 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج10، ص51.

3 - الشحود، علي بن نايف، المهذب في عوامل النصر والهزيمة، ط1، 1433هـــ/2012م، ص546.

الفاعلة في استجلاب نصر الله تعالى وتأييده وتثبيته وتحصيله، وإنما يسبقها أو يواكبها - شروط أخرى معنوية، لا تقل أهمية عن الشروط المادية، وبتحصيلهما معا يستكمل المسلمون شروط النصر ومقوماته في إعدادهم وتحضيرهم تهيئا لملاقاة أعدائهم .

الشروط المعنوية: -

الشرط الأول: حيازة الروح الإيمانية (الإيمان الخالص لله تعالى).

الإيمان بالله تعالى هو أول شرط معنوي من شروط التأييد والتثبيت، وهو الأمر الذي يترتب عليه تحقيق النصر من الله تبارك وتعالى، وهو الطاقة التي تدفع بصاحبها إلى الحركة والعمل، والزاد الذي يتزود به في نوازل المحن، بدونه لا يستطيع المرء أن يصبر على بلاء، ولا أن يطمع في رجاء .

فالإيمان المترتب عليه نصر الله تعالى وتأييده وتثبيته ليس مجرد إيمان فقط، وإنما إيمان خالص لله متجرد عما سواه، قال تعالى:M o p q r s t u v w x y z { | } ~ فِي سَبِيلِ ¢ £ ¤ ¦ § ¨ ©كُنتُمْ « ¬ L.[الصف:10،11]، ففي الآية الكريمة "جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة،لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار، ثم بين سبحانه هذه التجارة التي دل عليها فقال: تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فهو خبر بمعنى الأمر بالإيذان بوجوب الامتثال له سبحانه"[1]. "فهو سبحانه وتعالى في هذه الآيات، التي وعد المؤمنين في آخرها بالنصر والفتح، خاطب المؤمنين وناداهم بقوله:{يا أيها الذين آمنوا} ثم طلب منهم أول مطلوب لنيل ما وعدهم به، فقال:{تؤمنون بالله ورسوله}. هُنا سبحانه ناداهم مُثبتاً لهم الإيمان، ثم طلب منهم الإيمان به ورسوله تنبيهاً لهم وانتداباً لهم، ليخلصوا الإيمان ويجردوه ويصفّوه من كل شائبة، فينالوا بذلك ما وعدهم به، إذاً فوعد النصر

---

1 - الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص264.

والفتح والتمكين مترتب على الإيمان الخالص الصادق النقـــي ولـــيس علـــى أيمـــا إيمان"[1].

"فقضية الإيمان ليست أمراً على هامش الوجود، يجـــوز لنـــا أن نغفلهـــا أو نستخف بها أو ندعها في زوايا النسيان، كيف وهي أمر يتعلـــق بوجـــود الإنـــسان ومصيره، بل قضية الإيمان أعظم قضية مصيرية بالنظر إلى الإنسان، إنها ســـعادة الأبد أو شقوته، إنها الجنة أبدا أو النار، فكان لزاما علي كل عاقل أن يفكـــر فيهـــا، ويطمئن إلى حقيقتها، وقد فكر الكثيرون من أولي الألباب وانتهى كل منهم إلي إثبات العقيدة في الله بطريقته الخاصة"[2].

ولو تأملنا نصوص الكتاب العزيز، لوجدناها تؤكد أن الإيمان بالله ورسوله، هو القاعدة الأساسية والمنطلق للحصول على تأييد الله تعـــالى وتثبيتـــه للمرســـلين وأتباعهم من المؤمنين . قال تعـــالى:M ¥ ¦ § ¨ © ﭐﱠ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ L.[محمد:7،8]، قال السعدي رحمـــه الله: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهـــاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله، وثبّت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعيـــنهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعـــال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره؛ وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل فإنهم في تعس، أي: في انتكاس من أمرهم وخذلان"[3].

---

1 - الشهري، أحمد بن حمدان، عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، ط1، دار القاسم، الرياض، 125هـ/2004م، ص48.

2 - القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ط12، دار ومكتبة وهبة، 1412هـــ، ص3، مـــن المقدمة.

3 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص785.

وعليه فإنه "متى استقر الإيمان في نفوس المؤمنين وتمثل في واقــع حيــاتهم منهجاً للحياة ونظاماً للحكم وتجرُداً لله في كل خاطرة وحركة وعبادة لله في الصغيرة والكبيرة؛ فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً"[1].

قـــال تعـــالى: M n o p q r s u v x y

z { | } ~ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ¢ £ ¤ ¥ ¦ §

¨ © أَنزَلَ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ع

» ¼ ½ ¾ ! " # $ % & ' ( ) + , - . L

[التوبة:25-27]، ففي هذه الآيات "تذكير للمؤمنين بنصر الله لهم، وابتلائــه إيــاهم بالتولي والهزيمة يوم حنين على عجبهم بكثرتهم ورضاهم عنها، ونصرهم من بعــد ذلك ليتذكروا أن عناية الله تعالى وتأييده وتثبيته لرسوله وللمؤمنين بالقوى المعنويــة أعظم شأنا من القوى المادية ...، وأن نصر الله لهم لم يكن بقوتهم، أو عصبية أحــد منهم، أو قوة مالهم إنما كان ذلك بفضل الله تعالى عليهم، وما انزلــه علــيهم مــن السكينة، وما أمدهم به من جنود"[2].

ففي غزوتي أُحد وحنين، نجد أن أسباب الهزيمة، هو عدم ملامــسة الإيمــان لقلوب طائفة من المؤمنين، فالإيمان العميق الخالص إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش بها، ففي حنين "كانت الهزيمة للمسلمين فعُلِّلــت بوجــود شــائبة خالطت إيمان الجماعة المؤمنة أو طائفة منها فأودت بالكل إلى الهزيمة أو الأنخذال والإدبار"[3]، فالإيمان الخالص لله تعالى يعتبر"أول مقــوم مــن مقومــات النــصر والتمكين، وهو رأسها، وبدونه لا قيمة لغيره من المقومات والأدوات"[4].

"أما في أُحد فقد تحقق النصر أول الأمر وســطع نجمــه وعاينــه المؤمنــون بعيونهم، وباشروا نتائجه بأيديهم، فانطلقوا يجمعون غنائم أولئــك الكفــار الفــارين

---

1 - قطب، في ضلال القرآن، ج2، ص782.

2 - رضا، تفسير المنار، ج10، ص 217،218. بتصرف يسير.

3 - الشهري، عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، ص48.

4 - السيّد، محمد يوسف محمد، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القــرآن الكــريم، ط1، دار السلام، مصر، 1418هــ/1997م، ص28.

المنهزمين وقد صدقهم الله وعده وهو لا يخلف الميعاد، حتى إذا كانوا على أحسن حال، جاءت لوثة إرادة الدنيا من طائفة الرماة، وشابت إيمانهم فكانت المعصية والهزيمة مباشرة"[1].

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (جعل النبي صلى الله عليه و سلم على الرجالة يوم أحد ـــ وكانوا خمسين رجلا ـــ فمنهم عبد الله بن جبير فقال: "إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم". فهزموهم أي هزم المسلمون المشركين، قال فأنا والله رأيت النساء يُشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم، الغنيمة ! ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله ابن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، أي المسلمون) [2].

وفي قوله تعالى:M « ¼ ½ ¾ لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ L.[الأنفال:45]. "ففي هذه طائفة من الإرشادات والوصايا الإلهية التي تُعدّ من ركائز قواعد القتال وأسسه الضرورية النابعة أصالة من وعاء الإيمان؛ لذا افتتحت بخطاب المؤمنين المصدقين بالله ورسوله، حتى وإن كانوا قلائل ضعفاء، فالإيمان يمنح القوة ويرفع المعنويات، أما الكفر فشأن أهله الجبن وضعف المعنويات، حتى وإن انتصروا أحيانا"[3].

وعليه فإن "من الإيمان أخذ العدة وإعداد القوة في كل حين بنية الجهاد في سبيل الله، وتحت هذه الراية وحدها مُجردة من كل إضافة ومن كل شائبة، وبقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية ثم يعود النصر للمؤمنين، ففي أُحُد مثلاً كانت

---

1 - الشهري، عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، ص 48.

2 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، حديث رقم (3039)، ج4، ص 65.

3 - الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، ط1، دار الفكر، دمشق، 1422هـ، ج1، ص 806.

الثغرة في ترك طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي الطمع في الغنيمة، وفي حُنين كانت الثغرة بالكثرة والإعجاب"(1). وبهذا تناسينا السند الأصيل وهو أن التأييد والتثبيت بيد الله تعالى وحده، وأنا الله تعالى يقول: ? @ A B C D E F L .[النساء:141]. أي حجة أو غلبة في الدنيا والآخرة(2). "وتسلطا واستيلاء عليهم"(3). فهنُا إشارة من الله سبحانه -جل في علاه - إلى تثبيت الروح الإيمانية وأنها هي التي تنتصر وهي التي تسود بإذن الله .

وخلاصة الأمر أن الإيمان الخالص"نعمة عظيمة جليلة في حياة المسلم، تزكّي العمر وتبارك الحياة، وتضمن الآخرة، وترفع صاحبها في الدنيا والآخرة؛ لأن فيها الحياة الحقيقية والسعادة الأخروية، وهذه النعمة لا يعرفها إلا من ذاق حلاوة طعمها، ولا يحسّ بها إلا من عاشها فهو منحة ربانية يمنها الله تعالى على عبادة المؤمنين الصّادقين برحمته وبفضله وعطائه، فمن وجده فقد وجد الخير كله، ومن فقده فقد كل شيء، ولم ينفعه أي شيء"(4).

"وكذلك ولاية الله تعالى لعبده هي بحسب إيمانه، فإذا نقص الإيمان وضعف، كان حض العبد من ولاية الله له، وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل. قال تعالى:Mفَأَيَّدْنَا Î Ï عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ L.[الصف:14]. فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد"(5). فالإيمان الكامل هو الفاعل المحرك المؤثر وهو شرط أساس من شروط التأييد والتثبيت الذي نقصده ونسعى إليه .

---

1 - قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص782.

2 - أنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج9، ص324. والإدريسي، أحمد بن محمد، 1224هـ، البحر المديد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط2، الناشر حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ، ج1، ص578.

3 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص210.

4 - المحمود، عبد الرحمن بن صالح، الإيمان حقيقته وخوارمه ونواقضه، ط1، دار مدار الوطن للنشر، الرياض، 1424هـ/2003م، ص 169.

5 - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت:751هـ)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقهي، دار مكتبة المعارف، الرياض، ج2، ص182.

الشرط الثاني: الاتصال بالله تعالى بالذكر والدعاء .

ذِكْرُ الله تعالى ودعائه هو الغاية المنشودة، الذي من أُعطيه اتصل، ومن مُنعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا[1]. وهو نعمة كبرى، ومنحة عظمى، بهما تُجلب النعم، وتُدفع النقم .

وهو"منزل القوم الذي منه يتزودون، وفيه يتجرون، وإليه دائما يترددون، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطّاع الطريق، ومائهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكُرُبات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون"[2]. "فهو اللجوء إلى الله، والتوجه إليه، وإظهار التذلل والافتقار بين يديه؛ فهو من أعظم دواعي ثبات المؤمن على دينه، واستقامته عليه"[3].

فذكر الله تعالى ودعائه، هو عبودية القلب واللسان وهي عبادة غير مؤقتة، وكما أن الجنة قيعان فهما غراسها، وهما باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته. "فهو جلاء القلوب وصقالها، ودوائها إذا غشيها اعتلالها، يحفظ الله به على المؤمن كل شيء، ويكون عوضا له عن كل شيء"[4].

وذكر الله تعالى ودعائه من أعظم شروط تأييد المؤمن وتثبيته عند لقاء العدو.

قال تعالى:M « ¼ ½ ¾ لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ L . [الأنفال:45]. فهنا أمر بالثبات وأمر بما يعين عليه وهو الذكر،

---

1 - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ص395. بتصرف يسير.

2 - العفاني، سيّد بن حسين، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مُبشرات النصر والتمكين، دار ماجد عسيري، ص469.

3 - الخضيري، الثبات على الحق في ضوء القرآن الكريم، ص93.

4 - العفاني، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، ص 470.

فإن ذكر الله تعالى يعين على الثبات في الشدائد، ويمنح الطمأنينة والسكينة، حيث يشعر المقاتل بأنه لا يقاتل وحده، بل الله معه، فيثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس(1).

قال ابن عطية الأندلسي:"إذا لقيتم فئة فاثبتوا أي اذكروا الله؛ لأن الثبات هو الصبر وذكر الله هو الدعاء"(2). وفي ذلك "تنبيه على أن الإنسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله، فالمراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء"(3).

"والذكر كما طلب اللّه تعالى يكون دائما وبكثرة؛ لأنه أداة الفلاح إذ هو وسيلة الخشية، ومتى وجدت الخشية، وجدت الطاعة، واجتنبت المعصية، وذلك هو الفوز والسعادة"(4).

فذكر الله تعالى ودعائه متلازمان لا غنى لأحدهما عن الأخر "فالدعاء باب عظيم، فإذا فُتِحَ للعبد تتابعت عليه الخيرات، وانهالت عليه البركات، فلابد من تربية الأفراد الذين يعدون لحمل الرسالة وأداء الأمانة على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء؛ لأن ذلك من أعظم وأقوى عوامل النصر" (5). ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعوا ربه في معاركه، ويستغيث به، وينصره، ويمدّه بجنوده، ومن ذلك ما حصل يوم بدر"نظر صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه

---

1 - القرطبي، تفسير القرطبي، ج8، ص 23.

2 - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص137. والثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ص231.

3 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص316.

4 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج5، ص 251.

5 - الصلابي، علي محمد محمد، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ط1،مكتبة الصحابة، الإمارات، ومكتبة التابعين، القاهرة، 1422هـ/2001م، ص267.

وجعل يهتف بربه قائلا: "اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة مــن أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"[1]. فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم ألتزمــه مــن ورائه فقال يا نبي الله كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فانه سينجز لك ما وعدك، فــأنزل الله إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ"[2].

"فذكر الله عند لقاء العدو يؤدي بوظائف شتى: إنه الاتصال بــالقوة التــي لا تُغلب، والثقة بالله الذي ينصُر أولياءه، وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها فهي معركة لله لتقرير إلوهيته فــي الأرض وطــرد الطواغيــت المُغتصبة لهذه الإلوهية"[3].

فذكر الله تعالى ودعائه هو سبب لحصول النصر على الأعداء؛ فقد جاء فــي دعاء طالوت وأصحابه، لما برزوا لجالوت وجنوده، قال تعــالى: M g h i j k l m n o p L.[البقــرة:250]. فكانــت النتيجـــــــة أي: M r s t u v w x y z { | } ~ ﭑ L.[البقرة:251]. أي: "غلبوهم وقهروهم بنــصر الله لهم"[4].

فالاتصال بالله تعالى بالذكر والدعاء هو خير الأعمال على الإطلاق، وأرفعها عند الله، فهو يعدل الضرب بالسيف في سبيل -الله عز وجل- كما قــال صــلى الله عليه وسلم:"ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فــي درجــاتكم،

---

1 - مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غــزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث رقم (1763)، ج3، ص1383.

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص274.

3 - قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1528.

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص669.

وخير لكم من إنفاق الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: "ذكر الله"[1].

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم، أنه كان يكثر من قول: "اللهـم يـا مقلـب القلوب ثبت قلبي على دينك".فلما سُل عن ذلك، قال: "إن قلوب العباد بين إصـبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"[2]. وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يـذكر الله ويدعوه في جميع معاركه، ومن ذلك قوله:"اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْـزِمِ الأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ"[3]. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال: "اللهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، وَبِكَ أُقَاتِلُ"[4].

ومن دعائه أيضا أنه كان إذا أصاب قوما قال:"اللهم إنا نجعلك في نحـورهم، ونعوذ بك من شرورهم"[5]. ومعنى قوله -صلى الله عليه وسلم- اللهم إنا نجعلك في

---

1 - الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت:279هـ)، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عـواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث رقم (3377)، ج 5، ص 459. قال: الألباني حديث صحيح.

2 - ابن حنبل، المسند، حديث رقم (12107)،ج3، ص120،. قال: محققوه حديث صحيح على شرط مسلم.

3 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهـي الأحـزاب، حديث رقم (4115)، ج5، ص111. ومسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، حديث رقـم (1742)، ج 3، ص 1363.

4 - انظر: الترمذي، محمد بن عيسى، (ت:279هـ)، سنن الترمذي، تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر، ومحمـد فـؤاد عبـد البـاقي، ط2، دار مـصطفى البـابي الحلبـي، مـصر، 1395هـ/1975م، كتاب الدعوات، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، حديث رقـم (3584)، ج5، ص572. قال الألباني: حديث صحيح. وابن حنبل، أحمد، المسند، حـديث رقم (12909)،ج20،ص255. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

5 - أنظر: السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، (ت:275هـ)، سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المكتبة العصرية، صيدا بيروت، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا خاف قوما، حديث رقم (1537)، ج2، ص89. قال الألباني حديث صحيح. وابن حنبل، المسند، حديث رقم (19720)، ج 32، ص494. وقال: محققوه حديث حسن.

نحورهم."يقال جعلتُ فلانا في نحر العدو أي قبالته وحذائه ليقاتل منك ويحول بينك وبينه، وخُص النحر بالذكر؛ لأن العدو به يستقبل عند المناهضة للقتال، والمعنى من ذلك نسألك اللهم أن تصد صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمورهم، وتحول بيننا وبينهم"[1].

وعليه فإن ذكر الله تعالى ودعائه، عبادة وقربى يلجأ إليه العباد في السراء والضراء، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بذكره، وطلب دعائه، والتوجه إليه، والتذلل والخضوع بين يديه. قال تعالى: M « ¼ ½ ¾ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ L. [البقرة: 152]. أي:"فاذكروني في الرخاء بالطاعة والدعاء، أذكركم في البلاء بالعطية والنعماء"[2]. وقيل:" اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي"[3]. "فيعد ذكر الله تعالى ودعاؤه من عوامل النصر المهمة ولا يدرك ذلك حق الإدراك إلا من جرب هذا الكنز العظيم، فهو طب القلوب مما ابتليت به من فتن الدنيا ولآتوهـا؛ وهو العروة الوثقى التي تشد قلب المؤمن وتربطه بالله عز وجل وكلما كان الإنسان ذاكرا لله تعالى كلما كان في معية الله فيطمئن قلبه"[4].

فالاتصال بالله تعالى بالذكر والدعاء يسكب في قلب المؤمن نداوة وحلاوة، وودّا ومؤنسا، وثقتا ويقينا، وتأييدا وتثبيتا، فيصبح المؤمن مطمئنا برضا الله، "فينطرح على عتبة العبودية يلوذ بأقصر طريق إلى مولاه فيلوذ بالدعاء يسأل مولاه بعزه وذله وبغناه وفقره، أن يمنّ عليه بنعمة التثبيت ولا يمنحها عبده إلا هو، ولا

---

1 - آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، دار المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1388هـ/1968م، ج4، ص 395،396.

2 - الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج2، ص48.

3 - أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص124. والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن،ج1، ص183.

4 - الوكيل، محمد السيّد، القيادة والجندية في الإسلام، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1986م، ج2، ص 253.

يتفضل بها عليه سواه""[1]. فذكر الله تعالى ودعائه هو اتصال بالقاهر القوي الذي لا يغلب، وثقة بالله الذي ينصر حزبه وأولياءه؛ ولذا لا يُنسى في أحلك المواقف فهو أعظم مؤيّد ومعين .

الشرط الثالث: التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب .

من شروط تأييد المؤمن وتثبيته، التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب، "فالتوكل على الله تعالى وحده أعلى مقامات التوحيد، وإن من مقتضيات الإيمان بأن الله تعالى هو المدبر للأمور، فالتوكل عليه في كل ما يحتاج إليه المؤمن فيما وراء مقدوره، وليس من متناول التوكل ترك الأسباب وتنكب سنن الله في الخلق، فمن يترك الطعام والشراب باسم التوكل على الله في حفظ حياته فهو جاهل بالله، ومن يترك العمل للحصول على الرزق وما به قوت أولاده باسم التوكل على الله فهو جاهل بالله، ومن يترك إعداد العدة للدفاع عن الأوطان وإعلاء كلمة الله باسم التوكل على الله وباسم أن الله يدافع عن الذين آمنوا فهو جاهل بالله"[2].

فالتوكل على الله تعالى يكون عندما يعلوا إيمان المسلم ويرتقي اليقين في قلبه، فيدرك آنذاك أن النصر من عند الله سبحانه، فعلى المؤمن واجب الأخذ بالأسباب حسب استطاعته ثم يترك الأمر لله سبحانه ـــ جل في علاه ـ قال تعالى: M v w x y z { | } ~ L. [الأنفال:49]. "أي: من يعتمد على جنابه، فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ أي: لا يُضام من التجأ إليه، فإن الله عزيز منيع الجناب، عظيم السلطان، حكيم في أفعاله، لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك"[3].

"فالتوكل على الله بعد إعداد جميع القوى التي لا بد منها حسب المستطاع لتكون الأمة قوية قادرة على الدفاع عن حقوقها وحماية بلادها والقيام بالدعوة الحقة، ينزل

---

1 - العفاني، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، ص473.

2 - شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص441.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص76.

النصر من عند الله عندما تبذل الأمة جهدها وأخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعد ذلك على الله، فالنصر من عند الله بيده العزة والذلة والنصر والهزيمة "[1].

"ومن يتوكل على الله ينصره ويعزَّه فإن الله عزيز لا يغالب بقوة ولا بكثرة، حكيم يضع الأشياء مواضعها"[2]. فالتوكل على الله زاد روحي للتغلب على الخوف والقلة، وهو الذي يعطي المؤمن بسمة أمام أحلك الساعات التي تمر به، ويهبه سكينة النفس التي حُرم منها كثير من سكان هذه الأرض"[3].

"فالاعتماد على الله والتوكل عليه والتصديق بلقائه من أعظم أسباب النصر والثبات في مواقف القتال فإن الذي يؤمن بان له إلها غالبا على أمره يمده بمعونته الإلهية لهو جدير بان يستخف بالأهوال ويثبت في القتال ثبات الجبال، فالإيمان بالله والتوكل عليه ورسوخ العقيدة له أثر كبير في إحراز النصر"[4].

"ومن يسلم أمره إلى الله ويثق بفضله ويعول على إحسان الله فإن الله حافظه وناصره لأنه عزيز لا يغلبه شيء حكيم يوصل العذاب إلى أعدائه والرحمة والثواب إلى أوليائه"[5]. فإنهُ"لتدبير فوق تدبير البشر، وقوة قاهرة فوق قوة البشر، إن لهذا الدين ربا يتولى أصحابه متى اخلصوا له وتوكلوا عليه واستغاثوا به وعلموا أن النصر منه"[6].

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قدوة حسنة، فهو سيد المتوكلين ففي غزوة أحد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ .[آل عمران:173]. قال: ابن عباس رضي الله عنهما"حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ

---

1 - غوشة، الجهاد طريق النصر، ص193،194.

2 - الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج5، ص336.

3 - طبّاره، روح الدين الإسلامي، ص197.

4 - غوشة، الجهاد طريق النصر، ص194.

5 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص493.

6 - العفاني، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مُبشرات النصر والتمكين، ص145.

فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ × ٱلۡوَكِيلُ L [1]. [آل عمـــــــــران:173].

"فالتوكل على الله هو عدة المــؤمنين يــوم يتوعــدهم النــاس ويخوفــونهم بكثــرة الأعداء"[2].

وفي قوله تعالى مُخاطبا نبيه صلى الله عليه وســلمM 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > ? @ B C D E L[الأحزاب: 2ــــ3]. فهُنا "أمر تعالى رسوله بعد التزام الأوامر بتفويض الأمور إلى اللّه وحده، فقال: وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلًا أي: فوض جميع أمورك وأحوالك إلى اللّه، وكفى به وكيلا لمن توكل عليه، وأناب إليه، والمقصود أن اللّه عاصمك وحــسبك، فهو وحده جالب النفع لك، ودافع الضر عنك"[3]. وتوكل على الله،"أي: فاعتمد عليــه في كل أحوالك، فهو الذي يمنعك ولا يضرك من خذلك"[4].

"فبعد أن أمر الله تعالى نبيه بعبادته وإتباع ما يوحى إليه من ربه أمر بالتوكــل عليه، وهو أمر لأمته من بعده إلى يوم القيامة؛ لأن الأصل أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا خوطب بشيء فهو خطاب لأمته ما لم يقم دليل على التخصيص"[5].

"ولقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أكبر المتوكلين على الله، ومع ذلك فقد اتخذا الأسباب العديدة في مواقف كثيرة؛ ليبين لأمته أن اتخاذ الأسباب لا ينــافي التوكل، فقط ظاهر صلى الله عليه وسلم بين درعين، أي: لبس درعين واحدة فــوق الأخرى"[6]. فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه: "أن رسول الله صـــلى الله عليــه

---

1 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة آل عمران، قوله تعالى:{إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}، حديث رقم (4563)، ج6، ص39.

2 - المنجد، محمد صالح، التوكل، ط1، مجموعة زاد للنشر، السعودية، 1430هـــ/2009م، ص26.

3 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج21، ص229.

4 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص115.

5 - المنجد، التوكل، ص27.

6 - المرجع نفسه، ص15.

وسلم ظاهر بين درعين يوم أحد"[1]. ووضع المغفر (الخوذة) على رأسه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر"[2].

"فكل هذا من باب الأخذ بالأسباب، وتعليم أمته أن اتخاذ الأسباب من الأشياء المهمة جدا، والتي لا يستغني المسلم المتوكل عنها"[3]. فالتوكل على الله لا يعني بحال عدم اتخاذ الأسباب، "وذلك لأن التوكل على الله يقوم على ركنين عظيمين: اعتماد القلب على الله، والثقة بوعده، ونصره تعالى، والأخذ بالأسباب المشروعة"[4].

فعلى المؤمن الأخذ بالأسباب حتى ولو كانت يسيرة ضعيفة، ولنا في قصة مريم عليها الصلاة والسلام دليل على ذلك، حيث أمرها الله تعالى بهز الجذع ليتساقط عليها الرطب، قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ -[مريم:25] . "وقد يستغرب البعض ويقول: هذه المرأة، الضعيفة، الحامل، كيف تهز هذه النخلة القوية الراسخة ليتساقط عليها الرطب، ونحن نقول له: نعم، إن الله عز وجل أراد أن يعلمنا من خلال قصة هذه المرأة أهمية اتخاذ الأسباب، ولو كانت ضعيفة، فإن هذه المرأة الصالحة لم يكن لها حيلة في ذلك الوقت إلا هذا العمل الضعيف، ولكن لما توكلت على الله حق توكله، وعملت بالسبب الضعيف؛ أعطاها الله ما تريده وأنالها إياه "[5]. "وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة أن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعا لا يُنافي

---

1 - ابن حنبل، المسند، أحمد بن حنبل، حديث رقم (15722) ج24، ص 499. قال: محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

2 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح؟ حديث رقم (4286)، ج5، ص148.

3 - المنجد، التوكل، ص16.

4 - القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، (الجهاد في الإسلام، مفهومه، وضوابطه، وأنواعه، وأهدافه، في ضوء الكتاب والسنة)، 1430هـ، ص53.

5 - المنجد، التوكل، ص19.

التوكل على الله بحال؛ لأن المُكلف يتعاطى السبب امتثالا لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه، فهو مُتوكل على الله، عالم أنه لا يُصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر"[1].

ولقد كان من الممكن أن يسقط الله سبحانه - جل في علاه - الرطب من غير هزّ، ولكن لما كان السبب سنة كونية أمرها بهز الجذع، "ففي الأمر بالهزّ دليل على وجوب السعي لتحصيل الرزق وإلا فالذي أحيا النخلة قادر على إسقاط ثمرها دون هزّ"[2].

وما أحسن ما قيل في هذا :

توكل على الرحمن في كل حاجة ولا تؤثرنّ العجز يوما على الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم وهزي إليك الجذع تساقط الرطب

ولو شاء أدناه لها من غير هزة إليها ولكن كل شيء لهُ سبب[3].

ويكون التوكل على الله في مقام الجهاد وقتال الأعداء، قال تعالى:M وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ! " # $ % & ' (| * + , - . L .[آل عمران:121ـ122]. فهُنا يأمر تعالى بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصا في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة بربهم والاستنصار له، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك

---

1 - الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج3، ص398.

2 - الديرزوري، عبد القادر بن ملّا حويش، (ت:1398هـ)، بيان المعاني، ط1، دار الترقي، دمشق،1382هـ/1965م، ج2، ص149.

3 - الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، (ت:852هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ج2، ص548.

ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن"[1]. وتكون ولاية الله تعالى لهم بالتثبيت والنصر، فلا ينبغي لهما أن يفشلا"[2].

ويتبين لنا توضيح ذلك في قوله تعالى:S ¦Q P O N M LM T U V W X Y Z ¦ \ ] ^ _ ` L.[آل عمران: 160] ."أي: إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا يغلبكم أحد وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحُد لم ينصركم أحد، فهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه"[3]. فعليه توكلوا أنه إن يعنكم ويمنعكم من عدوكم لن تغلبوا، وإن يخذلكم يترككم من معونته"[4]. وعلى الله فيتوكل المؤمنون لا على غيره؛ "لأن الأمر كله لله ولا راد لقضائه، ولا دافع لحكمه، فيجب أن يتوكل العبد في كل الأمور على الله لا غيره"[5].

"فالذين يفوّضون أمرهم إلى اللّه، ويشدّون عزائمهم إليه، ويعلّقون آمالهم به، هم الذين يحبّهم اللّه ويتولاهم، لأنهم أحبّوا اللّه وانتظموا في مجتمع أوليائه، وإنهم إذ يلوذون بحمى اللّه فإنما يستمسكون بالعروة الوثقى، ويعتصمون بأقوى معتصم، وهم بهذا في ضمان النصر، وعلى طريقه، ولن يغلبهم أحد، فإن تخلوا عن اللّه، ووكلوا أمرهم إلى حولهم وحيلتهم، فقد آذنوا اللّه أن يتخلّى عنهم، وأن يدعهم إلى أنفسهم، وهذا خذلان مبين، ومن خذله اللّه فلا ناصر له"[6].

"وفي ذلك تنبّيه من اللّه للمؤمنين إلى عقيدة النصر بقوله: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ أي: ألزموا الأمور التي أمركم بها ووعدكم النصر معها، فما النصر إلا من عند اللّه العزيز الحكيم، لأن جميع ما في الكون بتدبيره ومشيئته، وإذا خذل اللّه

---

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 145.

2 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص329.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص432. والرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص411. والقاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص499.

4 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص254.

5 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص312.

6 - الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج2، ص629.

قوما بأن تركهم وتخلى عنهم في مواطن الحاجة والشدة، فلن يجدوا ناصرا لهم من بعده، لذا وجب عليهم أن يتوكلوا على اللّه وحده بعد اتخاذ الأسباب، لأنه لا ناصر لهم سواه، ولا معين لهم غيره، ونصر اللّه مرهون بشرط نصرة دين اللّه، لقوله تعالى: M ¥ ¦ § ¨ © ﭐﷲ « ¬ ® ¯ L. [محمد:7].[1]

وعليه فإن للتوكل منزلة عظيمة، فهو مبعث للقوة والعزيمة، "وهو من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيقه من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، فإن الله حسبه، وكافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو، لذلك قال: بعض السلف جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده"[2]. قال تعالى: M w x y z { | } ~ ﭐﷲ بَٰلِغُ ¢ ¤ ¥ ¦ § ¨ © L. [الطلاق:3]. فالله سبحانه وتعالى يكفي المؤمن المتوكل عليه أمره، "ويَعِد بالمعونة والتأييد من يتوكل عليه"[3]. فليحرص المؤمن من هدم عنصر التوكل على الله وليأخذ بالأسباب وليدرك أن الله تعالى هو مؤيده ومثبته وناصره .

الشرط الرابع: اليقين بعد ذلك كله والثقة بأن النّصر من عند الله .

لو تأملنا نصوص الكتاب العزيز، لوجدناها تؤكد أن الإيمان بالله تعالى ورسوله واليقين والثقة بنصر الله تعالى، هي القاعدة الأساسية والمنطلق للحصول على تأييد الله تعالى وتثبيته للمرسلين وأتباعهم من المؤمنين. قال تعالى: M ¥ ¦ § ¨ © ﭐﷲ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ L. [محمد: 7- 8] . قال السعدي رحمه الله: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله، وثبّت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم

1 - الزحيلي، التفسير الوسيط، ج1، ص255.
2 - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2،ص239،240.
3 - طبّارة، روح الدين الإسلامي، ص197.

صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره؛ وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل فإنهم في تعس، أي: في انتكاس من أمرهم وخذلان"[1].

وقال الشنقيطي: "معلوم أن نصر الله إنما هو بإتباع ما شرعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ونصر رسله وإتباعهم، ونصر دينه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته جل وعلا هي العليا، وكلمته أعدائه هي السفلى"[2]. فعلى المؤمنين أن يؤدوا تكاليف النصر وتضحياته ليتنزل عليهم النصر من الله سبحانه جلا في علاه، ولهذا"فقد رتب سبحانه وتعالى نصره لعباده وتثبيت أقدامهم عند لقاء الأعداء على نصرهم لدينه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهي، وهكذا تتحقق سنة الله تعالى في نصر العباد؛ فمن لزمها ظفر بالنصر، ومن تنكبها وجد نتيجة فعله من الهزيمة والذل والخذلان؛ كما هي حال كثير من بلدان المسلمين في هذه الأزمان"[3].

"ومما لا شك فيه أن المؤمن القوي الإيمان لا يعتمد إلا على ربه، ولا يطلب النصر إلا منه، قال تعالى:dM e f g h i j k L.[آل عمران:126]. والله سبحانه وتعالى لا يخذل المؤمنين أبدا، لأنه وعد، ووعده الحق لينصرن من ينصره، وليثبتن أقدام المؤمنين، فإذا وجدنا أنفسنا في وقت ما مخذولين، ووجدنا أعدائنا علينا متسلطين، فليس لنا أن نشك في وعد الله، ولكن علينا أن نسأل أنفسنا أين نحن من الإيمان؟ وأين نحن من نصر الله؟ وأين نحن من التضحية في سبيله بالمال والمتاع والولد؟"[4].

فنصر الله تعالى لا يأتي جزافا، فمهما ترددت الأمة أو انتكست فسبيل النصر واضح وبين،"فعلى الأمة أن تكون قادرة على الدفاع عن حقوقها وحماية بلادها والقيام بالدعوة الحقة إلى الله وإنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل الأمة

---

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص 785.

2 - الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج5، ص265.

3 - الخنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص265.

4 - شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص126.

جهدها وآخر ما في طاقتها ثم تكل الأمر بعد ذلك إلى الله، فالنصر من الله الذي بيده العزة والذل والنصر والهزيمة"[1].

"فالمسلمون يقبلون على الجهاد وقتال الأعداء، وبأيديهم سلاح لا يفل وفي عقولهم فكر سديد، وفي قلوبهم عقيدة لا تتزعزع بأن النصر ليس راجعا إلى قوتهم وشجاعتهم وسلاحهم وتدبيرهم، بل هو راجع إلى الله وإلى عونه وتوفيقه وتأييده، ولا شك في أنهم حين يقدمون على المعارك بهذه العقيدة السامية يزدادون قوة إلى قوتهم؛ لأنهم يطلبون التأييد من الله الذين يجاهدون في سبيله ونصرة دينه وتأييد شريعته، ففرق كبير بين مسلم مؤمن يسارع إلى الحرب وهو مستعد لها بالعدة المادية موقن بأن معه عون الله وقوته تسانده وتؤيده، وبين أخر يندفع إلى الحرب وهو معتد بقوته وحدها معتمد على ما حمل من عتاد وسلاح وبما دبر من وسائل الكفاح والقتال"[2].

فيا لهو من تدبير فوق تدبير، البشر وقوة قاهرة فوق قوة البشر، أن لهذا الدين ربا يتولى أصحابة متى اخلصوا له وتوكلوا عليه واستغاثوا به وعلموا أن النصر منه...فإنها ليست فلته عابرة، ولا مصادفة عارضة أن ينصر الله العصبة المسلمة ويثبتها متى أيقنت أن النصر منه"[3].

قال تعالى:M§ ¨ © فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ « ¬ ® ¯ ° L.

[الأنبياء:9]."بين - جلا وعلا - في هذه الآية أنه أرسل الرسل إلى الأمم فكذبوهم، وأنه وعد الرسل بأن لهم النصر والعافية والحسنة، وأنه صدق رسله ذلك الوعد فأنجاهم، وأنجى معهم ما شاء أن ينجيه"[4]. ففيه تبشير للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بأن الله صادق وعده من النصر"[5]. وفي الآية أيضا إخبار عن الرسل السابقين، حيث كان الله يعدهم وعدا قاطعا، بأنه سوف يفتح بينهم وبين قومهم الكافرين، وينهي المواجهة معهم، ويجعل العاقبة لهم، وكانوا الرسل واثقين من

---

1 - غوشة، الجهاد طريق النصر،ص193،194.

2 - المرجع نفسه، ص194،195.

3 - العفاني، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مُبشرات النصر والتمكين، ص145.

4 - الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج4، ص137.

5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، ص20.

تحقيق وعد الله، منتظرين وقوعه، وكان الله يصدقهم الوعد، في الوقت الذي يحدده سبحانه، وبالكيفية التي يختارها عز وجل فينجيهم هم وأتباعهم، ويهلك أعدائهم الكافرين المسرفين"[1].

قال سبحانه: M ! " $ % & ' ( ) * + , - L. [الروم: 6]؛ "أي: وعدهم الله النصر"[2]. فالمؤمنون يتعاملون مع وعد الله تعالى باليقين والثقة، ويجزمون بأن الله منجز وعده"[3]. "فوعد الله تعالى واقع وكلمة قائمة[4]. قال تعالى: M ~ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © جُندَنَا « ¬ ® L. [الصافات: 171-173]. فالله سبحانه وتعالى بشر رسوله بالنصر والعزة ووعده بالنصر والغلبة"[5]. وقال تعالى: M ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ عَلَىٰ » ¼ ½ ¾ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ L. [الأنعام: 34]. ومعنى لا مبدل لكلمات الله "يعني أن وعد الله إياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل إليه"[6]. وحرف "لا" في الآية، هو حرف ناف للجنس[7]. وتقدير ذلك: أي لا مبدل لكلمات الله، ففي هذا النفي إثبات لكلمة الله عز وجل في

---

1 - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، وعود القرآن بالتمكين للإسلام، دار القلم، دمشق، 1424هـ/2003م، ص123.

2 - الزحيلي، التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، ج21،ص46. والجلالين، تفسير الجلالين، ص531.

3 - الخالدي، وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ص135.

4 - الشحود، النصر والتمكين آت بإذن الله، ص20.

5 - انظر: الإدريسي، البحر المديد،ج4، ص627. والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5، ص21.

6 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص519. وابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج8، ص115.

7 - الدرويش، محي الدين بن أحمد مصطفى، (ت:1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، ط4، دار ابن كثير، دمشق، 1415هـ، ج3، ص101.

نصر رسله، وتأكيد على أن نفوذها حتم لا مردّ له[1]. ويضيف صاحب المنار بقوله: "فنفي جنس المبدل لكلمات الله مثبت لكلمته في نصر المرسـلين بالـدليل - أي إن ذلك النصر قد سبقت به كلمة الله وكلمات الله لا يمكن أن يبدلها مبدل، فنصر الرسل حتم لا بُد منه"[2].

يقول سيّد قطب رحمه الله: "هذا الوعد سنة مـن سـنن الله الكونيـة، سـنة ماضية، كما تمضي هذه النجوم في دوراتها المنتظمة ... لقـد سـبقت كلمـة الله، ومضت إرادته بوعده، وثبتت سنّته، فلا تتخلف ولا تحيد"[3]. فنصر الله تعالى أمر قد قضى الله عز وجل بتحققه، وحكم بوقوعه منـذ الأزل. قـال تعـالى: Mكَتَبَ ٱللَّهُ ç è é ë ٱللَّهَ قَوِيٌّ î ï L. [المجادلة:21]. أي: "كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبرم، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة" [4]. "وهذه بشارة بنصر المؤمنين على الكافرين، وقد تحقق ذلك مـرارا"[5]. فقد قضى ذلك قضاء ثابتا" [6].

وقد يتأخر النصر ويبطئ حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها مـن قـوة وآخر ما تملكه من ذخيرة فلا تستبقي عزيزا ولا نفيسا إلا بذلته هينا رخيصا في سبيل الله، أو حتى تزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج الصحيح المؤدي إلى النصر عندما يتأذن الله تعالى به"[7]. وقد يبطئ النصر ويتأخر؛ لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم تمامها، ولم تحشد بعـد طاقاتها"[8]. وقد يبطئ النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد فـي جهادهـا وقتالهـا لله

---

1 - رضا، تفسير المنار، ج8، ص12.

2 - المرجع نفسه، ج7، ص316.

3 - قطب، في ظلال القرآن، ج23، ص3002.

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص54.

5 - الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج28، ص58.

6 - الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج4، ص 264.

7 - غوشة، الجهاد طريق النصر، ص،195،196.

8 - قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2426.

ودعوتها لله، فهي تقاتل حمية لذاتها أو لمغانم تحققها أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله وفي دفع الاعتداء عن الـــدين وعـــن بـــلاد المؤمنين بريئا من الرياء، خالصا من المشاعر الأخرى التي تلابسه. قال عليه الصلاة والسلام:"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[1]. فمن أجل ذلك وغيره قد يبطئ النصر فتزداد التضحيات وتتضاعف الآلام، ويشتد البلاء والعناء مع دفاع الله عن الذين امنوا وإنزال النصر وتحقيقه لهم في النهاية"[2]. قال تعالى:M ¦ § ¨

© وَظَنُّوٓاْ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ٱلۡقَوۡمِ »

¼ L .[يوسف:110]. يقول صاحب الظلال:"في هذه اللحظة التـــي يـــستحكم فيهـــا الكرب، ويأخذ فيها الضيق بمخانق الرسل، ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة في هذه اللحظة يجيء النصر كاملاً حاسماً فاصلاً؛ جاءهم نصرنا، فنجّي من نشاء، ولا يردُّ بأسنا عن القوم المجرمين، فتلك سنة لله تعالى في الدعوات، لا بد من الـــشدائد، ولا بد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة، ثم يجيء النصر بعـــد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس، يجيء النصر من عند الله"[3].

فنصر الله تعالى قد يتأخر ويبطئ ولكنه لا ولن يتخلف وسيتمّ؛ ولـــذا فقـــد امتحن الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقولـــه:M ¤ ¥ ¦ § ¨ © يَأۡتِكُم «

¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ وَٱلَّذِينَ « ¼ ½ ¾ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ L .[البقرة:214].

فهذه الإضافة إلى لفظ الجلالة دلت على أن النصر من الله واقـــع ومحقـــق، فهو"نصر من الله الذي يأتي به سبحانه متى شاء في الوقت الذي يقدره وفي الصورة

---

1 - انظر: البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمـــة الله هي العليا، حديث رقم (2810)، ج4، ص20. ومسلم بن الحجاج، المـــسند الـــصحيح المختصر، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم (1904)، ج3، ص1513.

2 - غوشة، الجهاد طريق النصر، ص،196.

3 - قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2036.

التي يريدها، وليس للنبي على الصلاة والسلام ولا لأصحابه من أمر النصر شيء، وليس لهم في هذا النصر يد، إنما هو أمر يحققه بهم أو بدونهم، وحسبهم أن يجريه الله على أيديهم"[1].

وفي بيان ذلك قال الشيخ زادة:"فقد أزعجوا إزعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين أمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال النصر -متى نصر الله - استبطاء له لتأخره ... فإن زمان الشدة وإن قصر فهو طويل في عين المبتلى بها فلا محالة أن يستبطئ النصر، فأجابهم الله تعالى:{أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}.أي أنا ناصر أوليائي لا محالة، ونصري قريب منهم، والسؤال كان عن زمان النصر أقريب هو أم بعيد؟ ولو كان السؤال عن وقوع أصل النصر بمعنى أنه يوجد النصر أو لا، لما كان الجواب مطابقا للسؤال"[2]. وقال ابن قيم الجوزية:"فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائه ويظهرهم عليهم وأنه لا ينصر دينه وكتابه ... فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك وتأبى أن يذل حزبه وجنده وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله"[3].

"فمن شك في نصر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فليذهب كل مذهب ليقتل نفسه، فهذا هو الخيار الإلهي لكل من شك في وعد الله

---

1 - قطب، في ظلال القرآن، ج30، ص3996.

2 - القوجي، محمد بن مصلح الدين مصطفى، (ت:951هـ)، حاشية محي الدين شيخ زادة، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1999م، ج2، ص513.

3 - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ)، زاد المعاد في هدى خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ/ 1994م، ج3، ص205.

تعالى"[1]. قـال تعـالى:Mمَن كَانَ × أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ à إِلَى â ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ ç è é ê ë L.[الحج:15]. والمعنى: من كـان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمـؤمنين، فليمـدد بحبـل إلـى السماء، أي سماء بيته، والمراد به السقف، لأن العرب تسمي كل من علاك سـماء، والمعنى: فليعقد رأس الحبل في خشبة السقف ثم ليقطع؛ أي: ليختنق بالحبل، فيـشده في عنقه، ويتدلى مع الحبل المعلق في السقف حتى يموت"[2]."إذ ليس أضـر علـى ثبات المرء من يأسه من النصر، وظنه أن الله خاذله وتاركه، والإسلام العظيم يبـث الثقة في نفوس متبعيه، ويثبتهم ويبشرهم، ويزرع الأمل والنصر في قلوبهم"[3].

إذن، فعندما يوقن المؤمن أنه لا ناصر له، ولا كاشف لكربه، ولا منقذ له مما يعانيه ويكابده من مشاق وصعاب، فإنه يتوجه إلى الله وحده دون سواه، ففيه دليـل على زيادة الثقة به، والإخلاص له سبحانه .

قال تعالى:M { | } ~ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ L.[الروم:47]."فهذا إخبار مـن الله سبحانه بأن نصره لعباده المؤمنين حق عليه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد"[4]. وقال أبو حيان:"وفي لفظ حقا مبالغة في التحتم وتكريم للمؤمنين"[5]. "فهو حق أوجبه

---

1 - الخضيري، عبد الله بن صالح، نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وكفايته والدفاع عنه في الكتاب والسنة، مكة المكرمـة، رسـالة دكتـوراه غيـر منـشورة، جامعـة أم القـرى، 1429هـ/2008م، ص291.

2 - أنظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بـالقرآن، ج4، 287. وابـن عـادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج14، ص39. والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص250.

3 - الشريف، محمد موسى، معالم علـى طريـق الـصحوة، ط1، دار الأنـدلس، القـاهرة، 1429هـ/2008م، ص72.

4 - القنّوجي، محمد صديق خان، (ت:1307هـ)،فتح البيان في مقاصد القرآن، عُني بطبعـه وقدم له وراجعه: عبـد الله بـن إبـراهيم الأنـصاري، المكتبـة العـصرية، بيـروت، 1412هـ/1992م، ج10، ص261.

5 - الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج8، ص398.

الله تعالى على نفسه الكريمة، تكرما وتفضلا"[1]. والله سبحانه وتعالى هو خير من يؤدي الحقوق. قال الرازي: "حاصل الكلام أنه تعالى وعد بأنه ينصر الأنبياء والرسل وينصر الذين ينصرونهم نصرة يظهر أثرها في الدنيا وفي الآخرة"[2]. وهذا ما أكده الزمخشري في قوله:" إن نصرة الرسل في ضمان الله، وضمان الله لا يخلف"[3].

وبناء على هذه الحقيقة الواضحة الناصعة، فلا ينبغي أن نطلب النصر إلا من الله سبحانه جلّ في علاه، وهذا ما كان عليه دأب المؤمنين الصادقين. فهذه الآيات الكريمة حملت وعدا صريحا من الله تعالى بنصر عباده، هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا الوعد الإلهي بالنصر لا يتحقق إلا بمشيئة الله تعالى، قال سبحانه: Mفِي « ¬ ¯ ° ± 2 3 ´ ¶ ¸ 1 « ¼ ¾ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ L.[الروم:4 - 5]. وقال تعالى:M c d e f L.[آل عمران:13]. وقوله أيضا:M g h i j k l L.[محمد:4]. فالملاحظ هُنا أن النصر مرتهن بمشيئة الله تعالى ومتوقف عليها، وهذا يدل على أن إرادة الله ومشيئة بالنصر له شروط والتزامات، فمتى ما تحققت هذه الشروط جاء النصر. "ألا وإن وعد الله قائم، ألا وإن شرط الله معروف، فمن شاء الوعد، فليقم بالشرط ومن أوفى بعهده من الله؟"[4]. "فعلى المؤمن أن يوقن بأن وعد الله حق، وأنه لا بد وأن يتحقق، وأن يصبر على انتظار تحققه، وأن لا يتعجل وقوعه، وأن لا يستخفه أو يستفزه المتعجلون، وأن يدع الأمر إلى حكمة الله الحكيم الخبير، الذي يحققه متى شاء سبحانه !" [5].

---

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص321.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج27، ص523.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص173.

4 - العفاني، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، ص41.

5 - الخالدي، وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ص 136.

وعليه وبعد ذكرنا لشروط التأييد والتثبيت المادية والمعنوية التي يدور عليها النصر الإلهي، آمل أن أكون قد قدمت تصورا عن هذه الـــشروط بـــشقيها الماديـــة والمعنوية، وإنني على ثقة ويقين جازم أن نصر الله تعـــالى آت لا محالـــة إذا مـــا تحققت تلك الشروط، وذلك مصداقا لقوله ســبحانه:M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L.[غافر:51].وقوله:M { | } ~ ٱلْمُؤْمِنِينَ L. [الروم:47] .

الفصل الثالث

تأييد الله تعالى وتثبيته لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام

أولوا العزم من الرسل:

إن مهمة الأنبياء والرسل هي مهمة عظيمة وجليلة، اصطفى الله سبحانه - جــلا في علاه - مجموعة من البشر ووضع فيهم الاستعداد اللازم للقيام بتبليغ الناس هدى الله الواحد الأحد الذي شرع لهم فيه من الحلال ليتبعــوه ومــن الحــرام ليجتنبــوه، فرسالتهم من حيث الأصل هي واحدة، ألا وهي الدعوة إلى التوحيد، ولكن كان لكل نبي أسلوبه الذي يتناسب مع زمانه ومكانه الذي بُعث فيه، ومع قومه الــذين بُعــث إليهم، وكان منهم من عُرف بــــ"أولي العزم"."أي: أولوا الإرادة الخارقة، التي ليس كمثلها إرادة في البشر"[1].

قال تعالى: M ¼ ½ ¾ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ L. [الاحقــاف: 35]. إن هــذه الآية القرآنية كانت مثار إدلاء للمفسرين بآرائهم المختلفة حول معرفة من هم أولــوا العزم من الرسل. قال صاحب الكشاف:"أولوا العزم أولوا الجد والثبات والصبر"[2]. فصبرهم وشدة ثباتهم أثناء تبليغ أقوامهم دعوة التوحيد كان سببا في تسميتهم أولــوا العزم، وقال القرطبي: "قال ابن عباس[3]: ذوو الحزم والصبر"[4].

([1])شلبي، محمود، حياة نوح، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1403هـ/1982م، ص22.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج4، ص313. أنظر: النسفي، عبــد الله بــن أحمــد بــن محمــود، (ت:710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بــديوي، ط1، دار الكلــم الطيب، بيروت، 1419هـ/1998م، ج3، ص319.

([3])ابن عباس: هو أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، دعا له الرسول بالفقه في الدين وتعليمه التأويــل، (تــوفي: ســنة 68هـ).انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء. ج15، ص 272ـــ 278.

([4])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص220. أنظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علــم التفسير، ج4، ص114. والمراغي، أحمد بن مصطفى، (ت:1371هـ)، تفسير المراغي، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1365هـ/1946م، ج26، ص38.

فإن الناظر في كتب التفاسير يرى مدى الاختلاف الواسع في تحديد أولي العـــزم من الرسل والتي يمكن حصرها بداية إلى أمرين أساسين وهما:

الأمر الأول: من ذهبوا إلى أن الرسل جميعهم أولوا العزم، فهـــذه صـــفة لكـــل الرسل لا تختص بها مجموعة عن أخرى، وهذا باعتبار أن "مِنْ" في آية الأحقـــاف جاءت للبيان. قال الزمخشري:"يجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم"[(1)]. "فكُلٌّ الرسل كانوا أولي عزم. وإنما دخلت"من" للتجنيس لا للتبعـــيض"[(2)]. وقال الرازي:"إن كل الرسل أولو عزم، ولم يبعث الله رسولا إلا كان ذا عزم وحزم، ورأي، وكمال وعقل، ولفظة "مِن" في قوله:"مِن الرسل تبيين لا تبعيض، وكأنه قيل: اصبر كما صبر الرسل مِن قبلك على أذى قومهم"[(3)].

والأمر الثاني: من ذهبوا إلى أن أولي العزم بعض الرسل وليس كلهم، وأن "مِنْ" في آية الأحقاف إنما تفيد التبعيض. قـــال الزمخـــشري: "ومِـــنْ يجـــوز أن تكـــون للتبعيض، ويراد بأولي العزم: بعض الأنبياء"[(4)].

والرأي الثاني للمفسرين القائل بأنهم بعض الأنبياء كان مثار وجود خلاف أيضا حول تحديد أسماء أولي العزم من الأنبياء، وخاصة أنه لم يرد لا في كتـــاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم دليل قطعي يدل على هذه المجموعة، فكثرت الأقـــوال التي احتوت أسماء متعددة للرسل، فقد ذكر القرطبي على سبيل المثال ما يزيد عـــن عشرة أقوال في تحديد أولي العزم[(5)].

وقد كان لابن كثير تحقيق في هذه المسألة فاعتمد في تحديد أولوا العـــزم علـــى أشهر الأقوال وأكثرها شيوعا بين المفسرين فقال: "وقد اختلفوا في تعداد أولوا العزم على أقوال، وأشهرُها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهـــم محمد صلى الله عليه وسلم، وقد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من

---

(1) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص313.

([2])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص220.

([3])الرازي، مفاتيح الغيب، ج28، ص31.

([4])الزمخشري، الكشاف، ج4، ص313.

([5])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص220،221.

سورة الأحزاب والشورى"(1). وآية الأحزاب قوله تعالى:M ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L .[الأحزاب:7].
وآية الشورى قوله تعـــالى:M I J K L M N O P Q R S T U
V W X Y Z \ ] ^ _ ` L .[الشورى:13].

1.3 تأييد الله وتثبيته لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام.

"لما تفشت المعاصي بين الناس وتجاوزوا المعاصي إلى الشرك، وعكفوا علـــى عبادة الأصنام، أرسل الله -عز وجل - نوحا إليهم لينذرهم العذاب الأليم إذ تمـــادوا في غيّهم، وظلوا على شركهم ولكنهم لم يلتفتوا إلى تحذيره، واستخفوا بنـــصحه"(2). فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض"(3). كما ثبت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يرويه عنه أبو هريرة إذ يقول:"...يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سمّاك الله عبدا شكورا..."(4).

"وظل قوم نوح يعبدون الأصنام دهرا طويلا، واتخذوها آلهـــة، يرجـــون منهـــا الخير، ويستدفعون بها الشر، ويردّون كل شيء في الحياة إليها، فأرسل الله لهم نوحا عليه السلام، فرزقه الله صبرا على الجدل، وقدرته على تصريف الحجج وتبـــصرا بمسالك الإقناع، فناضلهم وجادلهم، ثم صابرهم وطاولهم، فمدّ لهم حبل أناته، وأفرغ عليهم معسول كلماته، ولم يضعف في إيمانهم رجاؤه، ولم يدع اليأس يـــسلك ســـبيلا إلى قلبه، بل أخذ يتفنّنُ في الدعوة ويجاهد في إبلاغ الرسالة، فدعاهم لـــيلا ونهـــارا وسرا وعلانية"(5).

---

(1)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص305.

(2) الوكيل، محمد السيد، نظرات في أحسن القصص، ط1، دار القلم، بيروت، 1994م، ص3.

(3) ابـــن كثيـــر، إســـماعيل بـــن عمـــر، (ت:774هـــــ)، البدايـــة والنهايـــة، دار الفكـــر، 1407هــ/1986م، ج1، ص106.

(4) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح، حديث رقم (4712)، ج6، ص84.

(5)المولى، محمد جاد، قصص القرآن، دار الجيل، بيروت، ط3، 1973م، ص15. باختصار.

قال تعالى: M ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © فَلَمْ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³

´ µ ¶ ¸ ¹ ءَاذَانِهِمْ » ¼ ½ ¾ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ

جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ !

" # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5

6 L. [نوح:5ـــ13].

"ومما لا ريب فيه أن توحيد الله عز وجل، وإفـــراده بالعبوديـــة، هـــو محـــور الدعوات كلها، والأساس التي قامت عليه جميعها من لدن نوح عليه الـــسلام حتـــى الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم". وهذا ما دلّ عليه قولـــه تعـــالى: M !

" # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L. [الأنبياء:25].

فدعوة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام استغرقت مختلف الأوقـــات مـــن ليـــل ونهار، ومختلف الهيئات كلها من سر وعلن،"فذكر أولا أنه دعاهم بالليـــل والنهـــار سرا، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غايـــة الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة"[1]. قال الزمخشري:" قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي فـــي الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلمّا لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة، فلمّا لم تؤثّر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان، ومعنى ثُمَّ للدلالة علـــى تباعـــد الأحـــوال، لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين، أغلظ من إفراد أحدهما"[2].

ولكن القوم في غيهم سائرون، وفي جدالهم ناقمون، فقد كبرت على نفوسهم كلمة التوحيد فرفضوها، وأقاموا حربا على نبيهم، واتهموه بالباطل، فهـــم يـــستكبرون أن يكون نبيا لهم، وهو بشر مثلهم،" فلم يزدهم دعائي إياهم إلى ما دعوتهم إليـــه مـــن الحق الذي أرسلتني به لهم إلا إدبارا وهربا منه وإعراضا عنه"[3].

([1])ابن جزّي، محمد بن أحمد بن محمد، (ت:741هـــ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـــ، ج2، ص414.

([2]) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص616.

([3])شلبي، حياة نوح، ص38.

قـــال تعــــالى:M ¥ ¦ § ¨ ©قَوۡمِهِۦ « ¬ ® ¯ ° ± ²
³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ٱلرَّأۡيِ « ¼ ½ ¾ مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ

﴿٢٧﴾ L.[هود:27]. أي:"أحط الناس وأحقرهم، هم الذين اتبعوك، لـــم يتبعــك رجــل محترم، لم يتبعك رجل ذو جاه، أو ذو منصب، أو ذو عقل، ومعنى هذا ما جئت بـــه يا نوح إلا مجرد أفكار مُنحطة، لا تستهوي إلا الأراذل من الناس، الذين يطمعون أن يؤدي ما تدعوا إليه إلى رفع خسّتهم ودناءتهم"(1). وقال الرازي:"أنهم طُعنـــوا فـــي نبوته بثلاثة أنواع من الشبهات: فالشبهة الأولى: أنه بشر مثلهم، والتفاوت الحاصـــل بين آحاد البشر يمتنع انتهاؤه إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعـــة لجميـــع العالمين، والشبهة الثانية: كونه ما اتبعه إلا أراذل من القوم، والشبهة الثالثة: قولـــه تعالى:{وما نرى لكم علينا من فضل}، والمعنى: لا نرى لكم علينا من فضل لا فـــي العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل، فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الأحوال الظاهرة، فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات"(2).

وهذا حال الدعاة في كل زمان، فإن أمة الكفر، تُحسن فنّ الاتهامات والـــسخرية والتحقير للدعاة، قـــال تعـــالى:M J K L M N O P Q R S T U
V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f
g h i j L.[الأعراف:60-62].

كما اتهموه عليه الصلاة والسلام بالجنون، وكثرة الجدل، قال تعالى:M h i
j k l m n o p q r s t u L.[هود:32]. أي:"قـــد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا وبالغت فيها، فأتنا بما تعدنا من العذاب، إن كنـــت مـــن الصادقين في عِداتك ودَعواك أنك لله رسول"(3). فهؤلاء القوم لم يقفوا عند هذه التهم،

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج23، ص631.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص 336، 337.

(3) أنظر:الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج15، ص 304،305.والقرطبـــي، الجـــامع لأحكام القرآن، ج9، ص27.

بل أضافوا إليها منعه ونهيه عن تبليغ دعوته بالسب، والشتم والتهديد، والتخويف[1].

وهذا ما أشار إليه رب العزة عز وجل في قولــه:M 4 5 6 7 8 9 : ; < = > L [القمر:9].

وبالرغم من العداء الذي لقيه نبي الله نوح عليه السلام من قومه إلا أنه لم ييأس منهم واستمر بدعوته لهم ألف سنة إلا خمسين عاما، كما دلّ على ذلك قوله تعــالى: M وَلَقَدْ « ¼ ½ ¾ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا L. [العنكبـــوت: 14]. "فاشتعلت المعركة بين الموجتين المتضادتين، موجة النور وعلى رأسها نوح عليــه الصلاة والسلام، وموجة الظلام وتعم الناس جميعا، ووقف العظيم وحده على امتداد 950 سنة يحاور، ويجادل، ويبين، ويرغّب، ويرهّب، سرا وعلانية، جهرا وإسرارا، ولكن دون جدوى"[2].

فلما وصل عليه الصلاة والسلام في دعوة قومه إلى النهاية أوحى الله تعالى إليــه أن الهداية قد عُقمت في نفوسهم وأنه لن يؤمن أحد منهم غير السابقين الذين آمنــوا معه. قال تعالى:Mوَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ × L.[هود:36]."أوحى الله إلى نوح لمّا حق على قومه القــول، وأظلهــم أمر الله، أنه لن يؤمن يا نوح بالله فيوحّده، ويتّبعك على ما تدعو إليه من قومــك إلا من قد آمن، فصدّق بذلك واتبعك، فلا تبتئس، أي: فلا تستكن ولا تحزن بمــا كــانوا يفعلون، فإني مهلكهم، ومنقذك منهم ومن اتبعك"[3].

قال سيد قطب:" القلوب المستعدة للإيمان قد آمنت، أما البقية فليس فيها اســتعداد ولا اتجاه، هكذا أوحى الله إلى نوح، وهو أعلم بعباده، وأعلم بالممكن والممتنع، فلــم

([1])أنظر: الواحدي، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبــد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيــروت، 1415هـــ/ 1994م، ج4، ص209.والأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص214.والبغوي، معــالم التنزيل في تفسير القرآن، ج4، ص323. والزمخشري، الكشاف، ج4، ص433.

([2])شلبي، حياة نوح، ص21.

([3])الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج15، ص306.

يبق مجال للمضي في دعوة لا تفيد، ولا عليك مما كانوا يفعلونه من كفر وتكذيب وتحد واستهزاء، فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ،أي: لا تحس بالبؤس والقلق، ولا تحفل ولا تهتم بهذا الذي كان منهم، لا على نفسك فما هم بضاريك بشيء، ولا عليهم فإنهم لا خير فيهم، دع أمرهم فقد انتهى"(1).

إن الصبر قد بلغ حدته، عندها توجه نوح عليه الصلاة والسلام إلى ربه مُلتجئا طالبا نصره ومدده، وتأييده وتثبيته، قال تعالى:M ? @A B C D L .[القمر:10]. أي:"يا رب غلبني قومي تمردا وعتوّا، فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس منهم، فانتقم منهم بعذاب ترسله عليهم"(2). فدعا ربه دعاءً واستنصارا، هزّ صداه أرجاء الكون بأكمله، مُنذرا بنهاية الطغيان وأهله، ولقد انتصر الله سبحانه لدينه ولنبيه نوح عليه السلام، فأيّده وثبّته، وأعزه وأكرمه، مُستجيبا لدعواه وكان له خير الناصرين. قال تعالى:M وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ × ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L.[الصافات: 75-81]. وبهذا يلتمس القلب عظيم أمر الدعاء وأثره، وعظمة المستجيب وجلاله، لذا عُدّ من أهم عوامل تأييد المؤمن وتثبيته ونصره.

ولعل قائل يقول: كيف يكون لنبي بأن يدعو على قومه مع أن عادة الأنبياء الصبر والتحمل؟

وجواب ذلك: إنه "ما دعا نوح على قومه إلا بعد أن أوحى الله إليه أنه لن يؤمن منهم أحد غير القليل الذي آمن، فلم يدعوا عليهم حتى نزلت هذه الآية:{أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ}. فعندها تيقن عليه الصلاة والسلام استحالة إيمانهم فدعا عليهم: {رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً}"(3).

---

(1)قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 1876.

(2)القاسمي، محاسن التأويل، ج9، ص91.

(3)انظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص148. والشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج7، ص477.

ولم يكن تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام فوريا، إنما علّمـــه أن يأخذ بالأسباب؛ لذلك أمره سبحانه أن يصنع الفلك وكانت هذه هي الخطوة الأولى على طريق النصر، "لأنه لا سبيل إلى صون روح نفسه، وأرواح غيره عن الهلاك إلا بهذا الطريق"[1]. قال تعالى: M وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ã â مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ L.[هود:37]. فلم "يكن يعلم كيفية صنع الفلك حتى أوحى الله إليـــه كيف يصنعه"[2]. وَاصْنَعِ الْفُلْكَ؛ أي: للتخلص من عذابهم بِأَعْيُنِنا أي: بحفظنا، فكـــأن معه من الله عزّ وجلّ حفاظا وحراسا، يكلئونه بأعينهم من التعدي من الكفرة، ومـــن الزيغ في الصنعة"[3].

ولمّا أتمّ نوح عليه السلام أمر ربه وركب ومن معه من المؤمنين الفلـــك، جـــاء أمر الله عز وجل القاضي بإهلاك الكافرين. قال تعـــالى:M E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a L.[القمر:11-14]. ففتحت أبواب الـــسماء بمـــاء شـــديد غزير كما أخبر تعالى، وفي ذلك تمثيل لكثرة الماء وشدة انصبابه من السماء بشده، وانفتاح عيون الماء من الأرض، حتى اجتمع ماء السماء بماء الأرض علـــى حـــال قدّرها الله عز وجل وقضاها، من أجل إنجاء نوح عليه الصلاة السلام"[4].

ولنتأمل في عظيم تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه نوح عليه السلام والـــذين أمنـــوا معه، فأبواب السماء فتحت فانهمر الماء بعنف، وتفجرت الأرض عيونا من المـــاء، وللنظر إلى التعبير القرآني ودقته في قوله"أبواب" وليس باب، وفي قولـــه "وفجرنـــا الأرض" وكأن الأرض كلها أصبحت كتلة واحدة من الماء، وبين هذا الماء الصاعد

---

(1)الرازي، التفسير الكبير، ج17، ص344.

(2)الواحدي، علي بن أحمد، (ت:468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صـــفوان عدنان داوود، ط1، 1415هـ، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ج1، ص 520.

(3)القاسمي، محاسن التأويل، ج6، ص92.

(4)انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، والواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج4، ص209، والزمخشري، الكشاف، ج4، ص434.

المتفجر من بطن الأرض وذاك الماء النازل من السماء بشدة، ابحث عن الكفار ومصيرهم.

ولننظر كيف كان تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه نوح عليه الصلاة السلام، هذا الذي دل عليه سنة ربانية ثابتة منذ القدم، سنته في تأييد وتثبيت عباده المؤمنين الصادقين، وعدم التخلي عنهم، فقد غرقت الأرض ونجي الله نوح و الذين أمنوا معه.

قال سيّد قطب:"حركة كونية ضخمة غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة، تبدأ بإسناد الفعل إلى الله مباشرة"ففتحا" فيحسّ القارئ يد الجبار تفتح "أبواب السماء" بهذا اللفظ وبهذا الجمع"بِماءٍ مُنْهَمِرٍ" غزير متوال وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها"وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً" وهو تعبير يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الأرض كلها، وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيونا، والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض"عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ" التقيا على أمر مقدّر، فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدّر، طائعان للأمر، محققان للقدر، حتى إذا صار طوفانا يطم ويعم، ويغمر وجه الأرض، ويطوي الدنس الذي يغشى هذا الوجه وقد يئس الرسول من تطهيره، وغلب على أمره في علاجه، امتدت اليد القوية الرحيمة إلى الرسول الذي دعا دعوته، فتحرك لها الكون كله، امتدت هذه اليد بالنجاة وبالتكريم"[1].

فمظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام، "تمنح الثقة في نصره وعونه، وتؤكد لهم أن الله عز وجل لا يمكن أن يتخلى عن عباده المؤمنين ولا أن يتركهم لقمة سائغة للطغاة والظالمين، ولكنه سبحانه يمهل ولا يهمل، فقد بذل نوح أقصى ما يمكن أن يبذله الداعية، وبالرغم من أن موقف قومه منه ومن دعوته لم يكن يوحي بأي أمل في استجابتهم له وإيمانهم بما جاء به، فإن نوحا عليه السلام ظل يدعوهم بغير ملل، ويعرض عليهم رسالته في ثقة تامة بالحق الذي يدعوهم إليه، ولم يكتفِ نوح بالتبليغ، ولم يمسك عن الدعوة بعد أن أخبره الله تبارك وتعالى بأنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، فلم يندم نوح على ما بذله من جهد، لأنه يعلم أن الله لن يضيّعه، وإن لم يثمر، فليس عليه إلا البلاغ، ولم يعتبر العمر الطويل الذي

([1])قطب، في ظلال القرآن، ج6، س3430.

قضاه معهم قد ذهب أدراج الرياح أو ضاع سُدى، ولكنه كان مُؤقنا بأنه سيكون لــه أثره الإيجابي في الأجيال التي تتابعت في فترة الرسالة"[1].

وعليه فإنه لابُد لنا أن نسلك مسلك نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام، فمن الله تعالى وحده نستمد التأييد والتثبيت ونُنشده النصر ونطلبه، فلا نلجأ إلا إليه سبحانه، فهو وحده القادر على نصرنا، وما علينا إلا أن نضع أقدامنا على الطريق ونسير على المنهج الرباني الصحيح، فمن سار على درب النصر يزده الله نصرا على نصر، ومن يرضى بذل الهزيمة يزده الله ذلا على ذل.

2.3 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه إبراهيم عليه الصلاة السلام.

لقد كانت دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام امتداداً لدعوة التوحيد التي دعا إليها نوح عليه السلام من قبل، ودعا بها الأنبياء من بعد، قال تعالى:M ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 L، [العنكبوت: 16] . فقد تجمّل عليه الصلاة والسلام بالأدب الرفيع والخلق العظيم، فكانت دعوته تجسيدا لهذه المعاني، قال تعالى:M 5 6 7 8 L، [النحل:120]. ويفسرها الزمخشري بأن إبراهيم عليه السلام كان أمة؛ لكماله في جميع صفات الخير، أو لأنه كان إماما يؤمه النّاس ليأخذوا منه الخير"[2]. وفي كلا المعنيين دلالة على سمو أدبه عليه السلام.

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي"سلّم قلبه للعرفان، ولسانه للبرهان، وبدنه للنيران، وولده للقربان، وماله للضيفان"[3]. كان نشطا في الدعوة إلى الله لا يفتأ، يُذكّر قومه وعشيرته بالرجوع إلى الله، لقد ناقش وحاور، وجادل وأقام الحجة، وفي

([1])الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج1، ص 98. باختصار.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص642،641. أنظر: النسفي، عبد الله بن أحمد، مداك التنزيل وحقائق التأويل، ج2، ص240. والنيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، (ت:850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ، ج4، ص314.

([3])ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج8، ص228.

كل الأحوال كان حليما رفيقا ليّن الجانب، دعا أباه إلى الإيمان برفق وحنو فأبى وهدد وتوعد، ولكن إبراهيم لم يفقد صوابه، ولا اتزانه، وظل مُشفقا على أبيه راغبا في هدايته"[1].

"ولم يبدأ الدعوة مع أبيه بتسفيه معبوداته، أو تحقير آلهته، لئلا ينفر منه، أو يصم آذانه عنه، أو يرميه بالعقوق والجحود، بل رتّب الكلام معه على أحسنِ اتساق، وخاطبه بالقول اللين، والأدب الجميل، وبدأ الحديث معه بذكر بنوّته، ليستثير عطفه، ويمسّ شِغاف قلبه، ثم سأله عما يدعوه إلى ركونه إلى الأصنام، وعكوفه على عبادتها، مع إنها لا تسمع دعاءه وثناءه، ولا تبُصر خشوعه وخضوعه، ولا تُستدّفعُ في بلاء فتدفعه، أو تُستّمنحُ شيئا فتمنحه"[2].

قال تعالى:M 7 8 9 : ; < = > ? @A B C D E F G H I

J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ]

^ _ ` a b c d e f g h i L.[مريم:41ـــ44]."لقد سلك عليه السلام في دعوته أحسنَ منهاجٍ وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدبٍ وخلقٍ جميل لئلا يركبَ متنَ المكابرة والعناد، ولا يُنكّبَ بالكلية عن حُجّة الرشاد... ولم يسِمْ أباه بالجهل المُفرِط وإن كان في أقصاه، ولا نفسَه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيقٍ له أعرفَ بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق"[3].

"وبالرغم من هذا الأدب في الدعوة إلى التوحيد مع البراهين والأدلة الدالة على بطلان عبادة الأوثان، أجابه أبوه بما هو غير مأمول منه، قال تعالى:M v w x y z { | } ~ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ £ ¤ ¥ L.[مريم: 46]. أي: "أمعرض أنت عن تلك الأصنام ومنصرف إلى غيرها؟ إن كنت لا تريد عبادتها ولا

---

(1) السيّد، عبد المقصود عسكر، في صحبة الرسل الكرام، ط1، دار البشير، القاهرة، 2000م، ص68.

(2) المولى، قصص القرآن، ص35.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج5، ص267.

ترضاها، فامتنع عن سبها وشتمها وعيبها، فإنك إن لم تنته عــن ذلــك لأرجمنــك بالحجارة أو لأشتمنك، وفارقني زمنا طويلا"[1].

فيلاحظ أن الأب قد قابل ابنه بالعنف، فلم يقل له: يا بُني، كما قال الابن له: يــا أبت، وقابله بالتهديد والوعيد بالشتم أو الضرب بالحجارة، فقد أغلظ الأب على ابنــه الرفيق به، ناسيا ما بينهما من الأبوة والبنوة، مُصرا على عبادة الأصنام.

ومع هذا كله أجابه إبراهيم عليه الــسلام بــاللطف قــائلا لــه: M ¦ § ¨ سَأَسْتَغْفِرُ « ¬ ¯ ° ± ² ³ L .[مريم:47]. قال الآلوســي:"هــذا ســلام الإعراض عن الأغيار وتلطف الأبرار مع الجهال"[2]. وقال الزحيلي:"سلام توديــع وترك لا سلام تحية، فلا ينالك مني مكروه ولا أذى، لحرمة الأبوة"[3].

ثم توجه عليه السلام إلى ميدان أوسع في دعوته، فدعا قومه كلهم إلى توحيد الله عز وجل، فأقام عليهم الحجة والبيان، هادما بها كل أسس عقائــدهم الفاســدة، قــال تعــــالى: M w x y z { | } ~ أَنتُمْ لَهَا ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © قَالَ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ L .[الأنبياء:52ـــ54]. لم يجدوا مستندا يستندون إليه في مواجهة حجج إبراهيم عليــه الــسلام إلا احتجــاجهم بالتقليد. قال الزمخشري:"ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيــد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادّون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم"[4].

وإلى هذا أشار سيّد قطب ناعيا على المقلدين موضحا أنهــم خاســرون حريــة الإيمان، قال:"هو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمهــا

([1])الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج16، 107.

([2])الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج8، ص460.

([3])الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج16، 107.

([4])الزمخشري، الكشاف، ج3، ص121،122.

الحقيقية لا التقليدية، فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهميـــة التقليديـــة، والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل"[1].

ولقد كان هذا المستند لقوم إبراهيم عليه السلام، هو المستند ذاتـــه الـــذي قيـــل للأنبياء كافة، قال تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 L.[الزخرف:23]. "فهـــذا الاحتجـــاج مـــن هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به إتباع الحـــق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل"[2]. "فلـــو لـــم يكن في كتاب الله تعالى إلا هذه الآية لكفت في إبطال القول بالتقليد"[3]. لذالك وجدناه إبراهيم عليه السلام، قد سلك مسلكا عمليا جريئا، مُندفعا بإيمانه بربـــه، فقـــد حطـــم الأصنام المعبودة، التي لا تضر ولا تنفع، حتّى يقيم عليهم الحجة.

"وهذا درس يتعلمه أصحاب الدعوات، فلا يظنـــوا أنّ ســـلاح العلـــم والحجـــة والبرهان ماض مع كل إنسان، لا فهُناك مكابرون يعرفون الحق ويزيغـــون عنـــه، ويرون الصواب ويحيدون عنه لهوى في نفوسهم ولاستحواذ الشيطان عليهم، لا شك أن سلاح العلم والمنطق والحجة والبرهان من أقوى الأسلحة التي يجب على الداعي أن يستعد بها، ولكنه وحده لا يكفي"[4].

قال تعالى مُبينا مسلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع قومه:M وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X

([1])قطب، في ظلال القرآن، ج4، 2385.

([2])السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص764.

([3])الرازي، مفاتيح الغيب، ج27، ص627.

([4])الأميري، أحمد البراء، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن، دار المنارة، جـــدة، 1986م، ص78.

Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g

h i j k l m n o p q r s t u v

w x y ı { | } ~ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨

© بَرۡدٗا « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ L .[الأنبيـــــاء:

57-70]. "أي: والله لأكسرن أصنامكم، بعد أن تُولوا مُدبرين، يعني: بعد أن تنطلقوا ذاهبين إلى عيدكم، وذلك أن القوم كانوا أرادوا أن يخرجوا إلى عيـــد لهـــم، فقـــالوا لإبراهيم: اخرج معنا حتى تنظر إلى عيدنا، وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم لم يخلفـــوا بعدهم إلا من كان مريضاً، فَنَظَرَ إبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي النجوم فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ"[1]. وهذا تعليل من إبراهيم عليه السلام حينما قال إني سقيم من معاريض الكلام، وذلـــك كي يتخلف عن القوم ويحطم آلهتهم[2]. وقد كان يقصد بذلك إني سقيم النفس متـــأثر بسبب كفرهم وتوجههم بالعبادة إلى حجارة لا تضر ولا تنفع[3].

"فأخذ إبراهيم فأساً ويقال قدوما، وجاء إلى بيت أصنامهم وقد وضـــعوا ألـــوان الطعام بين أيديهم، فإذا رجعوا من عيدهم، كانوا يرفعون ذلك الطعام ويأكلونه تبركاً، ودخل إبراهيم بيت الأصنام، فرأى ذلك الطعام بين أيديهم، فقـــال: أَلا تَـــأْكُلُونَ فلـــم يجيبوه، فقال: مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ"[4]. أي: بيده اليمنـــى"[5]. فخصت بالذكر؛ لأنها أقوى الجارحتين وأشدّهما بالقوة والمتانة[6]."فَجَعَلَهُـــمْ جُـــذاذاً، يعني: فتاتاً، إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لم يكسره وتركه على حاله عَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، يعني: إلى الصنم الأكبر، ويقال: يَرْجِعُونَ إلى قوله باحتجاجه عليهم لوجوب الحجـــة علـــيهم، فجعل القدوم على عنق ذلك الصنم الأكبر"[7].

([1])السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص429.

([2])الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ج3، ص 545.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج4، ص49.

([4])السمرقندي، بحر العلوم،ج2، ص230.

([5])الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص528.

([6])الزمخشري، الكشاف، ج4، ص50.

([7])السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص430.

فلما رجعوا من عيدهم، نظروا إلى آلهتهم المكسرة والمتحولة إلى فتات، فأخذوا يبحثون عن من فعل هذا، وهذا ما دل عليه قولــه تعــالى:M * + , - . / 0 1 2 L. [الأنبياء: 59]. وقد كان أحد من القوم سمع إبراهيم عليــه السلام، حين أقسم على تحطيم الآلهة، فحفظها عليه[1]. وهُنا إشارة من الله عز وجل بقولـــــــه:M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C L. [الأنبياء:61،60].أي:"فَأْتُوا بِهِ عَلَى مرأى منهم ومنظر"[2]. "كــي يشهدون عليه بما يعرفون منه، ويشهدون عقوبته"[3].

وقد جيء بإبراهيم عليه السلام، يستجوبونه؛ للتأكد منه أنه هو من قــام بتحطــيم الآلهة، قال تعــالى:M D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y ا { | } ~ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © بَرۡدٗا « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ L. [الأنبياء:62-70]. فمن خــلال الآيــات الكريمة يظهر لنا تمثيل وتصوير واضح للمحاكمة العلنية من هؤلاء القوم لإبــراهيم عليه السلام، "فلما أتوا به قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبــراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بهــا ذلــك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها"[4].

([1])انظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص430، والواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص242.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 124.

([3])السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص 431.

([4])الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص 461.

"ولمّا دُحضت حُجتهم، وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عـدلوا إلـى استعمال جاه مُلكهم"(1). فعمدوا إلى إنزال العقوبة بإبراهيم عليـه الـسلام، فَقَـالُوا: M ~ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ¢ £ ¤ ¥ ¦ L [الأنبياء:68].

وشرع قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بجمع الحطب وذلـك تنفيـذا للحكـم الصادر، فجمعوا حطبا كثيرا جدا، حتى إن كانت المرأة لتمرض، فتنذر إن عُوفيـت أن تحمل حطبا لحريق إبراهيم، ثم جعلوه في جوبة من الأرض، أي: داخل حـائط مستدير، وأضرموها نارا، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع، لم توقد قط نار مثلها، حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، وجعلوا إبراهيم عليه السلام فـي كفة المنجيق، فلما ألقوه قال:حسبي الله نعم الوكيل(2).

وهُنا يأتي التأييد والتثبيت الرباني لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فنجـاة إبـراهيم عليه السلام من النار، هي أول مظهر من مظاهر تأييد الله تعـالى وتثبيتـه لنبيـه إبراهيم، قال تعالى:M § ¨ © بَرۡدٗا « ¬ ® ¯ L.[الأنبياء:69]. "حيثُ جعل الله سبحانه فيها بردا يدفع حرها، وحرا يدفع بردها، فصارت سلاما عليه، ولو لم يقل سلاما لكان بردها أشد من حرها، ولو لم على إبراهيم لكان بردها باقيا إلـى الأبد"(3). فهي نصرة عظيمة من رب عظيم، وقال الرازي في كيفية برودة تلك النار ثلاث وجوه.

"أحداها: أن الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق، والله على كل شيء قدير.

وثانيها: أن الله تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النـار إليه، كما يفعل بخزنة جهنم.

---

(1)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص351.

(2)أنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص 465. وابن كثير، تفسير القـرآن العظيم، ج5، ص351. والسمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص431.

(3)الماوردي، علي بن محمد، (ت:450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقـصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص454.

وثالثهما: أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلا يمنع وصول أثر النار إليه"[1].

قال القاسمي: مُعلقا على هذه الأوجه الثلاثة: "قال المحققون: والأول أولى لأن ظاهر قوله: يا نار كوني بردا، أي أن نفس النار صارت باردة حتى سَلِمَ إبراهيم من تأثيرها، لا أن النار بقيت كما كانت[2]".

وقال سيّد قطب: "وما كان تحويل النار بردا وسلاما على إبراهيم إلا مثالا تقع نظائره في صور شتى، ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهز، فكم من ضيقات وكربات تحيط بالأشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية، وإن هي إلا لفتة صغيرة، فإذا هي تحيي ولا تميت، وتنعش ولا تخمد، وتعود بالخير وهي الشر المستطير"[3].

ولنتأمل كيف كانت المعونة الإلهية لنبيه إبراهيم عليه السلام، إذ غيّر سبحانه الأشياء بكلمة كن، فهو نعم المعين والمؤيد، ونجد مظهر آخر من مظاهر نصرة الله وتأييده وتثبيته لنبيه إبراهيم عليه السلام، مبني على نجاته من النار، إذ قرر عليه السلام اعتزال قومه وما يعبدون وهجرانهم بسبب الكفر الذي يعيشونه، قال تعالى: Mوَقَالَ « ¼ ½ ¾ سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ L.[الصافات:99]، قال القرطبي:"هذه الآية أصل في الهجرة والعُزلة، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلّصه الله من النار، قال:"إني ذاهب إلى ربي"أي: مُهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه "سيهدين" فيما نويت من الصواب، فهو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة، إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام، وقيل ذاهب بعملي وعبادتي، وقلبي ونيّتي، فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن"[4].

وقد يسّر الله سبحانه جلّ في علاه الهجرة لنبيه إبراهيم عليه السلام، قال سيّد قطب:"فهي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية، هجرة يترك وراءه فيها كل شيء من ماضي حياته، يترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه وكل ما يربطه بهذه

([1])الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص159.

([2])القاسمي، محاسن التأويل، ج7، ص204.

([3])قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2388.

([4])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص97.

الأرض وبهؤلاء الناس، طارحا وراءه كل شيء، مسلّما نفسه لربه، موقنا أن ربه سيهديه، وسيرعى خطاه، وينقلها في الطريق المستقيم، إنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، ومن أواصر شتى إلى آصرة واحدة لا يزحمها في النفس شيء، إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين"[1].

ومن مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، تنجيّه ولده إسماعيل من الذبح، وذلك عندما رأى رؤية في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل، "ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي"[2]. قال تعالى:M فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ × مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ â شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ç ! "
$ % & ' ( ) * + , · . / 0 1 2 3 4 5 6
7 8 9 : ; < L.[الصافات:102-107]، قال ابن عاشور:"والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه، وإثبات علّو مرتبته في طاعته ربه، فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد هو آمل الوالد ومستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة، فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سُؤله وترعرع ولده، أمر بأن يذبحه، فينعدم نسله، ويخيب أمله، ويزول أنسه، ويتولى بيده إعدام أحب النّفوس إليه، وذلك أعظم الابتلاء فقابل أمر ربه بالامتثال"[3].

ولكن الله سبحانه - جلّ في علاه - فدى إسماعيل الذي كان مثالا للطاعة والتسليم، فلم يخف ولم يفزع، فأسلم لله كما أسلم والده الذي أخبره بالرؤيا.

قال سيّد قطب: "فهي كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه، وهي بالوقت ذاته كلمات المؤمن الذي لا يهوله الأمر فيؤديه، ليخلص منه وينتهي، فالأمر شاق ما في ذلك من شك، فهو لا يُطلب إليه بإرسال أبنه الوحيد إلى المعركة، ولا يُطلب إليه أن يُكلفه أمرا فتنتهي به حياته، إنما يُطلب إليه أن يتولاه هو بيده، يتولى ماذا؟ يتولى ذبحه، وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا

---

[1]قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2994.

[2]انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2،ص202. والثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج5، ص43.

[3]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص150.

التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض، ويطلب منه أن يتروّى، فهو لا يأخذ ابنه على غرة لينفّذ إشارة ربه وينتهي، إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر، فالأمر في حسّه هكذا، ربه يريد فليكن ما يريد، وابنه ينبغي أن يعرف وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلاما لا قهرا واضطرارا؛ لينال هو الآخر أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر ويتذوّق حلاوة التسليم"(1).

وقد صدع إبراهيم عليه السلام بذبح أبنه، وأطاع إسماعيل أباه، وقد ظهرت طاعتهما وتسليمهما لله، ولم يبقَ معنى لإراقة الدم.

"فالابتلاء قد تم، والامتحان قد وقع، ونتائجه قد ظهرت، وغاياته قد تحققت، فالله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام، بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تضره عن أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد، ولو كانت هي النفس والحياة"(2). فلننظر إلى عظيم تأييد الخالق عز وجل وتثبيته، التي منّ بها على نبيه بعد الشدة التي لقيها فهل لنا في ذلك من عبرة ؟

3.3 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام.

إنّ مولد نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، ليس كميلاد غيره من الأنبياء أو البشر، وإنما كان في ميلاده عليه الصلاة والسلام التحدّي من قبل الله -جلا في علاه - فقد ولد موسى عليه السلام في ظروف صعبة جدا، ولد في ظل التعذيب الفرعوني لبني إسرائيل، ولد والموت يتهدده، والضعف والإذلال في قومه، قال تعالى:M X Y L.[طة:40]. أي:"وابتليناك ابتلاء"(3). فإلقائه في التابوت، ثم في البحر، ثم التقاط آل فرعون له، ثم خروجه خائفا، هو من الابتلاء(4).

---

(1)قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2995.

(2)المرجع نفسه، ج5، ص2996.

3 - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص28.

4 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص310.

ففرعون الطاغية يُذبّح الأولاد الذكور من بني إسرائيل، ويستبقي النساء، قال تعالى: M ~ فِرْعَوْنَ عَلَا ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © يُذَبِّحُ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ L. [القصص:4]. حذرا من أن يأتي موسى عليه السلام، قال تعالى: M % & ' ( ) * + , L. [القصص:6]. بالرغم من شدة حذر فرعون، وحرصه على عدم مجيء هذا المولود، إلا أن قدرة الله تعالى نافذة، فقد ولد موسى عليه السلام، وتربّى وترعرع في قصر فرعون، وأنفق على تربيته ورضاعته من ماله، وسيكون هلاكه في الدنيا والآخرة على يديه.

"وكأن القدر يقول لهذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده واتساع سلطانه، قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع، ولا يخالف أقداره، أن هذا المولود الذي تحترز منه، وقد قتلت بسببه من النّفوس ما لا يُعدّ ولا يُحصى، فلا يتربى إلا في دارك، وعلى فراشك، ولا يُغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك، وأنت الذي تتبناه وتربيّه، ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين، لتعلم أنت وسائر الخلق أن ربّ السماوات والأرض هو الفعال لما يُريد، وأنه هو القوي الشديد، ذو البأس العظيم، وهو صاحب الحول والقوة والمشيئة التي لا مردّ لها"[1].

فتأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام كان مُرافقا له منذ الصغر، منذ أن كان طفلاً رضيعاً، فقد تجبّر فرعون ببني إسرائيل واستعبدهم، وكان نبي الله موسى عليه السلام، من هؤلاء القوم الذي نجّاهم الله تعالى من القتل، وذلك عندما جعل فرعون يد القتل تعيثُ في أبناء بني إسرائيل، فقتّل الرجال والأطفال، واستحيا النّساء، وعمّ البلاء، وهذا ما دل عليه قول الحق سبحانه: M ~ فِرْعَوْنَ عَلَا ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © يُذَبِّحُ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ L. [القصص:4]. أي: إن فرعون تجبر في الأرض وطغى وتكبر،

---

1 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت:774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي الشهري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص275.

وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقروا له بالعبودية، وجعل أهلهـا بنـي إسـرائيل فرقـا متفرقين، أي: يذبح طائفة منهم، ويستحي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفـة [1].

وفي قوله:{ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}، قال الشعراوي:"إن الإفساد أن تأتي على الصالح بذاته فتفسده، فمن الفساد إذن قتل الذُّكران واستحياء النّساء؛ لأن حياة النّاس لا تقوم إلا باستبقاء النوع، واختار قتل الذّكران؛ لأنهم مصدر الشر بالنسبة له، أمّا النّـساء فلا شوكة لهُنّ، ولا خوف منهنّ؛ لذلك استبقاهُنّ للخدمة والاستذلال"[2].

ولقد تحدث الشعراوي -رحمه الله- عن نقض الخالق سبحانه -جلّ في علاه - لإلوهية فرعون عليه لعنة الله، قال الحق سبحانه ما جاء على لسان فرعون:M G H I J K L M N O P L.[القصص:38]، وقـال سـبحانه أيضا:M H I J K L L L.[النّازعات:24]، يقـول الـشعراوي:"عجيـب أمـر فرعون، فبعد أن أمر بقتل الأولاد من بني إسرائيل يأتيه في البحر تابوت به طفـل رضيع، فلا يخطر على باله أن أهله ألقوه في البحر لينجوا من فرعون، فكيف فاتته هذه المسالة وهو إله؟ لم يعرفها بإلوهيته، ولا عرفها حتى بذكائه وفطْنته، وإذا كـان الكهنة أخبروه بأن ذهاب مُلكه على يد وليد من هـؤلاء الأولاد، وإذا كانـت هـذه النبوءة صحيحة فلا بُدّ أن الولد سينجو من القتل ويكبر، ويقضي على مُلك فرعون، وما دام الأمر كذلك فسوف يقتل فرعون الأولاد غير الذي سيكون ذهاب مُلكه علـى يديه، وتشاء إرادة الله أن يتربى موسى في قصر فرعون، وأن تأتي إليه أمه الفقيرة لتعيش معه عيشة الترف والثراء، ويصير موسى بقدرة الله قُرّة عين للملكة، فـانظر إلى هذا التغفيل، تغفيل عقل وطمس على بصيرة فرعون الذي ادّعى الإلوهيـة"[3].

ففي ذلك دليل على غباء قومه؛ لأنهم لو تأملوا هذه المسالة لظهر لهم كذب فرعـون في ادّعائه الإلوهية.

---

1 - أنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص516. وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج3، ص374.

2 - الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج17، ص10874.

3 - المرجع نفسه، ج17، ص10879.

وقد عاشت أم موسى عليه السلام شدة وبلاء عظيمين عندما ولدت موسى عليه السلام، فحافظت عليه من أن يُقتل على يد فرعون ورجاله، خوفا منه على ملكه بسبب سماعه أنباء مفادها أن زوال مُلكه يكون على يد فرد من بني إسرائيل[1].

فأوحى الله تعالى إليها أن تُرضعه وتُلقيه في اليمّ، وأن لا تخف ولا تحزن؛ لأنه سبحانه رادّه إليها، قال تعالى:M . / 0 1 2 3 5 6 7 8
9 : ; < = > @ A B C D E F L.[القصص:7].

قال الزمخشري: "إن المراد بالخوفين في الآية، أن الأول: خوفها عليه من القتل؛ لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته؛ فينموا عليه، وأما الثاني: فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في طلب الولدان"[2].

وقد تربى هذا الطفل في بيت عدو الله وعدوه فرعون، فبعدما أنقذه الله من الغرق ومنّ الله على أُمه فرده إليها وكانت هي مُرضعته، قال تعالى:M G H
I J K L M O P Q R S T U V W
X Y Z [\ ^ _ ` a b c d e f g h i L.[القصص:8-9]. قال الطبري:"فالتقطه آل فرعون ظنّا منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم، ليكون قرّة عين لهم، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه"[3]. ولهذا تكون اللام في قوله تعالى:{ليكون}لام العاقبة[4].

قال ابن القيم:"فهو تعليل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له، فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه وقدره، فهو سبحانه قدّر ذلك وقضى به؛ ليكون لهم عدوا وحزنا، وذكر فعلهم دون قضائه؛ لأنه أبلغ في كونه حزنا لهم، وحسرة عليهم، فإن من اختار

---

1 - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، 578. والشعراوي، تفسير الشعراوي، ج17، ص10878.

2 - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص393.

3 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص523.

4 - أنظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج4، 277، والرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص218، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص252.

أخذ ما يكون هلاكه على يديه، إذا أصيب به، كان أعظم لحزنه، وغمـــه، وحـــسرته من أن لا يكون فيه صنع ولا اختيار، فإنه سبحانه أراد أن يظهر لفرعون وقومـــه، ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه وحكمته الباهرة، وأن هذا الذي يذبح فرعـــون إلا بناء في طلبه هو الذي يتولى تربيته في حجره وبيته، باختياره وإرادته، ويكـــون في قبضته وتحت تصرفه"[1].

فالله سبحانه أراد إنقاذ بني إسرائيل بموسى ليكون سببا في إسعادهم برسالة الله، وامرأة فرعون أرادة تحقيق هدف معين لكن القدرة الإلهية هي التي زرعـــت هـــذه الرغبة لديها، فالإنسان يقصد أمرا معينا ويحدث شيئا غيره، فقد أرادوا موسى قـــرة عين لهم، لكنه كان حزنا عليهم وعدوا.

قال تعـــالى:M ¾ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣ L.[القصص:13].أي:"فرددنا موسى إلى أمه بعـــد أن ألتقطه آل فرعون، لتقر عينها بابنها، إذ رجع سليما من قتل فرعون، ولتعلم أن وعد الله الذي وعدها إياها حق"[2].

قـــال تعـــالى:M ! " # $ % & ' | ( ) * + , L.

[القصص: 14]. ففي هذه الآية الكريمة يتحدث القرآن الكريم، ويُسلّط الضوء علـــى مرحلة الفتوة وقوة الشباب عند هذا النبي الكريم، الذي أعطاه الله الحكمة والعلم، قال صاحب الظلال:"وبلوغ الأشد هو اكتمال القوى الجسمية، والاستواء: اكتمال النضوج العضوي والعقلي، ويكون عادة حوالي سنّ الثلاثين"[3]. ويقول سيّد طنطاوي: هـــو "منتهى شدته وقوته واكتمال عقله"[4].

---

1 - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هــ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، 1398هــ/1978م، ص191.

2 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص535.

3 - قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2681.

4 - طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، ج10، ص386.

وحين بلغ موسى عليه السلام منتهى شدته وقوته، واكتمال عقله، آتاه الله {حكما وعلما}، أي: "آتاه الله الفقه، والعقل، والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يُبعث"[1].

ومن مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه موسى عليه السلام، أن نجّاه من أن يُؤخذ بدم قتيل قتله خطأ من قوم فرعون، قال تعالى:M - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @A B C D E F G H I J L M N O P R S T U V L. [القصص:15]. ففي الآية الكريمة، يُبين الله تعالى لنا مدى حرص هذا النبي الكريم على مُحاربة الأشرار الذين يضطهدون الناس ويذلونهم، حيث استجاب لنداء أحد المستضعفين الإسرائيليين الذي وقع عليه الاعتداء من أحد الفراعنة الظلمة، {فوكزه موسى فقضى عليه}.يقول الألوسي:"أي ضرب القبطي بجمع كفه، أي بكفه المضمومة أصابعها"[2]، وهذا هو"المفهوم من التعبير أنها وكزة واحدة، كان فيها حتف القبطي، مما يُشيد بقوة موسى وفتوته، ويصور كذلك انفعاله وغضبه"[3].

ويُفهم من سياق قصة موسى عليه السلام مع القبطي، أن موسى له شخصية انفعالية، حارة الوجدان، قوية الاندفاع، وهذه سمة بارزة فيه، إذ إنّه لم يكن يقصد قتل القبطي، ولم يعمد إلى القضاء عليه، فما كاد يراه جثة هامدة، بين يديه حتى استرجع وندم على فعلته، وعزاها إلى الشيطان، لأن الغضب من الشيطان، {قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ}. ثم اعترف بظلمه لنفسه، وحمّلها هذا الوزر طالبا من الله العفو والمغفرة، قال تعالى:M ^ _ ` a b c d L [القصص:16]، وبعد هذا الدعاء أحسّ بأنّ الله تعالى قد غفر له، فإذا هو يقطع على نفسه عهدا، ألّا يقف في صف المجرمين ظهيرا ومعينا، قال تعالى:{قالَ رَبِّ بِما

---

1 - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3، ص526.

2 - الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج10، ص263.

3 - قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2682.

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}، وهو براء من الجريمة وأهلها في كل صور من صورها"[1].

فلم تكن الحادثة هيّنة على موسى عليه السلام، بل أحدثت لديه شدة بالغة وكربا عظيما، فأصبح في مدينة فرعون مرعوبا فزعا يترقب؛ مخافة أن يعلم بها فرعون فيأخذ بدم القبطي، حتى إنه ليراقب أقوال الناس في شأنه؛ منتظرا حدوث المكروه بإفشاء سره[2]. قال تعالى: M p q r s t u v w x y { | } ~ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © عَدُوٌّ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¸ ¹ إِلَّآ » ¼ ½ ¾ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ L. [القصص: 18-19].

ويبدوا أن حالة موسى عليه السلام، تُلهم أنه لم يكن في ذلك الوقت من رجال القصر، فلم يتمتع بتلك المكانة التي حُظيا بها في بيت فرعون وقلبه؛ وذلك لأن شدة خوفه وحرصه يدل على ذلك دلالة واضحة، وإلّا لكان الأمر بالنسبة إليه هيّنا، لا سيّما أن المقربين من الملوك الظالمين لا يخشون من قتل الناس وإزهاق أرواحهم البريئة[3].

وبينما موسى - عليه الصلاة والسلام - على تلك الحالة من الترقب والشدة، إذ يرى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي، واستغاث به بالأمس، يُقاتل رجلا آخر من القبط، فلما رأى موسى قتاله للآخر، أعظم ذلك عليه وقال له مُعاتبا ومؤنبا له{إنك لغوّي مبين}،أي:"إنك لذو فساد في الخلق والدين؛ لأنك أمس قاتلت واليوم تُقاتل أيضا، فظن الإسرائيلي أن موسى يُريد قتله، فقال: M £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © عَدُوٌّ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¸ ¹ إِلَّآ » ¼ ½ ¾ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ

---

1 - قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2682. بتصرف يسير.
2 - أنظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج4، ص281.وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج3، ص378.
3 - قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2683. بتصرف يسير.

مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ L. [القصص:19].أي: تضرب وتقتل كما تشاء ولا تخاف عقوبة ذلك، بدلا من أن تكون من الذين يُصلحون بين المتخاصمين"[1].

"ولما سمع القبطي قول الإسرائيلي، علمَ أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني، فأنطلق إلى فرعون فأخبره بذلك الأمر، وأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام"[2].

وهُنا لا بُد للباحث من توضيح وهو: أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يقتل عن عمد في المرة الأولى، ليحاول القتل عن عمد في المرة الثانية، كما يتصوره البعض، وإنما حاول موسى عليه السلام، أول مرة دفع أذى القبطي عن الإسرائيلي المضطهد وذلك بضرب القبطي بوكزه وليس بقتله، والذي أراده موسى عليه السلام، في المرة الثانية، هو نفس ما أراده في المرة الأولى وهو: دفع أذى القبطي عن الإسرائيلي المضطهد بضربه والبطش به، وهذا هو الظاهر من الآيات القرآنية، وليس في الآيات ما يدل على أنه تعمّد قتل القبطي في المرتين، ومن يدّعي أن موسى عليه الصلاة والسلام كان مُتعمّدا للقتل في أي منهما فعلية أن يأتي بالدليل.

وعليه أصبح موسى مطلوبا لفرعون وجيشه، فأخذ القوم يبحثون عنه، وسخّر الله تعالى لموسى من ينقل له أخبار فرعون ومكائده، قال تعالى:Mوَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ × ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ L ، [القصص: 20]. فسخّر الله تعالى له رجل خالف أمرهم يسعى، أي:"يُسرع لفرط حبه لموسى عليه السلام، قال: يا موسى إن الملأ يأتمرون بك، أي: يتشاورون بسببك؛ ليقتلوك، فأخرج من مملكتهم إني لك من الناصحين"[3].

---

1 - الجزائري، جابر بن موسى، أيّسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424هـ/ 2003م، ج4، ص61.

2 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج7، ص7.

3 - القاسمي، محاسن التأويل، ج7، ص518.

وما إن سمع موسى عليه السلام، مقولة ذلك الرجل الناصح الآمين، حتى خـــرج من مدينة فرعون، خائفا يترقب، قاصدا"مدين"[1]. سالكا طريقها، حذِرا من اللحـــاق والإمساك به[2]. قال تعـــالى:Mفَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ à نَجِّنِي â ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ L. [القصص:21]. أي: "خلّصني منهم وحفظني من لحوقهم"[3].

ولما خرج عليه السلام إلى مدين، فارا بنفسه من بطش فرعون وجنوده، خـــرج ولم يكن يعرف الطريق، ولم يكن أحد يصحبه، فقد سأل الله عز وجل الهدايـــة إلـــى الطريق الصحيح كي يصل إليها، ولا يضل، وأن لا يقع في أيـــدي جنـــد فرعـــون وعيونه[4].

قال تعالى:M - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :
; < = > ? A B C D E F H I J K L M N O P Q
R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d
e f g h i k l m n o p q r t u v w x L.
[القصص:23ـــــ25].

فهذا النص القرآني يُنبئنا عن التأييد الرباني والتثبيت الذي نالـــه موســـى عليـــه السلام، والأمن الذي كان في أمس الحاجة إليه، ففي هذه الآيات الكريمة، يُبين الحق سبحانه وتعالى أحداث المرحلة الثانية من حياة هذا النبي الكريم، الذي انتقل من حياة النعيم والرفاهية إلى حياة الجد والتعب والكد، فقد خرج مـــن مـــصر بِـــلا زاد ولا

---

1 - مدين: اسم لقبيلة نبي الله شعيب، وتقع بين وادي القرى والشام، وقيل بين المدينة والـــشام بجوار تبوك. أنظر: الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبـــد الله، (ت:626هـــــ)، معجـــم البلدان، ط2، دار صادر بيروت، 1995م، ج5، ص77.

2 - أنظر:الزمخشري، الكشاف، ج3، ص400. والطبري، جامع البيان فـــي تأويـــل القـــرآن، ج19، ص548.

3 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز، ج7، ص8.والبيضاوي، أنـــوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص174.

4 - أنظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتـــاب العزيـــز، ج4، ص282، والسمرقندي، بحر العلوم، ج6، ص603، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج8، ص296. وابن جزّي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج2،ص111.

شراب، وحيدا فريدا خائفا، ليس معه أحد إلا الله سبحانه جلّ في علاه، وقطع المسافات البعيدة، وهو يسير في صحراء مظلمة باردة قاحلة، يقول ابن عاشور:"فتلك المسافة تستدعي من المدة نحو خمس وأربعين يوماً، وكان يبيت في البرية لا محالة، وكان رجلا جلدا، وقد ألهمه الله سواء السبيل، فلم يضل في سيّره"[1].

قال سيّد قطب:"وما نكاد نستغرق مع موسى- عليه السّلام- في مشهد المناجاة حتى يعجل السياق بمشهد الفرج، يا فرج الله: ويا لقربه ويا لنداه! إنها دعوة الشيخ الكبير استجابة من السماء لدعوة موسى الفقير، دعوة للإيواء والكرامة والجزاء على الإحسان، فقد كان موسى في حاجة إلى الأمن كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب، ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد من حاجة جسمه إلى الزاد، ومن ثم أبرز السياق في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور: «لا تَخَفْ» فجعلها أول لفظ يعقب به على قصصه ليلقي في قلبه الطمأنينة، ويشعره بالأمان ثم بين وعلل: «نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» فلا سلطان لهم على مدين، ولا يصلون لمن فيها بأذى ولا ضرار"[2].

ووصل بعد رحلة شاقة مضنية إلى أرض مدين، بعيدا عن سلطة فرعون وقومه، ويقص علينا القرآن ما حدث له بعد وصوله إليها، قال تعالى:M - . /
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; L.[القصص:23].

ولما وصل عليه السلام، مدين بلدة شعيب، وجد جمعا كبيرا من الناس مجتمعين على بئر، يسقون أغنامهم، ووجد امرأتين بعيدتين عن تلك الجماعة، فسال تلك المرأتين عن السبب الذي دفع بهما عن الخروج، وجعلهما تقفان بعيدتين عن الناس، فأخبرتاه أنهما لا تستطيعان سقي غنمهم، لضعفهما، وقلة حيلتهما، وعدم قدرتهما على مزاحمة الرجال، حتى ينتهي الرعاة من سقي غنمهما، فتسقيان غنمهما ثم ترجعان، ومرجع ذلك كون أبيهما شيخا كبير السن لا يقدر على شؤون غنمه، لعجزة، وضعفه، وكبر سنة، فلا أحد من هذا الجمع يكترث أو يهتم بهن، فلم يطق

---

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص98.

2 - قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2686، 2687.

موسى عليه السلام، أن يرى تلك المرأتين وهما على هذه الحالة من الضعف، حتى تحركت عنده النخوة والغيرة وحب نصرة الضعيف[1]. يقول سيّد طنطاوي:"يا له من صاحب همة عالية، ومروءة سامية، ونفس ثابتة، نحو نصرة المحتاج"[2].

وقال تعالى:{فسقى لهما}، أي: "فسقى غنمهما لأجلهما، والرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقلّه إلا سبعة رجال، وقيل عشرة أو أكثر، فأقلّه وحده، وإنما فعل هذا رغبة في المعروف، وإغاثة للملهوف"[3].

ولما وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحم عليه الناس، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنمهما مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب، ولكنه رحمهما فأغاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة، بقوة قلبه وقوة ساعده"[4].

وقد سطّر لنا القرآن الكريم وصف موسى عليه السلام بخصلتين عظيمتين، ألا وهي(القوة والأمانة)، فقال تعالى حكايتا عنها:M y z { | } ~ خَيْرَ مَنِ ¢ £ ¤ ¥ L،[القصص:26]. "قال لها أبوها ما رأيت من قوته وأمانته، فأخبرته بالأمر الذي كان، قالت: أما قوته فإنه قلب الحجر وحده وكان لا يقلبه إلا النفر، وأما أمانته فإنه قال: امشي خلفي وأرشديني الطريق لأني امرؤ من عنصر إبراهيم عليه السلام، لا يحل لي منك ما حرم الله تعالى"[5].

"وهذه منّه من الله تعالى على موسى عليه السلام، بأن وفقه للجمع بين خصلتين عظيمتين: القوة والأمانة؛ فالقوة الجسمية واضحة في حياته السابقة، عندما ضرب القبطي بوكزة فقضى عليه، وعندما رفع الحجر الكبير الثقيل، وأزاحه عن فم البئر، ورعيه للغنم مدة عشرة سنين، والأمانة: قوة معنوية، وهي قوة النفس والروح، قوة

---

1 - ابن عطية الاندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص283.

2 - طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج10، ص393.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص401.

4 - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص401،402.

5 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، 1993م، ج6، ص404.

الإرادة والعزيمة، قوة التحلي بالأخلاق الحميدة، فقد كـان أمينـا علـى العـرض والشرف، وعلى المال والغنم، وعلى بيت الرجل"[1].

ولننظر إلى آثار نصر الله تعالى وتأييده وتثبيته للنبي موسى عليه السلام، عنـدما خرج ببني إسرائيل من مصر تجاه البحر، وقد كانوا كثيري الشكوى لنبيهم من ظلم فرعون وتعذيبه إياهم، قال تعالى:M ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ عَسَىٰ » ¼ ½ ¾ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ L.[الأعراف: 129].

فقد أوحى الله تعالى لموسى عليه السلام أن يخرج في الليل باتجاه البحر، وإنهم متبعون ومن معه من قبل فرعون وجنوده، الذي قضى أمره وبدأ بتنفيذه، لـتخلص والقضاء العاجل على موسى ومن ومعه[2]. قـال تعـالى:M ´ µ ¶ ¸ ¹ أَسْرِ » ¼ ½ ¾ L.[الشعراء:52].

وامتثالا لأمر الله عز وجل خرج موسى عليه السلام، ببني إسرائيل مُتجها نحـو البحر، ولما علما فرعون بخروجهم، أرسل في المدائن من يحشر النـاس ويجمـع الجيش للحاق بموسى ومن معه، ومنَعهم من الخروج من مصر[3]. وإلى هذا يُـشير الله عز وجل بقوله:M فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ L.[الشعراء:53]. أي"يجمعون النّاس، ليوقع ببني إسرائيل، ويقول مُشجعا لقومـه:M إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ L. [الشعراء: 54-56]. ونريد أن نُنفذ غيظنا في هؤلاء العبيد، الذين أبِقُوا منّا، ولتحذروا منهم، فهم أعداء للجميع، فخرج فرعون وجنـوده، في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلف منهم سوى أهـل الأعـذار، الـذين مـنعهم العجز"[4].

---

1 - الخالدي، صلاح، القصص القرآني، ط2، دار القلـم، دمـشق، 1428هـ/2007م، ج2، ص340.

2 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص100،وابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص231.

3 - الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص353.

4 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص591.

ولما لحق بهم فرعون وجنوده، أدركهم عند شروق الشمس[1]، حتى دبّ الرعب في قلوب بني إسرائيل وجزعت قلوبهم وكادت تصل الحناجر، كلما اقترب فرعـــون وجنوده منهم[2]." فالبحر أمامهم، والعدو وراءهم، وليس لهم من طريق للنجـــاة"[3].

قال تعالى: M à مُّشْرِقِينَ â ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D L. [الشعراء: 60ـــ64].

ولا بُد لنا من تدقيق النظر بثقة هذا النبي بربه، فقد عَلِمَ علم اليقين أن الله تعـــالى ناصره ومؤيده والمؤمنين، وهذه سنة الله تعالى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وكان سبب نصرهم وثباتهم ونجاتهم آنذاك أن"أمر الله تعالى لنبيه بإلقاء العـــصى فـــي البحـــر فظهرت اليابسة، وعبر بمن معه، ونجوا من فرعون وظلمه الـــذي خـــسر وهلـــك وانهزم"[4]. وهذا ما دل عليه قولـــه تعـــالى: M 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L.[الشعراء:63]. وهاهو بعدما كانت الأنهار تجري من تحته كما يزعم، جعلها الله تجري من فوقه هزيمةً وخسرانا، قال تعـــالى: M y z { | } ~ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ¢ £ ¤ ¥ L. [الأعراف: 136].

وقد منّ الله سبحانه جلّ في علاه على بني إسرائيل بهذه النجاة وهذا النصر، قال تعـــالى: M µ ¶ ¸ ¹ ٱلَّذِينَ » ¼ ½ ¾ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٥ ! " # $ % & ' ( ) * + , - L.[القصص: 5-6].

---

1 - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص4، ص232.
وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص134.

2 - المراغي، تفسير المراغي، ج11، ص145.

3 - الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج8، ص4721.

4 - السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص556. وابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفـــسير الكتاب العزيز، ج4، ص233.

وقال سبحانه:M P Q R S T U V W Y Z [\ ^ _ ` a b c d L. [الأعراف:141]. قال الشعراوي:"كلمة نجّى وكلمة أنجى بينهما فرق كبير، كلمة نجّى تكون وقت نزول العذاب، وكلمة أنجى يمنع عنهم العذاب، الأولى لتخليص من العذاب، والثانية يبعد عنهم عذاب فرعون نهائيا، ففضل الله تعالى عليهم كان على مرحلتين، مرحلة أنه خلّصهم من عذاب واقع عليهم، والمرحلة الثانية أنه أبعدهم عن آل فرعون فمنع عنهم العذاب"[1].

وفي قوله تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 4 L. [البقرة: 49]. قال ابن كثير:"أي خلّصكم منهم وأنقذكم من أيديهم بصحبة موسى -عليه السلام -، وقد كانوا يسومونكم، أي: يوردونكم ويذيقونكم ويولّونكم سوء العذاب، وذلك أن فرعون -لعنه الله - كان قد رأى رؤيا هالته، رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت دور القبط ببلاد مصر، إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل"[2]. وقد تحققت رؤيا فرعون، فكان أن ولد موسى، وكفلّه فرعون، وأصبح رجلا قويا، وبدأت محنته مع فرعون قبل النبوة، حيث كانت النجاة الأولى له من القتل، وبعد النبوة نجاة وقومه من بطش فرعون.

وقال تعالى:M l m n o p q r s t u w x y z { | L.[الدخان:30-31]. هذا بيان بأن الله خلص بني إسرائيل من العذاب المشتمل على الإهانة، بإهلاك عدوهم، ومما كانوا فيه من الاستعباد، حينما كانوا مؤمنين غير مفسدين في الأرض، ونجاهم الله من فرعون الطاغية، المسرف في ارتكاب المعاصي، المجاوزة كل الحدود"[3]. وقد كانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، وقد سُلِط عليهم فرعون يستعملهم في أخس أعمالهم، ويكدّهم ليلا ونهارا في

---

1 - الشعراوي، تفسير الشعرواي، ج1، ص325.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1 ص258.

3 - الزحيلي، التفسير الوسيط، ج 3، ص2384.

أشغاله وأشغال رعيته، ويقتّل مع هذا أبنائهم، ويستحي نسائهم، إهانة لهم واحتقــارا، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوّف هو وأهل مملكته منه، ويكــون سببا في هلاكه وذهاب دولته على يديه"[1].

وهكذا تكشف لنا الآيات القرآنية، عن عظمة تأييد الله تعالى وتثبيته لهذا النبــي الكريم الذي عاش حياتين؛ الحياة الأولى: في مصر، حيث تربى وترعرع في قصر فرعون، والحياة الثانية: والتي هاجر فيها خائفا إلى مدين، وعاش فيهــا مــدة مــن الزمن، ومن ثم رجع إلى مصر على قدر من الله سبحانه جلا في علاه، ليخُرج بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، وينهي حالة الإذلال والعبودية التــي يلاقونهــا مــن الطاغية فرعون، الذي أذله الله بإغراقه في اليمّ هو وجنوده.

ففي كل هذه الأحداث والفتن التي عاشها موسى عليه الصلاة والسلام وواكبتــه طيلة حياته، يُلمح لنا جانب الخير في حياة هذا النبي الكريم، الذي وظف كــل مــا أعطاه الله له من نعم لخدمة الآخرين ونصرة المستضعفين.

4.3 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه عيسى عليه الصلاة والسلام.

عيسى عليه السلام، هو رابع أولي العزم من الرسل الكرام، بعثه الله تعالى لبنــي إسرائيل هاديا ومُرشدا ومُبلغا عن ربه، وأنزل معه الإنجيل قال تعــالى:M I J K L L.[آل عمران:49]. وقــال تعــالى:M Y Z [\ ] ^ _ ` a L. [مريم:30].

وكما أنه ولد آدم عليه السلام، من غير أب وأم بقدرة الخالق عز وجل، كــذلك ولد عيسى عليه السلام، من غير أب، أما أمه فقد كانت السيدة مريم ابنــة عمــران، والتي نذرتها أمها لخدمة بيت الله عندما حملة بها ضانة أن الله ســيرزقها مولــودا ذكرا وليس أنثى، ولكن هذا لم يمنع من الوفاء بالنذر.

وقد ذكر الله عز وجل، اسم عيسى عليه السلام، ونسبه في كتابه العزيــز، ولــم يزد نسبه على كونه ابن مريم، فــي قولــه تعــالى:M إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص220،221.

يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ L .[آل عمران:45]. قال ابن كثير:"اسمه المسيح عيسى ابن مريم، أي: يكون هكذا مشهورا بهذا في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك، وسمّي المسيح: قال بعض السلف: لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى، وقوله تعالى:{عيسى ابن مريم}، نسبة إلى أمه حيث لا أب له"[1]. وهذا هو نسبه الحقيقي لا زيادة عليه، وهذه الآراء الثلاثة ما عليه أكثر المفسرون، "ونسبه إلى أمه لينفي ما قاله عنه الملحدون من النصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالى"[2].

ومما لا ريب فيه أنّ مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه عيسى عليه السلام، قد بدأت قبل حمل أمه مريم عليها السلام به، إذ كان في حمله وولادته شدة كبيرة ومحنة عظيمة لحقت بهما عليهما الصلاة والسلام.

ولبيان ذلك قال تعالى:M C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ هَيِّنٞ ¢ £ ¤ ¥ ¦ ¨ © مَّقۡضِيّٗا « L. [مريم:16-21].

فبينما مريم عليها السلام، مُنفردة عن النّاس بعيدةَ عنهم، مُختليةَ لعبادة الله[3]، إذ أرسل الله عز وجل لها جبريل على صورة بشر تامّ الخلقة، فدنا منها، فتعوذت منه حين رأته {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا}، ذلك أن التقي ينتهي إذا ذُكّر[4]. فطمأنها، وأمّنها على نفسها، ونفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة إلى

---

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص43.

2 - ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص283.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص9.

4 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص164. والسمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص371.

فرجها، فحملت من فورها، كما تحمل المرأة عند جماع زوجها، فولجت فيهـا تلـك النفخة الزكية، من ذلك الملك الزكي، فانشأ الله منها تلك الروح الزكية[1].

"فنشأت مريم بين مظاهر الطهر والنقاء والصفاء، وترعرعت ونمـت، تكلؤهـا عناية الله ورعايته، فلما بلغت مبلغ النّساء، أراد الله سبحانه أن يجعل لها من الكرامة ما لم يتيسر لغيرها من نّساء العالمين، فهيأ لها الحمل دون أن تتوفر أسبابه"[2].

ولم يكن هذا الأمر كافيا لطمأنتها، وإذهاب الفزع عنها، مما جعلها تتساءل عـن كيفية الإتيان بهذا الولد، دون وجود زوج لها، حتى أخبرها أن هذا الأمر هيّن، ولأن الله عز وجل إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، فاستسلمت لهذا الأمر الإلهي[3]، حتى أخبر الله عز وجل عن ذلك بقولـه: M m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ هَيِّنٌ ¢ £ ¤ ¥ ¦ ¨ © « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ L مَّقْضِيًّا. [مريم:20-22].

"ولمّا حملت مريم بعيسى عليهما السلام، خافت من الفـضيحة، فتباعـدت عـن النّاس{مكانا قصيا}فلما قرب ولادتها، ألجأها المخاض إلى جذع النّخلة، فلمّـا ألمّهـا وجع الولادة، ووجع الإنفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها مـن قالـه النّـاس، تمنّت أنها ماتت قبل هذا الحادث، وكانت نسيا منسيا فلا تـذكر"[4]. قـال تعـالى: M ´ µ ¶ ¸ ¹ قَالَتْ » ¼ ½ ¾ وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ L.

[مريم:23]. "فقد نظرت إلى الطفل في حسرة واكتئاب، وجعلت تتمنى لـو ضـمّها القبر، وفارقت هذا العالم قبل أن تصير أمّا من غير أن تتزوج"[5].

ولكن سرعان ما تلاشى عنها الخوف، إذ رأت آية عظيمة حينما ناداها ابنها التي ولدته قبل لحظات، ينهاها عن الخوف والحزن، ويعلمها أن الله عز وجل قد جعـل

---

1 - أنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص173، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص130.

2 - النّجار، محمد الطيب، تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة، دار الاعتصام، ص276.

3 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص165.

4 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص491.

5 - المولى، قصص القرآن، ص216.

عندها جدولا من الماء، أي: نهر صغير، ويأمرها بأن تهز جذع النّخلة كي يتساقط عليها رطبا جنيّا، فكلي من هذا الرطب، وأشربي من هذا الماء، وقرّي عينا بولدك[1].

"فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من الماء الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعًا ولا عطشًا (وَقَرِّي عَيْنًا) أي: وطيبي نفسا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني"[2].

"ففي هذا آية لها وأمارة أن هذا من الأمور الخارقة للعادة التي لله فيها مراد عظيم لا سيما والمنادي عيسى فإنه يبين به عذر مريم ولا تبقى بها استغرابه، فلذلك كان النداء أن لا يقع حزن"[3]. وهذا ما دل عليه قوله تعالى:Mفَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ L.[مريم:24].

"فقد كانت تلك مُعجزة - بلا شك- أقوى دليل على براءتها، واسطع برهان على طهارتها، وقد كانت آية بينة تردًّ بها قذف القاذفين، وعيب العائبين، ولكنّها إنما أرادت أن تدفع بها التهمة، وتقيم بها الحجة على من يُحاجونها"[4].

وكذلك يطلب منها عدم الحديث مع قومها،"فإن رأيت من بني آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) يقول: فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتا ألا أُكَلِّم أحدًا من بني آدم اليوم"[5]. وقد جاء التعبير عن ذلك بقوله سبحانه:Mفَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L. [مريم:24ـــ26].

قال السعدي:"فهذه طمأنينة لها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المآكل والمشرب، ومن جهة قول النّاس، وقد كان السكوت عندهم من العبادات المشروعة،

---

1 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص177.
2 - المرجع نفسه، ج18، ص181.
3 - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج4، ص11.
4 - المولى، القصص القرآني، ص216،217.
5 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص182.

فلم تؤمر بمخاطبتهم في نفي ذلك عن نفسها، لأن النّاس لا يصدقونها، ولأنّ تبرئتهـا بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على تبرئتها"[1].

"فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها، وسلّمت لأمر الله، وحملته حتى أتـت به قومها، فلما رأوا مريم، ورأوا معها الولد الذي ولدته، قالوا لها: يا مريم لقد جئت بأمر عجيب، وأحدثت حدثا عظيما"[2]. وهذا ما دل عليه قوله تعـالى:M 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A B CD E F G H I J K L M N P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c de f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ L.[مريم:27-33]. "يا أخت هارون، يعني أن أخا لمريم سُمي باسم هارون النبي عليه السلام، ما كان أبوك امرأ سـوء، يعني زانيا، وما كانت أمك بغيا، يعني فاجرة"[3]، قال الشعراوي:"قولهم{مَا كَانَ أَبُوكِ امرأ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّا}، اتهام صريح لمريم، وتأكيد على أنها وقعـت فـي محظور وكأنهم مُصرون على رميها بالفاحشة"[4].

"{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ}،أي:إلى عيسى وهو يرضع بأن كلموه، فتعجبوا من ذلك،{قَـالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}كيف نكلم صبيا في المهد"[5].

فلم يلبث عيسى عليه السلام، إلا أن نطق مُبرئا أمه، ومبينا لهم حقيقته، جـاعلا لها من ذلك الحال فرجا ومخرجا[6]. "فقد أنطق الله لسان ذلـك الـصغير، وأطلـق الصوت من تلك اللهاة التي لم يكتمل تكوينها بعد، وحرّك تلك الشفاه، التي لم تهتـدِ إلى موضع الإسداء! فالتفت الغلام موجّها إليهم الخطاب في وضوح وبيان"[7].

---

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان،ص492.
2 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص184،185.
3 - السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص373.
4 - الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج15، ص9074.
5 - الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص182.
6 - انظر: الزمخشري، الكشاف، ج3،ص15. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص415.
7 - المولى، القصص القرآني، ص217.

"فأخبرهم بأنه عبد الله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه، فهذا من كماله لنفسه، ثم ذكر تكميله لغيره فقال: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} أي: في أي: مكان، وأي: زمان، فالبركة جعلها الله فيَّ من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه"(1). قال تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ L. [مريم:30-33].

فمولد نبي الله عيسى عليه السلام، كان في قصته، محنته وشدة وبلاء عاشتها السيدة مريم عليها السلام، أيدها الله تعالى بنصره وعونه وحفظها برحمته، وهذه الرحمة التي نالها ولدها عيسى عليه السلام، فقد أظله الله بظلال رحمته وتأييده وحفظة، مُنذ أن كان طفلا صغيرا، قال تعالى: M b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ L. [مريم:31-33].

وقد جاء هذا النبي مُصدقا لما بين يديه من التوراة، داعيا بني إسرائيل إلى توحيد الله(2). مُزيلا عنهم أستار الظلمة والجهل، حتى يعيشوا حياة النور والخير والهداية. قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < L. [المائدة: 46]. وقوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A L. [الصف:6].

فشق نبي الله عيسى عليه السلام طريقه، وكُلِف بالرسالة، وأخذ يدعو قومه إلى التوحيد، قال تعالى: M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z L. [المائدة:72]. وآخذ قومه يُعادونه أشد العداء، وقد أعطاه

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ص492.

2 - السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص394.

الله تعالى المعجزات، كغيره من الأنبياء، قــال تعــالى: NM L K J I M

^] \ [Z Y X W V U T R Q P O

o n m l k j h g f e d c b ` _

L z y x w v u t s r p.[آل عمران:49]. فهذه معجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأني لطبيب على إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالا من الأعمى، والأبرص، والمجذوم، ومن به مرض مزمن، وكيف يتواصــل أحــد مــن الخلق إلى أن يُقيم الميت من قبره، فكل هذه المعجزات تُقيم الحجة على الخــصوم، وتُلزمهم بإتباع نبي الله عيسى عليه السلام"[1].

لكنهم كانوا أكثرا صدا وإعراضا وكفرا، بل وربما كانت المعجزات ســببا فــي إيذائه، والتفكير في قتله،"فطالبوه بما يؤيد رسالته، ويثبت دعوته، ويدلهم على نبوته، فأيده الله بالمعجزة الباهرة، وآزره بالآية البينة، فصار يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، ويُبرى الأكمة، والأبرص، ويحــي المــوتى بــإذن الله"[2]. فقد ذُكر"أنه عليه السلام جلس يوما مع غلمان من الكتّاب، فأخذا طينــا، ثــم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائرا؟ قالوا: وتستطيع ذلك! قال: نعم! بإذن ربي. ثم هيّأه، حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه، ثم قال(كن طائرا بــإذن الله)، فخــرج يطير بين كفيه، فخرج الغلمان بذلك من أمره، فذكروه لمعلّمهم، وأفشوه في النّــاس، فهمّت به بنو إسرائيل، فلما خافت أمه عليه، حملته على حمار لها، ثم خرجــت بــه هاربة"[3].

ولما أخرجوه وأمه كان لابد له من أن يتخذ له أعوانا لينصروه، قال تعالى: M ½

¾ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

(٥٢) ! " # $ % & ' ( ) * L.[آل عمران: 52-53]. فأيــده

1 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص99.

2 - المولى، القصص القرآني، ص222.

3 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج6، ص425،426.

الله ونصره بصحبه الكرام "الحواريون" وكان هذا مظهر تقوية ومدد وتأييد وعـــون منه سبحانه لهذا النبي الكريم.

والحواريّون كما قال القاسمي:"هم طائفة من بني إسرائيل انتدبت للإيمان بالمسيح عليه السلام فآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وهم - جمع حواريّ - وهو الناصر أو المبالغ في النّصرة "[1].

وقد نصر الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام، عندما نجّاه من القتل، فقـــد أرادوا بنو إسرائيل قتله، وكانت هذه عادة عندهم تقتيل أنبياء الله لهم بغير حق، فنجّاه منهم تكرما وتنعما منه سبحانه.

قـــال تعـــالى: M ! " # $ % & ' ( ) * +
, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < =
> ? @ A B C D E F G H I J K L M N O
Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h
i k l m n o L.[النساء:155-158].

"وهذا نفي قاطع بقتل اليهود للمسيح وصلبه، وإخبار بأن الذي قتل هو شخص آخر شُبه لهم أُلقي عليه شبه المسيح فقتله اليهود، وإخبار بأن أتباع المسيح مختلفون فـــي أمره، فمنهم من يقول ابن الله، ومنهم من يقول أنه صُلب فعلا، ومنهم من يقول بـــل رفعه إلى السماء"[2].

قال ابن عاشور:"والذي يجب اعتماده بنص القرآن أن المسيح لـــم يُقتـــل، ولـــم يُصلب، وأن الله رفعه إليه، ونجّاه من طالبيه"[3].

قال تعـــالى: M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >
? @ A B C D E F G I J K L M N
O P Q R L.[آل عمران:55]. قال سيّد قطب:"فأما كيف كانـــت وفاتـــه،

---

1 - القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص322.

2 - النّجار، تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنّة، ص292.

3 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص22.

وكيف كان رفعه، فهي أمور غيبية، تدخل في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، ولا طائل وراء البحث فيها، لا في عقيدة ولا في شريعة، والذين يجرون وراءها، ويجعلونها مادة للجدل، ينتهي بهم الحال إلى ألمراء، وإلى التخليط، وإلى التعقيد، دون ما جزم بحقيقة، ودون ما راحة بال في أمر موكول إلى علم الله تعالى"[1].

ومما يدل على أن ما دبره اليهود من القتل والصلب وقع على شبيه له، قوله تعالى:M @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h i k l m n o L. [النساء:157-158]. وسيتحقق وعد الله وينزل عيسى في آخر الزمان، ليرفع الظلم، ويقيم العدل، ويقتل الدجال، قال صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"[2].

"وبذلك فهم لم يستطيعوا أن يمسّوه بأذىً، أو ينالوه بضرر، فقد وعد الله بحفظه، وأيده بنصره، قال تعالىM + , - . / 0 1 2 L.[آل عمران:54]."[3]. وعليه فقد تحقق تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه عيسى عليه السلام، وتم تخليصه من أيدي أعدائه المتربصين به.

---

1 - قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص403.

2 - البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المظالم والغصب، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، حديث رقم(2476)،ج3، ص136.

3 - المولى، القصص القرآني، ص222.

الفصل الرابع

تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

1.4 تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه في مكة.

إن الحديث عن تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، ليحلو ويطيب بسيرته العطرة، فلا بد لنا من تطيّب هذا المبحث المتواضع ببهاء النصر في حياته، حتى يكون لنا ضياءا وأمل مشرق في ظلام الهزيمة الدامس .

فنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، أحب الأنبياء إلى الله عز وجل وأمام الدعاة كلهم، وهذه الدعوة تحتاج إلى السير في درب طويل من التضحيات والجهاد، سارها رسول الهدى صلوات ربي وسلامه عليه، ولقي في سبيلها الأذى والابتلاء والشدة والضراء، فقاومته قريش مقاومة عنيفة محاولة القضاء على كل ذرة إيمان يدعو إليها.

ولما فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم النصير في مكة، وضيّقت قريش عليه، فسدّت السبل أمامه حتى لا يلتفت الناس لدعوته، فتقلبت نفسه في واحات الحزن، فجاءها ضياء نصر ومؤازرة ومعونة من مولاه الحق، فقد أُسري به من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماوات العلى، وفي هذا قال سبحانه وتعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L.[الإسراء:1].

"فإنّ الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاما، وبذلك كانا علاجا مسح متاعب الماضي، ووضع بذور النجاح للمستقبل، إنّ رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السموات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين، وتصغير جموعهم، ومعرفة عقباهم""[1].

---

(1)الغزالي، محمد، (ت:1416هـ)، فقه السيرة، ط1، دار القلم، دمشق، 1427هـ، ص141،142.

"وقد عانى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ألوانا كثيرة من المحن التي لاقاهـا من قريش، وكان آخرها ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف، ولقد ظهر فـي دعائـه الذي ناجى به ربّه ما يتعرض له كل بشر من الـشعور بالـضعف والحاجـة إلـى النصير، وذلك هو مظهر عبودية الإنسان لله تعالى، وظهر في التجائه ذلك شيء من معنى الشكاة إليه سبحانه وتعالى، والطمع منه في عافيته ومعونته، ولعله خـشي أن يكون الذي يلاقيه إنما هو بسبب غضب من الله عليه لأمر ما، ولذلك كان من جملة دعائه قوله: «إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي» .

فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج من بعد ذلك تكريما مـن الله تعـالى لـه، وتجديدا لعزيمته وثباته، ثم جاءت دليلا على أن هذا الذي يلاقيـه عليـه الـصلاة والسلام من قومه ليس بسبب أن الله قد تخلّى عنه، أو أنه قد غضب عليه، وإنما هي سنّة الله مع محبيه ومحبوبيه، وهي سنّة الدعوة الإسلامية في كل عصر وزمن"[1].

فحادثة الإسراء والمعراج تُعتبر مظهر تأييدا وتثبيتا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لما لاقاه ولما سوف يُلاقيه في سبيل الدعوة إلى الله، فقد رجع صلى الله عليـه وسلم من الإسراء والمعراج وقد امتلاء قلبه ثقتا ويقينا بالله سبحانه جلا في عـلاه، كيف لا؟ والله تعالى يقول:M v w x y z { | L.[النجم:18]. فقـد رأى من الآيات العظام في تلك الليلة ما جعلته أكثر ثقةً ويقينا بربه عز وجل[2].

ولقد شكلت حادثة الإسراء والمعراج نقطة دفع وتحول للنبي صـلى الله عليـه وسلم، ليواصل دعوته ويصبر ويثبت، فإن الله معه رغم أسوار الأعداء التي نُصبت له، وحصون المكر الذي كادت له، ورغم هذه الحرب الشعواء التي شنّت عليه، من كل حدب وصوب بغيّة تحطيم هذه النّفس المعتزة بخالقها، فقد سخروا منـه ومـن أصحابه وأستهزؤا بهم،"وظنّوا أن وسائل السخرية والتهكّم التي جنحوا إليها سـتهدّم قوى المسلمين المعنوية، فيتوارون خجلا من دينهم، ويعودون كما كانوا إلـى ديـن أبائهم، غير أن ظنونهم سقطت جميعا، فإنّ أحدا من المسلمين لم يرتدّ عـن الحـقّ

([1])البوطي، محمد سعيد رمضان، (ت:2013م)، فقه السيرة النبوية، ط25، دار الفكر، دمـشق، 1426هـ، ص112،113.

([2])الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1040.

الذي شرّفه الله به، بل كان المسلمون يتزايدون، ولم تفلح طرق الاستهزاء في الصدّ عن سبيل الله، أو تشويه معالمها، إنها زادت شعور المسلمين بما تزخر به الوثنية من معرّات ومخاز، تستحق الفضيحة والاستئصال، ما تصنع سخرية الجهول بالعالم"[1]. قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L [هود:38ـ39].

فقد استهزؤا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وسخيرو منه، وكذبوه، وآذوه، فهذه عادة قديمة وسنّة جارية، سلكتها الأمم جميعها مع الرسل وأتباعهم، ولقد كشف لنا القرآن عن ذلك في كثير من آياته، قال تعالى: M 9 : ; < = > ? @ A B C D E L [يس:30] وقوله سبحانه: M ³ ´ µ ¶ ¹ عَلَى » ¼ ½ ¾ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ L [الأنعام:34]. وقوله تعالى: M w x y z { | } ~ ﴿١١﴾ L. [الحجر:11]. قال الشنقيطي:"ما يأتيهم من رسول:"نص صريح في تكذيب الأمم لجميع الرسل؛ لما تقرر في الأصول، من أن النكرة في سياق النفي، إذا أتت قبلها من، فهي نص صريح عموم النفي"[2].

ومما نزل أيضا في تبيان تلك السنّة التي سلكتها الأمم مع رسلها، قوله تعالى: M a b c d e f g h i j k l m n L.[الأنبياء:41]. وقوله تعالى: M ¥ ¦ § ¨ © وَٱتَّخَذُوٓاْ « ¬ ® ¯ L. [الكهف:106]. وقوله: M ~ رَأَوۡكَ إِن ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ﴿٤١﴾ L. [الفرقان:41]. ففي هذه الآية بيان على أن رؤساء مكة دأبوا على السخرية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاستهزاء به حين رؤيته، واحتقاره لدى المرور به،

([1]) الغزالي، فقه السيرة، ص115.

([2]) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج6، ص295.

مُستبعدين إرساله للنـــاس رســولا[1]. وقولـــه تعــالى:z y x w v u t M { | L [الزخرف: 7]. قال صاحب الظلال: "إنها تسلية لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- والتسرية عنه، مما يلقاه من عناد المعرضين، وعنــت المكــذبين، وتطمين قلبه- صلى الله عليه وسلم- إلى ســنة الله ســبحانه فــي أخــذ المكــذبين المستهزئين بالرسل، وتأسيته كذلك بأن هذا الإعراض والتكذيب ليس بدعاً في تاريخ الدعوة إلى الحق، فقد لقي مثله الرسل قبله وقد لقي المستهزئون جــزاءهم الحــق، وحاق بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب، ومن غلبة الحق على الباطل في نهاية المطاف"[2].

فكفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، أمر المستهزئين، هو مظهــر مــن مظاهر تأييده الله تعالى وتثبيته لـــه، قــال تعــالى:5 M 6 7 8 L. [الحِجر:95]. قال الرازي:"دل القرآن علـــى أن الله تعـــالى أفنـــاهم، وآبـــادهم وأزال كيدهم"[3].

وبسبب الحروب النفسية التي شنّتها قريش على النبي صلى الله عليه وســلم، فلم يجد حلا في نهاية المطاف إلّا الهجرة من مكة موطن الداعيــة والــدعوة، إلــى المدينة المنورة، فقد صعّدت قريش من مقاومتها، وطوّرت من أســاليبها إلــى حــد التآمر على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وتوزيع دمه على القبائل، كما خططــوا لذالك في دار ندوتهم، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم، بهــذا المــؤتمر العلنــي وعرف حقيقة ما أرادوا به ، وقد أشار السياق القرآني إلى هذا المؤتمر وما تم فيــه من اقتراحات للتخلص من محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الاقتراحات، أولها: الزجّ بمحمد صلى الله عليه وسلم، في السجن موثوقا، وثانيها: إخراجه مــن مكــة، وأما ثالثها: فكان أخطرها إذ تمثل في قتله للاستراحة منه ومن دعوته .

([1])الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص273. والسمرقندي، بحــر العلــوم، ج2، ص539.

([2])قطب، في ظلال القرآن، ج2، 1045.

([3])الرازي، مفاتيح الغيب، ج19، ص165.

ولمّا كان إبليس عليه لعنة الله ضيف هذا الاجتماع، أيّد الرأي الأخير، وسانده، وأستحسنه، مُعارضا سابقيه، فما كان من رؤساء مكة إلا الموافقة، والإجماع عليه، والاطمئنان إليه(1).

وقد وصف القرآن الكريم مؤامراتهم بقوله: M ` a b c d e f g h i j k l m o p q r L.[الأنفال:30]. قال سيّد قطب:"لقد كانوا يمكرون ليوثقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويحبسوه حتى يموت أو ليقتلوه ويتخلّصوا منه أو ليخرجوه من مكة منفيا مطرودا، ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعا، ليتفرق دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر.

والصورة التي يرسمها قوله تعالى: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ» صورة عميقة التأثير، ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش، وهم يتآمرون ويتذاكرون ويدبرون ويمكرون، والله من ورائهم محيط، يمكر بهم ويبطل كيدهم وهم لا يشعرون"(2).

ومما لا ريب فيه أن في هذه الآية "تذكيرا بنعمة الله عز وجل على رسوله، حيث نجّاه من أهل مكة واستيلائهم عليه، وذلك بتخليصه من مكرهم وكيدهم"(3).

ومن المعلوم أن الله تعالى قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم،"بمنعه من الناس حتى يبلّغ رسالة ربه"(4). قال تعالى: M 9 : ; < = > ? L. [الإسراء:60]. وقد جاء التأكيد أيضا على هذا الأمر في قوله تعالى: M Z [

---

(1) الزمخشري، الكشاف،ج2، ص215. والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج13، ص294، و295. والسمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص18،17.

(2) قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1501.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص215.

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج14، ص640. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، (ت211هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، 1410هـ، ج1، ص380.

\ ] L . [المائدة:67]. حيث حملت معها وعد الله تعالى وحفظه، وعصمته لرسوله صلى الله عليه وسلم من نيل الأعداء له بسوء من قتل أو أسر(1).

وعليه فقد عزم النبي صلى الله عليه وسلم، على ترك مكة موطنه ومسقط رأسه متُجها إلى المدينة المنورة، بأمر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، بالهجرة من مكة حيث الكفر والعناد، إلى المدينة حيث الإيواء والنصرة، فقد جاءت الإشارة إلى هذا الأمر في قوله تعالى:M D E F G H I J K L L.[العنكبوت:56]. فكانت هذه الآية تحمل في طياتها أمرا بالهجرة ممن منعوا من العمل بطاعته الله، إلى حيث يتمكنون من عبادة الله(2).

ومن الأحاديث الدالة على الأمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ"(3).

"ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي من الله"(4). وليس هناك من شك أن هذه الرؤيا كانت تحمل معها أمرا بالخروج من مكة إلى المدينة، ويشهد على ذلك قوله سبحانه:M Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h L. [الإسراء: 80]. وفي هذه الآية إشعار بأمر من الله عز وجل لرسوله صلى

---

(1) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج2، ص209. والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص461.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، ج25، ص69. والزمخشري، الكشاف، ج3، ص460، 461. والسمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص424. والزجاج، معاني القرآن وإعرابه،ج4، ص172.

(3) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (3622)، ج4، ص203. ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الرؤيا، باب رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (2272)، ج4، ص1779.

(4) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2، ص202.

الله عليه وسلم، بالهجرة من مكة إلى المدينة، وذلك بعد ائتمار أهل الكفر في مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، أو يطردوه، أو يوثقوه[1].

والمراد من الإدخال والإخراج هُنا، إدخاله المدينة، وإخراجه من مكة، وذلك بعد ائتمار أهل الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم لإثباته، أو قتله، أو إخراجه منها[2].

وحقا فإن حادثة الهجرة من مكة إلى المدينة تُعدُّ نصرا وتأييد وتثبيتا كبيرا لما لحق برسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة."فلا نعرف بشرا أحقّ بنصر الله، وأجدر بتأييده، مثل هذا الرسول صلى الله عليه وسلم؛ الذي لاقى في جنب الله ما لاقى، ومع ذلك فإنّ استحقاق التأييد الأعلى لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه، وتوفير وسائله، ومن ثمّ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم خطّة هجرته، وأعدّ لكلّ فرض عدته، ولم يدع في حسبانه مكانا للحظوظ العمياء .

وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة؛ أن يقوم بها كأنّها كلّ شيء في النجاح، ثم يتوكّل- بعد ذلك- على الله؛ لأنّ كلّ شيء لا قيام له إلا بالله، فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه، فأخفق بعد ذلك، فإنّ الله لا يلومه على هزيمة بُلِيَ بها، وقلّما يحدث بعد ذلك، إلا عن قدر قاهر يُعذر المرء فيه، وكثيرا ما يرتّب الإنسان مقدّمات النصر ترتيبا حسنا، ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار"[3].

قال تعـــالى: M u v w x y z { | } ~ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ
¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © إِنَّ « ¬ ® ¯ ° ± ²
³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ٱلَّذِينَ » ¼ ½ ¾ ٱللَّهِ هِيَ
ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ L .[التوبة:40].

"فيا للثقة العظمى تنسكب في حنايا نفس الرسول الكريم، ويا للتأييد الرباني المطلق الذي ما بعده من تأييد! إن الله معنا، فأي قوة تثبت أمام الرسول الكريم وقوة الله معه؟ وأي تدبير يقف في وجهه وعناية الله تحوطه وتصونه وترعاه؟ ويا لسكينة

([1])الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج17، ص533.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص111.

([3])الغزالي، فقه السيرة، ص171.

تغشى نفس الرسول المطمئنة بنصر الله، فإذا هي تمضي في الطريق الوعر، وكلها ثقة بهذا النصر، مهما اشتدت وعورة الطريق .

لقد كان الله قادرا على نصر رسوله دون أن تدمي أقدامه بأشواك الطريق، ولكنها مشيئة الله اقتضت أن هذا هو طريق الدعوات، وعلى الدعاة في كل زمان ومكان أن يسلكوه ونفوسهم واثقة بنصر الله وتأييده"[1].

وعليه فقد كانت الهجرة النبوية تأييدا وتثبيتا للنبي -صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، ونصرا للإسلام والمسلمين، مُثلت نقطة تحول في تاريخ الأمة الإسلامية، فأصبحت امة لها كيان مستقل مجاهد في سبيل ربها تسعى لتبليغ دين الله إلى الناس أجمعين.

2.4 نماذج لتأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين في العهد المدني:

وهنا سأعرض بعض غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - المذكورة في القرآن، إذ إنني لا أهدف إلى سرد تاريخي لتلك الأحداث والوقائع بكاملها، وإنما أتناولها من حيث تناول آيات القرآن الكريم لها، مُبينا أشكال تأييد الله تعالى وتثبيته لرسوله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين .

أورد السياق القرآني آيات عديدة تتحدث عن نصر النبي -صلى الله عليه وسلم - وتأييده وتثبيته والمؤمنين في الغزوات التي كان يخوضها مع المشركين، وكتب السيرة والتاريخ تحدثت عن غزواته عليه الصلاة والسلام بإسهاب، وهُنا سأحاول الوقوف على أبرز هذه المواطن التي ظهرت خلال قتاله المشركين سعيا لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وقد أظهرت هذه الغزوات شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبقريته في سياسة الجيوش واستجلاب النصر؛ ذلك لأن تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه وللمؤمنين، لا بُد له من سعي لإحقاقه، فالخوارق وحدها لم تكن كافية

([1])الهاشمي، محمد علي، شخصية الرسول ودعوته في القرآن، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م. ص72.

لاستجلاب النصر، لذلك يجب أن نولي هذه الأسباب اهتمامـــا ويجـــب أن نعطـــي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - قدره ونعترف بدوره في تحقيق النصر للأمـــة المسلمة عبر تاريخها الأول، فقد "أيقنت قريش أن هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم - كانت نصرا له ولرسالته، وظهور لكلمة الإيمان، وخفضا لراية الشرك والكفـــر، ولم يكن سهلا على النفوس الجاهلية أن تتقبل نمو قوة الإسلام إلى جـــوارهم وهـــم صامتون، ولم يكن المسلمون الأعزاء ليتقبلوا أيضا وقد أصبح في أيـــديهم قـــوة أن يقعدوا عن الانتصار لدين الله من عدو الله وعدوهم، فقد وقعت مواجهات عديدة في الصف المسلم ومعسكر الشرك ابتدأت ببعض السرايا وبدر الكبرى وانتهت بـــالفتح الأكبر ثم حنين، فدخل الناس في جزيرة العرب في دين الله أفواجا"[1].

وهذه وقفات مع مواطن التأييد والتثبيت في بعض غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم- التي قاتل فيها أهل الشرك والمنافقين واليهود وسجّلها السياق القرآنـــي وذلك حتى نلمس النهج ونسير على الدرب .

1.2.4 غزوة بدر:

قال تعالى:M v w x y z { | } ~ غَيۡرَ ذَاتِ ¢
£ ¤ ¥ ¦ § ¨ © بِكَلِمَٰتِهِۦ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´
µ ¶ ¸ ! " # $ % & ' ( ) * +
, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @
A B C D E F G H I J K L M N O P
Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ `
a b c d e f g h i j k l m n o
p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلۡعِقَابِ ١٣ L.
[الأنفال:7ـــ13].

([1])نوفل، أحمد إسماعيل، الحرب النفسية من منظـــور إســـلامي، ط2، دار الفرقـــان، عمـــان، 1987م، ص44.

نزلت هذه الآيات الكريمة في غزوة بدر الكبرى التي استحوذت على مساحة واسعة من كتب السيرة، ولا غرابة في ذلك لأنها حمت ظلال الإسلام من الهزيمة ثم من الفناء، إذ لولا نصر الله تعالى وتأييده وتثبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين في هذه الغزوة لما نعموا بهذا الدين السماوي العظيم، فقد أظل الله المسلمين بهذا النصر الكريم، وقد أوردت الآيات السابقة مظاهر وأشكال تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه وللمؤمنين، فكانت فضلا من الخالق سبحانه على رسوله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين .

قال المراغي:"إن رسول الله لما سمع بأبي سفيان مُقبلا بعيره من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلّكموها، فخف بعضهم وثقل بعضهم ظنا منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز من يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الرّكبان تخوّفا على أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى أهل مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذخران حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن مسير قريش إليهم ليمنعوا عيرهم فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بذلك واستشارهم فقام أبو بكر - رضي الله عنه - فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله: امض لما أمرك الله به فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: M + , - . / 0 1 L .[المائدة: 24]. ولكن اذهب أنت وربك إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد (مدينة باليمن) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه"[1].

([1])المراغي، تفسير المراعي، ج9، ص168. وابن هشام، عبد الملك بن هشام، (ت:213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبيراي، وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1375هـ/1955م، ج1، ص207، 208. والطبري، محمد بن

وكان القتال بين المؤمنين والمشركين، ونتج عنه نصرة الله تعالى وتأييد وتثبيته لعباده، وهزيمة الكافرين، فقد هُزمت قريش وكُسرت شوكتها، وضاعت هيبتها، وقد حملت هذه الغزوة في طياتها الكثير من أشكال تأييد الله تعالى وتثبيته لعباده المؤمنين، فقد كان هناك قيادة قوية موحدة،"كان الرسول صلّى الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين في معركة بدر، وكان المسلمون يعملون يدا واحدة تحت قيادته، يوجّههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم، وهذا هو واجب القائد الكفء.

وكان ضبط المسلمين في تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعا للضبط الحقيقي المتين، وإذا كان الضبط أساس الجندية، وإذا كان الجيش المتميّز هو الذي يتحلى بضبط متميّز، فقد كان جيش المسلمين جيشا متميّزا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان.

وقد كان ضبط المسلمون في تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعا للضبط الحقيقي المتين، وذلك بحرص شديد وأمانة نادرة وإخلاص عجيب وبشوق وطيبة خاطر عظيمين، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك، لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالي، صبر في الشدائد، وشجاعة نادرة في المواقف الحرجة، ومساواة لنفسه بأصحابه، واستشارتهم في كل عمل حاسم وأخذه بالمشورة وتطبيقها"[1].

وقد أشار السياق القرآني إلى مظاهر عديدة من مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه ولعباده المؤمنين، وكان وجودها يُشكل عاملا أساسيا في نزول النصر على المؤمنين .

فكان من ذلك النعاس فقد تجلى تغشيته للمؤمنين ليلة المعركة، تأمينا لقلوبهم، وتشجيعا لنفوسهم؛ وذلك لأن الخائف الفزع لا يأخذه النوم؛ لشدة ما يجد من الخوف

جرير، (310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ج2، ص 427،428.

(1)خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، (ت:1419هـ)، ط6، دار الفكر، بيروت، 1422هـ/1974م، ص114.

على نفسه[1]. قال تعالى:M B C D E F L [الأنفال:11]."وقد يسأل سائل وما قيمة هذا الأمر حتى يسجله؟ والحق أنه ذو قيمة جسمية ونفسية، فكلنا يعلم كم للراحة من دور في تجديد النشاط، وكم للنوم من أهمية في تبديد المتاعب، أضف إلى ذلك السكينة النفسية التي يجليها النوم، وما رأى فيها النبي من رؤيا صادقة بشّر بها المؤمنين حيث أفاق، فلقد كان النوم منّة من الله على المؤمنين، بينما جعل الترقب في صف المشركين، وحرّمهم النوم فأصبحوا في جهد ونصب"[2].

قال سيّد قطب:"أما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة، لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره... لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته... فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم والطمأنينة تفيض على قلوبهم"[3].

ومن مظاهر تأييد الله وتثبيته للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين في هذه الغزوة المطر،"فقد كان المطر جندي من جنود الله بالنسبة للمسلمين، كانت نسبته معتدلة، حيث تماسكت الأرض تحت أقدام المسلمين فكانت حركتهم سريعة، وكانت الأمطار في جانب المشركين كثيرة، بحيث أوحلت الأرض تحت أقدامهم، فكانت حركتهم بطيئة، وكان المطر جندي من الجنود التي تبعث الأمل في النفوس وتطرد وساوس الشيطان ورجزه، وتُطهّر المؤمنين ظاهرا وباطنا"[4]. فقد قويت قلوبهم،

([1])الماوردي، علي بن محمد، (ت:450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص299. والرازي، مفاتيح الغيب، ج9، 394. الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2، ص50.

([2])نوفل، الحرب النفسية، ص95،94.

([3])قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1484.

([4])أبو فارس، الهجرة النبوية، ص51.

وثبتت بنزول ذلك الماء عليهم، وزال عنهم خوفهم وقلقهم، فلــم يعــودوا مــضطربين فزعين، مما يبعث على تجدد النشاط فيهم، وحملهم على الاستعداد للقائي عدوهم[1].

ومن مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه وللمؤمنين، تقليل الكفار فــي رؤيــا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد جاء التعبير عن هذا الأمر في قولــه ســبحانه:

M l m n o p q r s t u v w x y z

{ | | ~ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ¢ £ L .[الأنفال:43]. "أن هذه الآية نزلت في رؤيا رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى فيها عدد الكفــار قلــيلا فــأخبر بــذلك أصحابه، فقالوا رؤيا النبي حق، فالقوم قليل، فقويت نفوسهم وحرضوا على اللقــاء، فصار سببا في جراءتهم، وقوة قلوبهم"[2]."وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم"[3].

قال سيّد قطب:"لقد كان من تدبير الله في المعركة أن يرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكافرين في الرؤيا في منامه قليلاً لا قوة لهــم ولا وزن، فينبــئ أصحابه برؤياه، فيستبشروا بها ويتشجّعوا على خوض المعركة، ثم يخبر الله هنا لما أراهم لنبيه قليلاً، فلقد علم –سبحانه- أنه لو أراهم له كثيراً، لفت ذلك في قلوب القلة التي معه، وقد خرجت على غير استعداد ولا توقع لقتال، ولضعفوا عن لقاء عدوهم وتنازعوا فيما بينهم على ملاقاتهم، فريق يرى أن يقاتلهم وفريق يرى تجنب الالتحام بهم، وهذا النزاع في هذا الظرف هو ألبأس ما يصيب جيشاً يواجه عدو"[4].

ومن مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته للمؤمنين أيضا، تقليل الكفار فــي أعــين المؤمنين، وتقليل المؤمنين في أعين الكفار. قال تعــالى:M ¤ ¥ ¦ § ¨

© قَلِيلًا « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ﴿٤٤﴾ L

.[الأنفال:44]. لقد كانت حكمة الله تعالى من تقليل المشركين في أعين المؤمنين يوم

([1])انظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص506، 507. والرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص462.

([2])انظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز فــي تفــسير الكتــاب العزيــز، ج2، ص534. والرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص487. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج8، 22.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص224.

([4])قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1526.

بدر، تصديقا لرؤيا رسول - الله صلى الله عليه وسلم - مما زاد في تقوية قلوب المؤمنين ليجدّوا ويثبتوا ويجترئوا على عدوهم، وأما تقليل المؤمنين في أعين المشركين، فقد نتج عن ذلك عدم مبالغتهم في التأهب لقتال المؤمنين؛ وذلك لظنهم أن تلك الفئة القليلة المؤمنة لا تتطلب استعدادا كثيرا، مما جعلهم ينخذلون على أعقابهم عند التحامهم بالمؤمنين، ورؤيتهم على عددهم في الحقيقة[1].

وليس هناك من تعارض في الآية السابقة وقوله تعالى: S R Q P OM d c a ` _ ^] \ [Z Y X W U T L g f e .[آل عمران:13]. فهذه الآية تحتمل معنيين كلاهما صحيح:ــــ

الأول: أن الله عز وجل أرى المسلمين المشركين مثلي عدد المسلمين، وكانوا ثلاثة أمثالهم، وذلك من أجل أن تقوى قلوب الفئة المؤمنة، وتتشجع نفوسهم، ولا يفشلوا، مما يجعلهم يقدمون على قتال عدوهم وهم موقنون بالنصر عليهم والظفر بهم، لأنهم أُخبروا أن المائة منهم تغلب مائتين من الكفار[2]. قال تعالى:x w v u M L { z y .[الأنفال:66]. والثاني:أن المشركين رأوا المسلمين قبل بدء المعركة قليلا عددهم، كما أخبر سبحانه:M « ¬ ® L . [الأنفال:44].

مما جعل المشركين غير مبالين ولا مهتمين ولا مستعدين لقتال المسلمين، ثم إنهم عند اللقاء رأوهم مثلي عددهم، فنتج عن ذلك رعب في قلوبهم، وفزع في نفوسهم أدى إلى انهزامهم، فكانت آية للمشركين عند انكشاف القتال، وهذا إن دل يدل على عجيب قدرة الخالق عز وجل، حيث أراهم المؤمنين قليلا ليستخفوا بهم، ثم أراهم إياهم عند التلاحم مثليهم، مما أدخل الرعب والفزع في قلوبهم، حتى تحققوا من قلة

([1])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص225. وابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص537. والرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص487،488.

([2])السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص197، والرازي، مفاتيح الغيب، ج7، ص157،158. والواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج2، ص463.

عددهم بعد انتهاء المعركة؛ ليكون أثر الهزيمة في نفوسهم أبلغ، وعلى هـــذا يكـــون التقليل والتكثير في حالين مختلفين(1).

ومن مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيت لنبيه وللمؤمنين، الإمـــداد بالملائكـــة، قـــال تعـــالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A L [الأنفال: 9ـــ10]. لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة المشركين، علما أنه لا قوة لهم إلا بالله، فاستغاثوا بالله تعالى وحده، طالبين منـــه العـــون والنـــصر علـــى الأعداء، فاستجاب لهم ربهم جل شأنه، وذلك بإنزال الملائكة تُقاتل إلى جانبهم(2).

وفي هذه الاستغاثة روى ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنه قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ" فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك، فخرج وهو يقـــول:M سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ L(3). [القمر:45].

وعليه فقد خطط النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته لمكان المعركة، فدرس أحوال المشركين وعددهم وعدتهم، ثم اختار المكان الجغرافي المناسب لحالهم أثناء قتال المشركين وجعلوا الماء في حوزتهم، وما كان هذا إلا نتيجة تطبيق قاعدة عسكرية مهمة في الغزوات ولا يُستغنى عنها أبد، ألا وهي قاعدة الشورى، هذه القاعدة التي أقرها النبي صلى الله عليه وسلم، لحكم وأغراض متعددة منها :"أن يؤكد تميز أمته بالشورى، وأن يضع القواعد التي يسير عليها الحكام من بعده، ويريد أن لا يُساق

---

(1)الزمخشري، الكشاف، ج1، ص341. والـــرازي، مفـــاتيح الغيـــب، ج7، ص158. وابـــن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص263.

(2)السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص10. والزمخشري، الكـــشاف، ج2،ص200. والقاســـمي، محاسن التأويل، ج2، ص407.

(3)البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المناقب، باب قوله تعالى:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ}،حديث رقم(3953)، ج5، ص73.

الجنود إلى المعارك وغيرها سوقا، بل لهم الرأي في كل عمل مما يجعلهم يقتنعون بما يُقدمون عليه، ويبذلون كل الجهد في إنجاحه، وتأكيد معنى أخوة المسلمين"(1).

وقد أشار الحباب بن المنذر على النبي صلى الله عليه وسلم، المكـان الأفـضل حتى يُعسّكر المسلمون فيه."فقال للرسول صلى الله عليه وسلم:"أرأيت هـذا المنـزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل. امـض بالنـاس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتعسّكر فيه، ثم نغور ما ورائه من الآبار، ثم نبني عليـه حوضا فنملأه ماءا، ثم نُقاتل القوم فنشرب ولا يشربون"(2).

فقد تمتع المؤمنين بعقيدة قتالية راسخة ومعنويات عالية جعلتهم ثابتين في المعركة، فهم على دين الحق، أما المشركون فهم على الباطل، فلم يرهب المسلمين تفوق العدو عليهم في العدد والعدة .

"ولقد أثبتت كل الحروب في كل أدوار التاريخ، أن التسليح والتنظـيم الجيـدين والقوة العددية غير كافية لنيل النصر ما لم يتحلّ المقـاتلون بالمعنويـات العاليـة، فالمعنويات العالية التي كان يتحلى بها المسلمون في بدر، من أهم أسباب نـصرهم في تلك المعركة الحاسمة، فقد كانت معركة بدر صراعا حاسـما بـين عقيـدتين، فانتصرت العقيدة التي تستحق البقاء على العقيدة التي تستحق الفناء"(3).

وفي هذه الغزوة فقد أعدّ النبي صلى الله عليه وسلم العيون والجواسيس فكان ذو فطنة وشجاعة في إرسال أفراد من الجيش ليتسللوا إلى أرض العدو وتحـصينا تـه، وكان ممن أرسلهم النبي عليه الصلاة والسلام نحو معسكر قريش،"علي بن أبي طالب والزبير بن عوام وسعد بن أبي وقاص، فأصابوا غلامين لقريش يعملون على سـقاية الأعداء، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهما: فقالا: نحن سـقاة قـريش بعثونا نسقيهم الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذاَ أخبراني عـن قـريش؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدوة القصوى، فقال لهما: كم القوم؟ قالا كثير.

(1)نوفل، الحرب النفسية، ص118.

(2)ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص620. باختصار.

(3)خطاب، الرسول القائد، ص121،120.

قال: ما عدتهم؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا يوما تسعا ويوما عشرا، فقال رسول الله القوم ما بين التسعمائة إلى الألف، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشـــراف قريش؟ قالا: عتبة وشيبة أبناء ربيعة ..." [(1)].

وعلى هذا توضّح لهم الأمر وكشفوه، فخاض المسلمون الحـــرب علـــى بيّنـــة وخبرة بالقوة التي يمتلكها المشركون، وانتهت بنصر المسلمين وهزيمة أعداء الـــدين، على الرغم من أنهم لم يكونوا على لقاء عند خروجهم من المدينة المنورة مع الكافرين للقتال،"وإنما كان الدافع قصد الاستيلاء على عيّر قريش القادمة من الشام تحت إشراف أبي سفيان، غير إن الله تعالى أراد لعبادة غنيمة أكبر، ونصرا أعظم، وعملا أشـــرف وأكثر انسجاما مع الغاية التي ينبغي أن يقصدها المسلم في حياته كلها، فأبعـــد عـــنهم العير التي كانوا يطلبونها، وأبدلهم بها نفيرا لم يكونا يتوقعونه"[(2)].

وعليه" فالمرء قد تفجره أحداث عابرة - وهو ماض في طريقه- يحتـــاج فـــي مواجهتها لأن يستجمع مواهبه، وأن يستحضر تجاربه، وأن يقف أمامها حادّ الانتباه، مرهف الأعصاب، وهذه الامتحانات المباغتة أدقّ في الحكم على الناس، وأدلّ على قيمهم من الامتحانات التي يعرفون ميعادها، ويتقـــدّمون إليهـــا واثقـــين مـــستعدين، والمسلمون الذين خرجوا لأمر يسير، ما لبثوا أن ألفوا أنفسهم أمام امتحـــان شـــاقّ، تيقظت له مشاعرهم، فشرعوا يقلّبون على عجل تكاليفه ونتائجه"[(3)].

2.2.4 غزوة أحد:

حرصت قريش بعد هزيمتها في بدر على الثأر من المسلمين، وصـــممت على غزو المسلمين في المدينة المنورة، فجمعت جيشها وخرجت تلقاء المـــسلمين،

([1])ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص616،617.

([2])البوطي، فقه السيرة، ص159.

([3])الغزالي، فقه السيرة، ص230.

وهي تستشعر الخطر الحقيقي الذي يُداهمها، فما سكتت على قتل رؤسائها، حتى جمّعت الجموع، ورصّدت الأموال، طلبا لإدراك ثأرها واسترجاع كرامتها[1].

قال المراغي:"لما خُذِلَ المشركون في وقعة بدر ورجعوا إلى مكة مقهورين أخذ أبو سفيان يؤلّب المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان هو الرئيس بعد مقتل من قُتل من صناديد قريش، فاجتمعوا للحرب وكانوا نحو ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس، وقائدهم أبو سفيان بن حرب، ومعه زوجه هند بنت عتبة، وجملة من النِّساء خمس عشرة امرأة، ومعهن الدفوف يضربن بها ويبكين على قتلى بدر، ويحرضّن المشركين على حرب المسلمين، وساروا من مكة حتى نزلوا مقابل المدينة في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم المقام في المدينة وقتالهم بها، ورأى باقي الصحابة الخروج لقتالهم، فخرج في ألف من الصحابة، إلى أن صار بين المدينة وأحد"[2]. فنخذل عنه عبد الله بن أبيّ ابن سلول في ثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس، ثم رجع بمن معه من قومه من أهل النفاق وأهل الريب"[3].

"ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشّعِب من أحد، وجعل ظهره إلى الجبل، وكان عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة، فيهم مائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين"[4].

وفي هذه الغزوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة الشورى، فشاور أصحابه بين قتال المشركين في المدينة أو الخروج إليها، فرأى الصحابة الخروج للمشركين."وكان رأيه صلّى الله عليه وسلم أن يتحصّنوا بالمدينة المنورة وأن يدعوا

([1])الطبري، محمد بن جرير، (310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ج2، ص 499،500.

([2])المراغي، تفسير المراغي، ج4، ص51.

([3])ابن إسحاق، محمد بن إسحاق، (ت151هـ)، السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكّار، ط1، دار الفكر بيروت، 1398هـ/ 1978م، ص324. وابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص64.

([4])المراغي، تفسير المراغي، ج4، ص52.

قريشا خارجها، فإذا دخلتها قاتلهم فيها قتال الشوارع في منطقة يعرفها المسلمون كل المعرفة ولا تعرفها قريش، مما يساعد المسلمين على ضرب قريش وإيقاع الخسائر الفادحة بها، وكان رأي كبار الصحابة مثل هذا الرأي، ولكنّ الرجال الذين لم يشهدوا بدرا - خاصة الشباب منهم - تحمّسوا للخروج من المدينة وملاقاة قريش خارجها وأيّدهم رجال اشتركوا ببدر، كي لا يرمى المسلمون بالجبن لاضطرارهم إلى القتال داخل المدينة، فرأى الرسول صلّى الله عليه وسلم أن الأكثرية تؤيد الخروج، فقال لهم: "إني أخاف عليكم الهزيمة"، فأبوا مع ذلك إلا الخروج، فنزل على رأي الأكثرية، لأن الشورى كانت أساس نظامه الذي لا يحيد عنه"[(1)]. وأمر الرسول صلّى الله عليه وسلم صحابته أن يتهيئوا للخروج، ودخل داره وتقلّد سيفه وارتدى عدّة القتال، ثم خرج إلى الناس .

"وقد عسكر المسلمون بالشّعِب من أحُد في عدوة الوادي، جاعلين ظهرهم إلى الجبل، ورسم النبيّ صلى الله عليه وسلم الخطة لكسب المعركة، فجاءت محكمة رائعة؛ ووزّع الرماة على أماكنهم وأمّر عليهم عبد الله بن جبير وكانوا خمسين رجلا"[(2)]. وقال:"لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فلاَ تُعِينُونَا"[(3)]. وفي رواية أخرى قال لهم: "احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلا تُشْرِكُونَا"[(4)].

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على اختيار المكان الجغرافي المناسب، ثم أقام قاعدة حربية مهمة جدا وهي الشورى، ثم توزيعه للرماة وتحديد وظيفتهم الأساسية، والتشديد عليهم بالطاعة، والتزامهم الهدف في كل الظروف.

([1])خطاب، الرسول القائد، ص175. والشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، ص354.

([2])الغزالي، فقه السيرة، ص257.

([3])البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم (4043)، ج5، ص94.

([4])ابن حنبل، المسند، ج4، ص369.

"وقد زحفت صفوف المسلمين على صفوف المشركين بعد تصدّعها، فانهزموا، وأخذا المسلمون يجمعون الغنائم، فانتهز خالد بن الوليد فرصة ترك المسلمين لمواضعهم، وكان على ميمنة خيل المشركين، فهاجم مواضع الرماة التي تركوها، وتحرج موقف المسلمين وأصبح خطيرا جدا، فهاجمهم وخاصة أن صفوفهم لم تكن رصينة في مواضعها لعدم صمودهم، إذ تبعثر أفرادها لجمع الغنائم"[(1)].

"ووقع الصراخ أن محمد قد قُتل، وانكشف المسلمون، وأصاب العدو منهم وكان يوم بلاء على المسلمين"[(2)].

ويمكن حصر سبب خسارة المسلمون في أحد بعدما أنار النصر جنبات نفوسهم إلى "مُخالفة الأوامر فتنفيذ الأوامر هو الضبط العسكري الذي يعتبر روح الجندية والسبب المباشر المؤدي لكل انتصار في كل معركة، ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك، إذ كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد بن الوليد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف، مما أدى إلى الإطباق عليهم من كل الجهات"[(3)].

وقد كان للإشاعة دور في هزيمة المسلمين، إذ أنتشر بين المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات، فتأثروا بهذه الدعاية المسمومة التي بثها المشركون فادخلوا الرعب في قلوب المسلمين، حتى إن بعضهم قال:"ليت لنا من يأخذ أمانا من أبي سفيان، وقال ناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأول"[(4)].

ولذلك جاء السياق القرآني مبين لهذه الحقيقة وما يتعلق بها: M C D E F G H

I J K M N O P Q R S U V W X Y Z [\ ^

_ ` a L .[آل عمران:144].

(1) خطاب، الرسول القائد، ص180،181.باختصار.

(2) المراغي، تفسير المراغي، ج4، ص52.

(3) خطاب، الرسول القائد، ص188.

(4) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج1، ص499. والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج7، ص 258.

"ومما لا جدال فيه أن قتل القائد وخاصة في ذلك العــصر، معنــاه الهزيمــة للجيش، وبهذا كان للإشاعة الكاذبة التي انتشرت بين المسلمين بأن نبيهم قد قُتل أثر مزلزل في نفوس كثير من أفراد الجيش الإسلامي، ووقفوا حائرين لا يــدرون مــا يصنعون؛ حتى إن بعض المؤرخين يرون أن السبب الأكبر في انكسار المسلمين بعد الانتصار هو انتشار إشاعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم"(1).

وقد أثاب الله تعالى المؤمنين غما بغم جزاءا لهم كما أخبر ســبحانه: M z {
| } ~ عَلَىٰٓ أَحَدٖ ¢ £ ¤ ¥ ¦ §
¨ © تَحۡزَنُواْ « ¬ ® ¯ ° ± ¹ ³ ´ µ ¶ ¸ L

[آل عمران: 153]. قال الطبري: "فأثابكم غمًّا بغم"، يعني: فجازاكم بفــراركم عــن نبيكم، وفشلكم عن عدوكم، ومعصيتكم ربكم غما علــى غــم"(2). فــالأول: إلحــاق الهزيمة بهم، وحرمانهم الغنيمة، ومقتل كثير من الصحابة، والثــاني: وهــو ســبب للأول وهو ما حصل من ضيق وألم لرسول الله صــلى الله عليــه وســلم بــسبب عصيانهم أمره، ومخالفتهم رأيه(3).

ثم أغشاهم سبحانه بالنّعاس الذي هو مظهر تأييد وتثبيت لهم قــال تعــالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + L [آل عمران:154]. أي"ثــم سلّط عليكم بعد الغمّ الذي حلّ فيكم من الهزيمــة نعاســا تــشعرون معــه بــالأمن والسكينة"(4). "وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام"(5).

---

(1) باشميل، محمد أحمد، غزوة أحد، دار الفكر، بيروت، 1983م، ص319.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج7، ص303.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص، 427،428. وابن عطية الأندلسي، المحرر الــوجيز فــي تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص527. والزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمــنهج، ج4، ص124.

(4) دروزة، محمد عزّت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـــ، ج7، ص243.

(5) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص307.

قال سيّد قطب: "هي ظاهرة عجيبة تشي برحمـــة الله التـــي تحـــف بعبـــاده المؤمنين فالنعاس حين يلم بالمجهدين المرهقين المفزعين، ولو لحظة واحدة، يفعـــل في كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقاً جديداً، ويسكب في قلوبهم الطمأنينة، كما يسكب في كيانهم الراحة"[1]. فكان هذا المظهر رحمة من الله تعالى بهم، ونعمة علـــيهم، إذ أزال الخوف عنهم بعد مواجهتهم وأمّنهم .

ومن مظاهر تأييد الله وتثبيته لنبيه وللمؤمنين مظهر التسلية والتعزية، وتقوية النّفس وتهدئة الروع، قال تعـــالى:M f g h i j k l m n o p q r s L [آل عمران: 137]. "واضح أن أســـلوب الآيـــة هـــو أسلوب تطمين وتسكين وتسلية وتعزية وتقوية نفس وتهدئة روع وبعـــث أمـــل"[2]. وقوله تعـــالى:M { | } ~ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ¢ £ ¤ ¥ L [آل عمـــران: 139]. فهي تسلية للنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمسلمين من الله تعالى، لما نالهم يوم أحد من القتل والجرح، ففيها حث من الله عز وجل للمصابين يوم أحد على التطمين وعدم الحزن والضعف، فالعاقبة لكم بالنصر والظفر[3].

قال القاسمي:"لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح، ولا تحزنوا على من قتل منكم، والحال أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم، فإن مصير أمـــرهم إلـــى الدمار حسبما شاهدتم من عاقبة أسلافهم، فهو تصريح بالوعد بالنصر بعد الإشـــعار به فيما سبق"[4].

وعليه"فقد تمكن المسلمون المطوقون من التغلب على جيش مكة المطـــوق، حيث كسروا الطوق الذي ضُرب حولهم، ثم أفلتوا من قبضته وشقوا طريقهم عبـــر صفوفه نحو الشِعب من أحد حيث يوجد قائدهم الأعلى، بعد أن دفعوا لهذا الـــتخلص ثمنا قوامه عشرة في المائة من مجموع قواتهم، ففوّتوا بذلك على قريش أثمن فرصة

([1])قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص495.

([2])دروزة، التفسير الحديث، ج7، ص234.

([3])الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج1، ص496. والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص470.

([4])القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص416.

سنحت لهم للقضاء على الجيش الإسلامي بالإبادة والأسر، وقد أعتبر كثير من العسكريين تمكّن المسلمين من كسر الطوق الذي ضربه المشركون حولهم وإفلاتهم نصرا جديدا سجّله المسلمون واندحارا ثانيا مُني به المشركون"[(1)].

وكان للقيادة المسلمة المتمثلة في رسول الله صلى الله عيه وسلم خير شجاعة وإقدام إذ لولا تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه عليه الصلاة والسلام وصموده حين طوّق الكفار جيش المسلمين لأفنت قريش المسلمين ولكن هيهات أن يكون لها ذلك، ومحمد بن عبد الله قائد المسلمين، فقد جعل المؤمنين متماسكين ثابتين .

"وذهبت كل محاولات قريش للقضاء على المسلمين أدراج الرياح، إذ تجمّع المسلمون حول النبي صلى الله عليه وسلم وأصبحوا تحت قيادته، بعد إن كانوا متفرقين لجمع الغنائم أولا، ونتيجة لصدمة المباغتة التي أجراها خالد بن الوليد بالالتفاف حول قواتهم وضربها من الخلف ثانيا"[(2)].

ولما عاد المسلمون إلى المدينة ظهرت عداوة المنافقين وشماتتهم بالمسلمين وعداوة اليهود كذلك، "ففارت المدينة كالمرجل المتّقد، وكشف عن عداوته من كان قبلا يواريها، وتحدّث الكافرون بالإسلام عن خذلان السماء للنبيّ المرسل من عند الله، فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعيد تنظيم رجاله على عجل، وأن يتحامل الجريح مع السليم على تكوين جيش جديد، يخرج في أعقاب قريش ليطاردها، ويمنع ما قد يجد من تكرار عدوانها.

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد، واقتربوا من جيش أبي سفيان، وكان رجال قريش بعد أن ضمّهم الفضاء الرحب قد عادوا إلى التفكير فيما حدث، وأخذوا يتلاومون، يقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئا، أصبتم شوكة القوم، ثم تركتموهم ولم تبتروهم، وقد بقيت منهم رؤوس يجمعون لكم، إلا أنّ هذا التفكير تزلزل إثر ما عرفت قريش أنّ المسلمين عبّئوا قواهم، وخرجوا يستأنفون القتال"[(3)].

([1])باشميل، غزوة أحد، ص320.

([2])خطاب، الرسول القائد، ص183.

([3])الغزالي، فقه السيرة، ص275،276.

"فالنصر إنما يكون مع الصبر وإطاعة أوامر القائد الصالح، فلم يكد يؤذن في النّاس للخروج مرة أخرى لطلب العدو حتى تجمّع أولئك الذين كانوا معه بالأمس من بعد ما أصابهم القرح وأنهكتهم الجروح والآلام"[1]. قال تعالى:M ¦ § ¨ © مَسَّ » ¬ ® ¯ L [آل عمران:140]."أي إن أصابكم يوم أحد جراح فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ أي يوم بدر ولم يضعفوا ولم يجبنوا فأنتم أولى، لأنكم موعودون بالنصر دونهم، أي فقد استويتم في الألم، وتباينتم في الرجاء والثواب"[2].

وقال تعالى:M ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ وَتَرْجُونَ » ¬ ® ¯ ° L [النّساء:104]. وعليه فإن سورة آل عمران عالجت أمر هذه الغزوة بالتفصيل، فهي مرجع لأمتنا في بحثها عن النصر في كل زمان .

3.2.4 غزوة الخندق:

في شوال من السنة الخامسة للهجرة، تجمعت قوى الكفر، من كفار قريش وحلفائهم من القبائل المشتركة وكانوا عددهم عشرة آلاف جندي، وعلى رأسهم قائدهم العام أبو سفيان صخر بن حرب، وكان –حينئذ- ألد الأعداء للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، وقد تجمّعت هذه الأحزاب على ما بينها من تنافر وتباعد وعصبية وقبلية يؤلفهم ويوحد بينهم هدف مشترك وهو القضاء على الإسلام والمسلمين والانتقام منهم، والرغبة في استئصال دينهم[3].

"وكان المسلمون في المدينة - حينئذٍ - هم المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله وجهادًا في سبيله، والأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين آووا رسول الله ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، كان

([1])البوطي، فقه السيرة، ص184.

([2])القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص417.

([3])النّجار، محمد الطيب، (ت:1411هـ)، القول المبين في سيرة سيّد المرسلين، دار النّدوة الجديدة، بيروت، ص263.

موقفهم موقفا عصيبًا يحيط به الحرج والضيق ويسود فيه الخوف والرهبة، فهــؤلاء هم أحزاب الشر، وأعداء الحق، وأنصار الشيطان يزحفون مسرعين إلى المدينة"(1).

فما إن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بزحفهم ومكــرهم، أمــر بحفــر الخندق حول المدينة بمشورة من سلمان الفارسي، وذلك خشية اقتحامهــا(2). حتــى أصابهم النصب والجوع من أثر ذلك، فكان يُشجعهم صلى الله عليه وسلم ويدعوا الله تعالى لهم(3). قائلا:"اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهــاجرة"(4). وفي رواية أخرى:"اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة"(5).

وقد كان قوام عدد المسلمين آنذاك ثلاثة آلاف، فلما أقبلت قريش وحلفائهــا يريدون المدينة، فاجئهم الخندق المحفور حولها، إذ لم يكن أمرا معهودا لديهم، وإنما كان من أعمال فارس والروم، فحاول البعض من المشركين اقتحامــه، غيــر أنهــم عجزوا عن ذلك(6).

---

(1)النّجار، القول المبين في سيرة سيّد المرسلين، ص264.

(2)أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص119. وابن هشام، الــسيرة النبويــة، ج4، ص182. وخطاب، محمود شيت، الرسول القائد، ص228. وابن كثير، البداية والنهايــة، ج4، ص116. وابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، (ت:456)، جوامع الــسيرة، تحقيــق: إحــسان عباس، ط1، دار المعارف، مصر، 1900م، ص186.

(3)شهاب الدين، أحمد بن محمد، (ت:923هــ)، المواهب أللدنية بــالمنح المحمديــة، المكتبــة التوفيقية، القاهرة، ج1، ص283.

(4)البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا، حديث رقم (2961)، ج4، ص50. ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والــسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، حديث رقم (1805)، ج3، ص1431.

(5)البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الرقائق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم (6413)، ج8، ص88.

(6)الخضري، محمد بن عفيفي، (1345هــ)، نور اليقين في سيرة ســيّد المرســلين، ط2، دار الفيحاء، دمشق، 1425هــ، ص145. وخطاب، الرسول القائد، ص228. والمباركفوري، صفي الرحمن، (ت:1427هــ)، الرحيق المختوم،ط1، دار الهلال، بيروت، ص277. والغزالي، فقــه السيرة، ص298.

وقد قامت الأحزاب بمحاصرة المسلمين دون إبقاء منفذ لهم، "إذ جاءت بنـــي قريظة والنضير وغطفان، بمحاصرتهم من فوق الوادي من قبل المشرق، ومن أسفل منكم من قبل المغرب من ناحية مكة أبو سفيان وقريش ومن تبعـــه، حتـــى زاغـــت الأبصار، ومالت عن كل شيء فلم تنظر إلّا إلى عدوها مُقبلا من كل جانب"[1]. وقد أشار سبحانه إلى ذلك في قولـــه: M V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L [الأحزاب: 10]

قال سيّد قطب:"إنها صورة الهول الذي روّع المدينة، والكرب الذي شـــملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قـــريش وغطفـــان واليهود من بني قريظة من كل جانب، من أعلاها ومن أسفلها، فلم يختلف الـــشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابـــتلاء كاملا والامتحان دقيقا، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسما لا تردد فيه"[2].

"هُنالك في تلك الحال ابتلي المؤمنون واختبروا ليتبيَّن المخلص من المنـــافق وزلزلوا وحرِّكوا وخُوِّفوا"[3].حتى بلغت القلوب الحناجر، من شدة ما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها شعاعا ويجد كأن حشوته وقلبه يصعد علوا لينفصل، فليس بلوغ القلوب الحناجر حقيقة بالنقلة بل يشير لذلك وتجيش فيستعار لها بلوغ الحنـــاجر"[4]. وهذا كله تصوير لحالة الخوف والرعب والفزع الذي لحق بالمسلمين يومئذ.

فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأحزاب قد تحلّقوا حول المدينة وطال حصارهم لها شاور أصحابه أن يُصالح غطفان على ثلث ثمار المدينة، فقال له سعد بن معاذ: "يا رسول الله أمرًا تحبه، فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ فقال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلـــك إلا لأنـــي رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فـــأردت أن أكـــسر

---

(1) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص461.

(2) قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2837.

(3) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص860.

(4) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص372.

عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهــؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يــأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بــك وبه، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكــم الله بيننا وبينهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت وذاك»"[1].

وكان من أساليب القيادة النبوية الاستطلاع فبعث حذيفة بن اليمان إلى معسكر قريش ويأتيه بخبر القوم، وكان مثال الجندي المطيع الذي يُضحي بنفسه في ســبيل تحقيق الأمر النبوي. قال حذيفة:"فذهبت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهــم مــا تفعل، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناءا، فقام أبا سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت لــه مــن أنت؟ قال: فلان بن فلان"[2].

وهُنا لا بُد للقائد أن يكون خبيرا برجاله وبقدرتهم علــى تنفيــذ المهمــات فيختار لكل مهمة من يناسبها، فقد اختار رسول الله صلى الله عليه وســلم حذيفــة وأوصاه أن لا يُثير الكافرين عليه، وكان يُدرك صلى الله عليه وسلم أثــر الحــرب النفسية وقيمتها في توهين كيد العدو لذلك استغل فرصة إسلام الصحابي نعــيم بــن مسعود لصالح معسكر الأمة كلها، فقد أمره أن يكتم إسلامه ثم يعمل علــى تخــذيل الأحزاب وينشر الإشاعات بينهم، قائلا له:"إنما أنت فينا رجل واحد فخــذّل عنّــا إن استطعت فإن الحرب خدعة". فجاد الصحابي دوره إجادة تامة فزرع بــذور الــشك

([1])البوطي، فقه السيرة النبوية، ص215. والصلابي، علي محمد، الــسيرة النبويــة، ط7، دار المعرفة، بيروت، 1429هــ/ 2008م، ص603. والسمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص48.

([2])ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص232. والواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (ت:207هــ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، دار الاعلمــي، بيــروت، 1409هــــ/ 1989م، ج2، ص489.

وعدم الثقة بين الأحزاب فأصبحت قريش لا تثق باليهود وكذلك اليهود، وقد ذهب إلى غطفان وفعل مثلما فعل مع قريش واليهود[1].

"وهكذا أفلح المسلمون في قصم عُرى التحالف بين الأحزاب المجتمعة عليهم، فما مضت أسابيع ثلاثة على ذلك الحصار المضروب حتى دبّ القنوط والتخاذل في صفوف المهاجمين"[2].

وكان للدعاء -هذا السلاح- دورا عظيما بارز وفعّالا في هزيمة الأحزاب، فلا ينبغي أن نغفل أمره، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغيث ربه ويتضرع إليه داعيا أن يؤتي المسلمين النصر، وكان من دعائه:"اللهم مُنزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"[3].

ومن مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين في هذه الغزوة "أن بعث الله على الأحزاب الريح في ليال شاتيه باردة شديدة البرد، فجعلت تُقلّب قدورهم وتطّرح أبنيتهم"[4]. حتى أجبرت قائدهم أبو سفيان قائلا:"يا معشر قريش إنّكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون، ما تطمئنّ لنا قدور، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا، فإنّي مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فما أطلق عقاله إلّا وهو قائم"[5].

([1])الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص414. والزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج21، ص264. وابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص229،230. والمباركفوري، الرحيق المختوم، ص285،286.

([2])الغزالي، فقه السيرة، ص309.

([3])البخاري، الجامع المسند، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم (4115)، ج5، ص111. ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، حديث رقم (1742)، ج3، ص1363.

([4])النّدوي، علي أبو الحسن، (ت:1420هـ)، السيرة النبوية، ط12، دار ابن كثير، دمشق، 1425هـ، ص356.

([5])الغزالي، فقه السيرة، ص310. وأبو شُهبه، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسُنّة ، ج2، ص288.

قال الألوسي: "إن اللّه تعالى بعث عليهم صبا باردة في ليلة باردة فحاصرتهم، وسفت التراب في وجوههم، وأمر الملائكة عليهم السلام فقلعت الأوتــاد، وقطّعــت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت الخيل بعضها في بعض وقذفت في قلوبهم الرعب"(1). وكبَّرتِ الملائكةُ في جوانبِ عسكرِهم"(2).

وقد منّ الله تعالى على المؤمنين بذلك، قائلا: M > ? @ A B C

D E F G H I J K L M O P Q R S T U

V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c

d e f g h i j k l L [الأحزاب:9-11].

فقد فكانت الريح، ونزول الملائكة غير المرئيين، بالرغم من عدم مــشاركتهم القتال(3). مظهر من مظاهر تأييده الله تعالى وتثبيته وجندي من جنوده سبحانه فقــد حُسمت المعركة دون قتال بين المؤمنين والأحزاب، أرسلها الله سبحانه جلا في علاه في الليالي الباردة التي عسكر فيها الأحزاب حول المدينة.

قـــال تعـــالى: M H I J K L M N O Q R S T

V W X Y Z L [الأحزاب:25].

4.2.4 غزوة حنين:

لقد كانت واقعة حُنين بعد فتح مكة في شوال من السنة الثامنة للهجرة، "وذلك لما فرغ صلى الله عليه وسلم من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامــة أهلهــا،

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج11، ص153.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايــا الكتــاب الكــريم، ج7، ص93. والزمخــشري، الكشاف، ج3، ص526.

(3) السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص49. والبغوي، معالم التنزيل فــي تفــسير القــرآن، ج3، ص611.

وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغه أن هوازن[1] جمعــوا لـــه ليقـــاتلوه، ومعهم ثقيف[2]بكمالها، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه الـــذي جاء للفتح وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعـــه الـــذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء في ألفين، فسار بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حُنين، فكانت فيه الموقعة فـــي أول النهار في غلس الصبح، فانحدروا إلى الوادي وقد كمنت فيه هوازن، فلما تواجهـــوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد بادروهم، ورشقوهم بالنبال، وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، فعند ذلك ولّى المسلمون الأدبار، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ثم أمر صلى الله عليـــه وســـلم عمـــه العباس[3]، وكان جهير الصوت، أن يُنادى بأعلى صوته يا أصـــحاب الـــشجرة، أي شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها علـــى أن لا يفروا عنه، فجعل ينادى بهم: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب ســـورة البقـــرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعوا إلـــى رســـول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إن الرجل منهم إذا لم يُطاوعه بعيره على الرجوع، لبس درعه، ثم انحدر عنه وأرسله، فلما رجعوا، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وســـلم أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال:"اللهـــم

([1])هوازن: هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، بن قيس بن علان قبيلة مـــشهورة في العرب، منهم بنو سعد الذين استرضع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم. أنظر: الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد، (ت:456هـــ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية للنشر - بيروت/1983م، ص265،264.

([2])ثقيف: هم بنو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة، وثقيف اسمه قُسي، وهم قبيلة مشهورة منهم الحجاج، أنظر: الظاهري، جمهرة أنساب العرب، ص266.

([3])العباس: العباس بن عبد المطلب، بن هاشم، يُكنى أبى الفضل، وهو عم الرســـول صـــلى الله عليه وسلم، وصنوا أبيه، ولد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين، ومات في المدينة في رجب أو رمضان سنة (32هـــ)، وكان طويلا جميلا أبيض، أنظر: العسقلاني، أبو الفـــضل أحمد بن علي، (ت:852هـــ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـــ ج3، ص511.

أنجز لي ما وعدتني" ثم رمى بها القوم، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منهـــا فـــي عينيه وفمه ما شغله عن القتال، ثم انهزمـــوا فـــاتبع المـــسلمون أقفـــاءهم يقتلـــون ويأسرون، وما تراجع بقية

الناس إلا والأسرى مجندلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم"(1).

قـــال تعـــــالى:M n o p q r s t u v x y

z { | } ~ وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ¢ £ ¤ ¥ ¦ §

¨ © أَنزَلَ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º

» ¼ ½ ¾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . L

[التوبة:25-27].

قال ابن كثير:"هذه أول آية نزلت من براءة يُذكّر الله تعالى بها المؤمنين بفضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مـــع رســـوله، وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره لا بعددهم وعدتهم، ونبّههم إلى أن النصر من عنده سواء قل الجمع أم كثر، فإنهم يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين إلا القليل منهم، ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه"(2).

فقد كان من مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته أن أنزل السكينة علـــى رســـوله وعلى المؤمنين، لكي يطمئنوا، ويسكنوا ويتثبتوا، فقـــد صـــدقهم الله تعـــالى وعـــده بإظهارهم على المشركين، بالإضافة إلى إنزال الملائكة معهـــم تقـــويّهم وتـــساندهم وتُثبتهم، وتُشجعهم، وتبشرهم، وتشد من أسرهم(3). قال تعالى:{وَأَنْـــزَلَ جُنُـــوداً لَـــمْ

---

(1)انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص125،126. وقطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1616،1617. وطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج6، ص239،240.

(2)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص130.

(3)الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص348. والسمرقندي، بحـــر العلـــوم، ج2، ص50. ابن عطية الأندلسي، المحرر الـــوجيز فـــي تفـــسير الكتـــاب العزيـــز، ج3، ص19. والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص77. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن فـــي تفسير الكلام المنان، ص332.

تَرَوْها}. "أي: وأنزل مع السكينة جنودا روحانية من الملائكة لم تروها بأبصاركم، وإنما وجدتم أثارها في قلوبكم، بما عاد عليها من ثبات الجأش، وشدة البأس"[1].

قال القرطبي:"وهؤلاء الملائكة يُقوّون المؤمنين بما يلقون في قلوبهم من الخواطر والتثبيت، ويضعفون الكافرين بالتجبين لهم من حيث لا يرونهم ومن غير قتال، لأن الملائكة لم تُقاتل إلا في بدر"[2]. وأضاف الآلوسي: والذي عليه أن الملائكة لم تُقاتل إلا يوم بدر، وإنما نزلوا لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين"[3]. وأحتج من قال: أنهم قاتلوا بما روي أن رجلا من المشركين قال لبعض المؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق؟ والرجال عليهم ثياب بيض؟ ما كُنّا نراهم فيكم إلا كهيئة الشامة، وما كان قتلانا إلا بأيديهم، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: تلك الملائكة"[4].

وعلى هذا فليس بكثرة القوة كما لمسنا سابقا يتحقق النصر، وإنما بفضل الله تعالى وتأييده وتثبيته لنبيه وللمؤمنين يحصل النصر، ففي لحظات الفزع هذه ثبت رسول الهدى صلوات ربي وسلامه عليه ومعه مجموعة قليلة من الصحابة وأخذوا يُنادونا الفارين بأن يثبتوا. "وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد، وهناك بدئوا بالهجوم المضاد على المشركين؛ وعندما رأت هوازن وثقيف أنّ المقاومة لا تجديهم نفعا، وأنهم لا يستطيعون صدّ هجوم المسلمين، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين"[5].

وهكذا فقد انتصرت الأمة المسلمة بفضل تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيها وللمؤمنين وبصبر قائدها، وعليه فيمكن حصر أهم أسباب هزيمة المسلمين في البداية إلى ما يلي:

([1])رضا، تفسير المنار، ج10، ص221.

([2])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص101.

([3])الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج5، ص268،269.

([4])المرجع نفسه، ج5، ص268.

([5])خطاب، الرسول القائد، ص367.

"1- أن شيئًا من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين، لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الهزيمة[1].

2- مستوى التعبئة الممتاز الذي كانت عليه قوات هوازن قبل المعركة، فقد تم اصطحاب الأهل والمال ليُقاتل الجنود قتال المستميتين.

3- نجاح استخبارات ودوريات المشركين في الحصول على أدق المعلومات عن عدد جيش المسلمين ومواعيد تحركاتهم.

4- نجاح قائد هوازن مالك بن عوف[2]. في سبق المسلمين إلى وادي حُنين فتهيأ هنالك ووضع الكمائن والرماة في مضايق الوادي وعلى جوانبه، وفاجئوا المسلمين، برميهم بالنبال وبالهجوم المباغت.

5- كان العدو مهيأ ومنظما ومستعدا للقتال حال مواجهته لجيش المسلمين.

6- وجود ضعاف الإيمان الذين أسلموا حديثًا في مكة، ففروا فانقلبت أولاهم على أخراهم، فكان ذلك سببا لوقوع الخلل وهزيمة غيرهم"[3].

وقد تشكل مظهر تأييد الله تعالى وتثبيته لنبيه صلى الله عليه وسلم وللفئة المؤمنة الركن الأساسي، والمحور الرئيسي في انتصار جيش المسلمين في حُنين، وقد انتصر هذا الجيش بعد الهزيمة بسبب عدّة عوامل وهي:

"1- ثبات الرسول في القتال وعدم تراجعه، مما جعل الجنود يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت.

([1])السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص158.

([2])مالك بن عوف: هو مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصري، من بكر بن هوازن، كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، شهد القادسية وفتح دمشق. أنظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص550.

([3])باشميل، محمد، غزوة حُنين، ط3، دار الفكر، بيروت، 1983م، ص312ــــ315.باختصار. والصلابي، السيرة النبوية، ص795.

2- شجاعة القائد، فالرسول القائد لم يثبت في مكانه فحسب، بل تقدم نحـــو عـــدوه راكبًا بغلته، هاتفا بالمسلمين: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب"(1). فطفــق يركض ببغلته قِبَل الكفار وعمه العباس آخذ بلجام البغلة يكفها ألّا تُسرع .

3- ثبات قلة من المسلمين معه وحوله حتى جاء الذين تولّــوا وأكملــوا المــسيرة؛ مسيرة الثبات والبر والقتال حتى النصر.

4- سرعة استجابة الفارّين والتحاقهم بالقتال .

5- وقوع الجيش المعادي في خطأ عسكري قاتل، وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد فراره، مما أعطى فرصة ثمينة للجيش الإسلامي ليلــتقط أنفاسه ويعود إلى ساحة القتال ويستأنف القتال من جديد بقيـــادة القائــد الثابــت الشجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

6- رميه الحصى، فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهــن وجــوه الكفار، قائلا:"شاهت الوجوه"(2). فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيـــة تُرابـــا بتلك القبضة، ثم قال: "انهزموا ورب محمد"(3).

7- إنزال الملائكة في الغزوة وقد سجّل الله هذا في كتابه الكريم في ســـورة التوبـــة قال تعـــالى:M ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ » ¼ ½ L. [التوبة:26]. (4).

وعليه" فقد كانت حُنين درسا في التربية النفسية، علّمَ المسلمين من خلالهـــا، أن النصر ليس بكثرة العدد والعدة، وأن الاغترار بذلك ليس من أخلاق الإسلام، فها هم لما اغتروا بكثرتهم كانت الهزيمة، وذلك ليكون المسلمون على صلة قوية بالله، فـــلا

---

(1)البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب المغازي، باب قوله تعالى:{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَـــتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ}، حديث رقم (4315)، ج5، ص153.

(2)مسلم، المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حُنين، حـــديث رقـــم (1777)، ج3، ص1402.

(3)مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حُنين، حـــديث رقـــم (1775)، ج3، ص1398.

(4)الصلابي، السيرة النبوية، 795،796.

يُلهيهم العدد والعدة عن تذكر الله، والتوكل عليه، فليتوكلوا على الله، ثم ليأخذوا ما استطاعوا في إعداد العدة للأعداء حسبما أمرهم الله تعالى به"[1].

"فخلاصة غزوة حُنين التي اجتمع فيها المسلمين- للمرة الأولى- في جيش تعداده اثنا عشر ألفا، فلما أعجبتهم هذه الكثرة والقوة... أصيبوا بالهزيمة في أول المعركة... ليعلموا أن كثرتهم لن تغنى عنهم شيئا إذا لم يكن عون الله تعالى معهم"[2].

وبهذا فقد تحقق نصر الله تعالى وتأييده وتثبيته لرسوله وللمؤمنين، حتى زال عنهم ما لحق بهم من ضيق وشدة، جراء اغترارهم وتفاخرهم بكثرتهم؛ ليكون ذلك درسا لهم ولغيرهم أن الكثرة والاغترار، إن لم يُلازمها إيمان وإخلاص فهي لا تُغني شيئا.

([1])أبو شُهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن الكريم، ج2، ص472.

([2]) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج6، ص240.

الخاتمة:

الحمد لله على الابتداء، والحمد لله على الانتهاء، والحمد لله الذي يتم بفضله النقصان، والصلاة والسلام على خير الأنام، ومصابيح الظلام، وعلى آله وأصحابه هداة الأنام، ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فبعون الله تعالى وتأييده وتثبيته قد تم الانتهاء من هذا البحث المتواضع حول موضوع :"التأييد والتثبيت في القرآن الكريم دراسة موضوعية"، وقد خلُصتْ هذه الدّراسة إلى نتائجَ أهمّها: -

1- جاء معنى التّأييد والتّثبيت لغةً بمعنى التقوية وشد الأزر وشحذ الهمة وإعلاء الكلمة في أكثر المعاجم اللغوية قديمها وحديثها، والتقت هذه المعاني اللغوية مع كثير من المعاني الاصطلاحية، إلّا أنّ السياق القرآني يبين لنا أنّ المعنى الاصطلاحي يأتي بشكل أعم وأشمل؛ أي أنهما من الألفاظ المتّسعة دلالياً.

2- عدّ بعض المفسرين " الصبر" الأساس والأصل للتأييد والتثبيت الإلهيين، وذلك إن وجد " الصبر" ألهمنا الله تعالى تأييده وتثبيته .

3- ربط السياق القرآني بين النصر والتأييد والتثبيت، على اعتبار أن النصر هو ثمرة التأييد والتثبيت الإلهيين، فيجب على المؤمن أن يخلص لله عز وجل حتى ينال نصر الله تعالى وتأييده وتثبيته.

4- مصدر التأييد والتثبيت الإلهيين هو الله سبحانه - جلّ في علاه .

5- يُعد تأييد الله تعالى وتثبيته لعباده المؤمنين من أعظم النعم؛ لذلك يجب أن يزداد شُكرنا له سبحانه، مُعترفين بفضله ومنته علينا، ليكون ذلك عونا لنا على القيام بخلافة الله تعالى في أرضه، وفق منهجه الذي شرعه لنا.

6- انقسمت شروط التّأييد والتّثبيت إلى شروط مادية وأخرى معنوية، فالمادية: هـــي التي تُدرك بالحواس، كإعداد العدة، والاعتصام بحبل الله وعدم التفرقة، والإنفاق في سبيل الله، أمّا الشروط المعنوية فهي التي لا تُدرك بالحواس مثـــل حيـــازة الروح الإيمانية، والاتصال بالله تعالى بالذكر والدعاء، والتوكل على الله تعـــالى مع الأخذ بالأسباب، واليقين بعد ذلك كله والثقة بأنّ النصر من عند الله، وكـــلاً من هذين الشرطين المادي والمعنوي، متى تحققا ألهمنا الله تعالى تأييده وتثبيته، وحُقق لنا النصر الذي وعدنا الله تعالى به.

7- على الأمة أن تحرص كل الحرص على الإعـــداد والاســـتعداد الـــدائم لملاقـــاة عدوها؛ وذلك لان هذا الإعداد يُشكل عاملاً قوياً في تحقيـــق تأييـــد الله تعـــالى وتثبيته.

8- إن مظاهر تأييد الله تعالى وتثبيته لأنبيائه يمثّل عاملاً مهمّاً للسير على دروبهـــم، والاقتداء بهم، فقد ساروا على هذا المنهج ونصروا ديـــن الله ودعـــوا بدعوتـــه فنصرهم الله وأيدهم وثبتهم، وكذلك يجب أن تسير هذه الأمة على هذا النهج.

9- بنى رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم وصـــحابته رضـــوان الله علـــيهم صرحاً شامخاً من الانتصارات، فكان قدوة حسنة، ومعه خلة متميزة فلا بُدّ لنـــا من السير على الدرب التي سارها وصحابته حتى يمنّ الله تعالى علينا بما مـــنّ عليهم من التّأييد والتّثبيت الإلهيين، قال تعالى:(**لَقَدْ كَانَ لَكُـــمْ فِـــي رَسُـــولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**) {الأحزاب:21}.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

آبادي، محمد شمس الحق، (1388هـ/1968م) **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، دار المكتبة السلفية، المدينة المنورة .

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، (ت:852هـ)،(1986م)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت،

الأخطل، غياث بن غوث، (ت:92هـ)،(1994م)، **ديوان الأخطل**، شرح وتصنيف مهدي محمد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت .

الإدريسي، أحمد بن محمد، (ت:1224ه)،(1419هـ)، **البحر المديد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط2، الناشر حسن عباس زكي، القاهرة .

الأزهري، محمد بن أحمد، (ت:370هـ)،(2001م)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق، (ت151هـ)،(1398هـ/ 1978م)، **السير والمغازي**، تحقيق: سهيل زكّار، ط1، دار الفكر بيروت .

الألوسي، شهاب الدين محمود، (ت:1270هـ)،(1415هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

الأميري، أحمد البراء، (1986م)، **إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن**، دار المنارة، جدة .

الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عطية، (1422هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

باشميل، محمد أحمد، (1983م)، **غزوة أحد**، دار الفكر، بيروت .

باشميل، محمد، (1983م)، **غزوة حُنين**، ط3، دار الفكر، بيروت .

البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت:256هـ)،(1422هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة .

ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، (ت:449هـ)،(1423هـ/2003م)، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، دار مكتبة الرشد، الرياض .

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، (ت:510هـ)،(1420هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، (ت:1094هـ)،(د. ت)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

البقاعي، أبي بكر إبراهيم بن عمر بن حسن، (ت:885هـ)،(د. ت)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البوطي، محمد سعيد رمضان، (ت:2013م)،(1426هـ)، **فقه السيرة النبوية**، ط25، دار الفكر، دمشق.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، (ت:685هـ)،(1418هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت:279هـ)،(1998م)، **الجامع الكبير**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت .

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،(ت:279هـ)،(1395هـ/1975م)، **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط2، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي،(1422هـ/2002م)، **الآثار المروية في صفة المعية**، ط1، دار أضواء السلف، الرياض .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (1425هـ/2004م)، **الفتوى الحموية الكبرى**، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، ط2، دار الصميعي، الرياض .

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت:875هـ)،(1418هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت:816هـ)،(1403هـ/1983م)، **التعريفات**، مجموعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

الجزائري، جابر بن موسى،(1424هـ/ 2003م)، **أيّسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة .

ابن جزّي، محمد بن أحمد بن محمد، (ت:741هـ)،(1416هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت .

الجعوان، محمد بن ناصر،(1403هـ)،(د.ت)، **القتال في الإسلام**، ط2، دار مطابع المدينة، الرياض .

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت:597هـ)،(1422هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت .

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت:597هـ)،(1422هـ) **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت،

الجوهري، إسماعيل بن حماد الصحاح،(ت:393هـ)،(1990م)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: محمد زكريا يوسف، ط4، دار العلم للملاين، بيروت .

الحرالّي، علي بن أحمد بن حسن، (ت:638هـ)،(1418هـ/1997م)، **تراث أبي الحسن الحرالّي المراكشي في التفسير**، تحقيق: محمد بن عبد السلام الخياطي، ط1، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط .

ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، (ت:456)،(1900م)، **جوامع السيرة**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار المعارف، مصر.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، (ت:626هـ)،(1995م)، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر بيروت .

ابن حنبل، أحمد، (ت:241هـ)،(1421هـ/2001م)، **مُسند الإمام أحمد**، تحقيق: شُعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ط1، دار مؤسسة الرسالة، بيروت .

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي الشهير بأبي حيان،(ت:754هـ)،(1420هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (ت:741هـ)،(د.ت)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1424هـ/2003م)، **وعود القرآن بالتمكين للإسلام**، دار القلم، دمشق .

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1428هـ/2007م)، **القصص القرآني**، ط2، دار القلم، دمشق .

الخضري، محمد بن عفيفي، (1345هـ)،(1425هـ)، **نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين**، ط2، دار الفيحاء، دمشق .

الخضيري، عبد العزيز بن عبد الله،(1429هـ/2008م)، **الثبات على الحق في ضوء الكتاب والسنة**، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد(1)، العدد(1).

الخضيري، عبد الله بن صالح،(1429هـ/2008م)، **نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وكفايته والدفاع عنه في الكتاب والسنة**، مكة المكرمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى .

خطاب، محمود شيت، (ت:1419هـ)،(1422هـ/1974م)، **الرسول القائد**، ط6، دار الفكر، بيروت.

الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت:1390هـ)،(د.ت)، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة.

الخطيب، عبد اللطيف،(د.ت)، **معجم القراءات القرآنية**، دار سعد الدين، القاهرة.

الخنين، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر،(1416هـ/1996م)، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، ط1، دار التوبة، الرياض .

الدامغاني، الحسين بن محمد، (ت:478هـ)،(1983م)، **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: عبد العزيز سيدا الأهل، ط4، دار العلم للملايين، بيروت.

دروزة، محمد عزّت، (1383هـ)، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .

الدرويش، محي الدين بن أحمد مصطفى، (ت:1403هـ)،(1415هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، ط4، دار ابن كثير، دمشق .

ابن دريد، محمد بن الحسن، (ت:321هـ)،(1987م)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت .

الدّقس، كامل سلامة،(1409هـ/1988م)، **الجهاد في سبيل الله**، ط2، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مكة المكرمة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت .

الديرزوري، عبد القادر بن ملا حويش، (ت:1398هـ)،(1382هـ/1965م)، **بيان المعاني**، ط1، دار الترقي، دمشق .

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي، (ت:606هـ)،(1420هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت:502هـ)،(1412هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم، دار الشامية، دمشق، بيروت.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت:795هـ)،(1417هـ/1996م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، دار مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة .

ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد،(ت:795هـ)، (1422هـ/2001م)، **روائع التفسير(الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)**، ط1، دار العاصمة، السعوية .

رضا، محمد رشيد، (ت:1354هـ)،(1990م)، **تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار**، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الرضي، الشريف،(د.ت)، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، دار الأضواء، بيروت.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، (ت:1205هـ)،(د.ت)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (ت:311هـ)،(1408هـ/1988م)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، دار عالم الكتب، بيروت .

الزحيلي، وهبة بن مصطفى،(1418هـ)، **التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج**، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق .

الزحيلي، وهبة بن مصطفى،(1422هـ)، **التفسير الوسيط**، ط1، دار الفكر، دمشق.

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، (ت:538هـ)،(1419هـ/1998م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت:538هـ)،(1407هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت .

الزنداني، عبد المجيد بن عبد العزيز،(د.ت)، **بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، دار** الإيمان، القاهرة.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت:1394هـ)،(د.ت)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي.

السامرائي، فاضل صالح،(1428هـ/2007م)، **معاني الأبنية في العربية**، ط2، دار عمار، عمان .

السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، (ت:275هـ)،(د.ت)، **سنن أبي داوود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (1376هـ)،(1420هـ/2000م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة .

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت:982هـ)،(د.ت)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، (ت:373هـ)،(د.ت)، **بحر العلوم**، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار المعروف بأبي المظفر، (ت:489هـ)، (1418هـ/1998م)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض .

السيّد، عبد المقصود عسكر،(2000م)، **في صحبة الرسل الكرام**، ط1، دار البشير، القاهرة .

السيّد، محمد يوسف محمد، (1418هـ/1997م)، **التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، ط1، دار السلام، مصر .

ابن سيّدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت:458هـ)،(1421هـ/2000م)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)،(د.ت)، **الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، (911هـ)،(د.ت)، **تفسير الجلالين**، ط1، دار الحديث، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)،(1424هـ/2004م.)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، ط1، دار مكتبة الآداب، القاهرة .

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)،(د.ت)، **لباب النقول في أسباب النزول**، دار الكتب العلمية، بيروت.

الشحود، علي بن نايف،(1433هـ/ 2012م)، **النصر والتمكين آتٍ بإذن الله**، ط1،

الشحود، علي بن نايف،(1433هـ/2012م)، **المهذب في عوامل النصر والهزيمة**، ط1، عضو هيئة علماء المسلمين في سوريا.

الشربيني، محمد بن أحمد،(د.ت)، **تفسير السراج المنير**، دار الكتب العلمية، بيروت.

الشريف، أحمد إبراهيم،(د.ت)، **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، دار الفكر العربي.

الشريف، محمد موسى،(1429هـ/2008م)، **معالم على طريق الصحوة**، ط1، دار الأندلس، القاهرة .

الشعراوي، محمد متولي، (ت:1418هـ)،(1997م)، **تفسير الشعراوي**، دار مطابع أخبار اليوم.

شلبي، محمود، (1403هـ/1982م)، **حياة نوح**، دار الجيل، بيروت، لبنان .

شلتوت، محمود،(1424هـ/2004م)، **تفسير القرآن الكريم**، ط12، دار الشروق، القاهرة .

الشنقيطي، محمد الآمين بن محمد المختار، (ت:1393هـ)،(1425هـ/1995م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

شهاب الدين، أحمد بن محمد، (ت:923هـ)،(د.ت)، **المواهب أللدنية بالمنح المحمدية**، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

أبو شُهبه، محمد بن محمد بن سويلم، (ت:1403هـ)،(1427هـ)، **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنّة**، ط8، دار القلم، دمشق .

الشهري، أحمد بن حمدان،(125هـ/2004م)، **عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين**، ط1، دار القاسم، الرياض.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت:1250هـ)،(1984م)، **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيّد المرسلين**، ط1، دار القلم، بيروت .

الشوكاني، محمد بن علي، (ت:1250هـ)،(1414هـ)، **فتح القدير**، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت .

الصابوني، محمد علي،(1417هـ/1997م)، **صفوة التفاسير**، ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة .

الصلابي، علي محمد محمد،(1422هـ/2001م)، **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، ط1،مكتبة الصحابة، الإمارات، ومكتبة التابعين، القاهرة .

الصلابي، علي محمد، (1429هـ/ 2008م)، **السيرة النبوية**، ط7، دار المعرفة، بيروت .

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، (ت:211هـ)،(1410هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض .

طبّارة، عفيف عبد الفتّاح، (1993م)، **روح الدين الإسلامي**، ط28، دار العلم للملايين، بيروت .

الطبري، محمد بن جرير، (ت:310هـ)،(1387هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط2، دار التراث، بيروت .

الطبري، محمد بن جرير، (ت:310هـ)،(1420هـ/2000م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة .

الطنطاوي، محمد سيّد، (1997م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة .

الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد، (ت:456هـ)،(1983م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية للنشر - بيروت .

ابن عادل الحنبلي، سراج الدين عمر بن علي، (ت:775هـ)،(1419هـ/1998م)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن عادل الحنبلي، سراج الدين عمر بن علي،(ت:775هـ)،(1419هـ/1998م)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت:1393هـ)،(1984هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس .

العاصي، رائد عبد الكريم،(2009م)، **القوة في القرآن الكريم**، نابلس، فلسطين، رسالة ماجستير.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (1996م)، **المعجم المفهرس لألفاظ القــران الكــريم**، دار الحديث، القاهرة .

عبد المحسن، عبد الرحمن محمد، (1417هــ)، **معالم أصول التربيــة الإســلامية**، ط28، **(مجلة الجامعة الإسلامية)**، المدينة المنورة .

ابن العثيمين، محمد بن صالح، (ت:1421هــــ)،(1421هــــ/2001م)، **القواعــد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، ط3، دار الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، (ت:852هــ)،(1415هــ)، **الإصــابة فــي تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن،(ت:542هــ)،(1422هــ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

الغزالي، محمد، (ت:1416هــ)،(1427هــ)، **فقه السيرة**، ط1، دار القلم، دمشق .

غوشة، عبد الله، الجهاد طريق النــصر، (1396هــــ/1976م)، **وزارة الأوقــاف والشؤون والمقدسات الإسلامية**، الأردن .

الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، (ت:350هــ)،(1424هــ/2003م)، **معجــم ديــوان العرب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، دار الشعب للصحافة، القاهرة .

ابن فارس، أحمد بن زكريا، (ت:395هــ)،(1995م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت .

أبو فارس، محمد عبد القادر،(1413هــ/1993م)، **المدرسة النبويــة العــسكرية**، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن .

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو، (ت:170هــ)،(د.ت)، **كتاب العين**، تحقيــق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (817هــــ)،(1426هــــ/2005م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب التراث فــي مؤســسة الرســالة، ط8، دار مؤسسة الرسالة، بيروت.

القادري، عبد الله بن أحمد، (1413هـ/1992م)، **الجهاد في سبيل الله غايته وحقيقته**، ط2، دار المنارة، جدة، السعودية .

القاسمي، محمد جمال الدين، (ت:1332هـ)،(1418هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف،(1430هـ)،(**الجهاد في الإسلام، مفهومه، وضوابطه، وأنواعه، وأهدافه، في ضوء الكتاب والسنة**) .

القرضاوي، يوسف،(1412هـ)، **الإيمان والحياة**، ط12، دار ومكتبة وهبة .

القرطبي، محمد بن احمد بن أبي بكر،(ت:671هـ)، (1384هـ/1964م)،**الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة .

القشيري، مسلم بن الحجاج، (ت:261هـ)،(د.ت)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

ابن القطاع، علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي، (ت:515هـ)،(1403هـ/1983م)، **الأفعال**، ط1، دار عالم الكتب .

قطب، سيّد، إبراهيم حسين، (ت:1385هـ)،(1412هـ/1992م)، **في ظلال القرآن**، ط17، دار الشروق، بيروت، القاهرة .

القنّوجي، محمد صديق خان، (ت:1307هـ)،(1412هـ/1992م)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، عُني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت.

القوجي، محمد بن مصلح الدين مصطفى، (ت:951هـ)،(1419هـ/1999م)، **حاشية محي الدين شيخ زادة**، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت:751هـ)،(1409هـ/1989م)، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ط3، دار ابن كثير، دمشق، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة .

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت:751هـ)،(د.ت)، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقهي، دار مكتبة المعارف، الرياض.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ)،(1398هـ/1978م)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار المعرفة، بيروت .

قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ)،(1415هـ/ 1994م)، **زاد المعاد في هدى خير العباد**، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت .

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ)،(1422هـ)، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق: سيّد إبراهيم، ط1، دار الحديث، القاهرة .

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ)،(د.ت)، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،(1416هـ/1996م)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت:774هـ)،(1408هـ/1988م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي الشهري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت:774هـ)،(1420هـ/ 1999م)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة .

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر المعروف بتاج القراء، (ت:505هـ)،(د.ت)، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.

الماوردي، علي بن محمد، (ت:450هـ)،(د.ت)، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

المباركفوري، صفي الرحمن، (ت:1427هـ)،(د.ت)، **الرحيق المختوم**،ط1، دار الهلال، بيروت. حرف الميم ...

المحمود، عبد الرحمن بن صالح،(1424هـ/2003م)، **الإيمان حقيقته وخوارمه ونواقضه**، ط1، دار مدار الوطن للنشر، الرياض .

المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت:1371هـ)،(1365هـ/ 1946م)، **تفسير المراغي**، ط1، دار مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر .

مصطفى، محمود السيّد حسن، (د.ت)، **الأعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، تقديم حسن عون، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير.

المقري، أحمد بن محمد بن علي،(ت:770هـ)،(د.ت)، **المصباح المنير**، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية للنشر.

المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت: 1031هـ)،(1410هـ/1990م)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط1، دار عالم الكتب، القاهرة .

المنجد، محمد صالح، (1430هـ/2009م)، **التوكل**، ط1، مجموعة زاد للنشر، السعودية.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري،(ت:711هـ)،(2007م)، **لسان العرب**، ط4، دار صادر، بيروت .

المولى، محمد جاد، (1973م)، **قصص القرآن**،ط3، دار الجيل، بيروت .

النّجار، محمد الطيب، (ت:1411هـ)،(د.ت)، **القول المبين في سيرة سيّد المرسلين**، دار النّدوة الجديدة، بيروت.

النّجار، محمد الطيب،(د.ت)، **تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة**، دار الاعتصام.

النّدوي، علي أبو الحسن، (ت:1420هـ)، السيرة النبوية، ط12، دار ابن كثير، دمشق، 1425هـ.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت:710هـ)،(1419هـ/1998م)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت .

نوفل، أحمد إسماعيل،(1987م)، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ط2، دار الفرقان، عمان،

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، (ت:850هـ)،(1416هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الهاشمي، محمد علي،(1983م)، **شخصية الرسول ودعوته في القرآن**، ط3، عالم الكتب، بيروت .

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيــوب، (ت:213هـــ)،(1375هـــ/1955م)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبيــاري، وعبــد الحفــيظ الشلبي، ط2، دار مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (ت:213هـــ)،(1375هـــ/1955م)، **الــسيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبيراي، وعبد الحفــيظ الــشلبي، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر .

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، (395هـ)،(1412هـ)، **معجــم الفــروق اللغوية**، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي .

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (ت:468هـ)،(1415هـ/1994م)، **الوســيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلــي محمــد معوض، وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

الواحدي، علي بن أحمد، (ت:468هـ)،(1415هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوود، ط1، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (ت:207هـ)،(1409هـــ/1989م)، **المغــازي**، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، دار الاعلمي، بيروت .

الوكيل، محمد السيّد، (1986م)،**القيادة والجندية فــي الإســلام**، ط1، دار الوفــاء، المنصورة، مصر.

الوكيل، محمد، (1994م)، **نظرات في أحسن القصص**، دار القلم، دمشق .

ملحق (أ)

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
ب	40	m l j i h g f e d c b a ` _ ^] M } | { z x w v u t s r q p o n L § ¦ ¥ ¤ £ ¢ وَمَن ~	النمل
1	26	+ *) (' & % $ # " ! M L 4 3 2 1 0 / . - ,	الأنفال
1	27	G F E D C B A @ ? > = M L Q P O N M K J I	إبراهيم
1	42	L q p o n m k j i h g f e d c M	فصلت
7	110	A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 M L K J I G F E D C B Y X W V U T S R Q P N M g e d c b ` _ ^] [Z s r q p o n m l k j i h L x w v u t	المائدة
8	265	*) (' & % $ # " ! M 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + L = < ; : 9 7	البقرة
9	87	£ ¢ وَءَاتَيْنَا عِيسَى } | { z y x w v M ± ° ¯ ® ¬ « جَآءَكُمْ © § ¦ ¥ ¤ L ¶ µ ´ 3 2	البقرة
10	26	+ *) (' & % $ # " ! M L 4 3 2 1 0 / . - ,	الأنفال
10	62	- , + *) ' & % $ # " ! M L .	الأنفال

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
10	35	Mقَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ L	القصص
11	13	\ [Z Y X W U T S R Q P OM j i g f e d c a ` _ ^] L o n m l k	آل عمران
11	13	\ [Z Y X W U T S R Q P OM j i g f e d c a ` _ ^] L o n m l k	آل عمران
11	14	M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى × مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ à نَحۡنُ â ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ ç è é ê ë فَأَيَّدۡنَا î ï عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ô L	الصف
12	265	*) (' & % $ # " ! M 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + L = < ; : 9 7	البقرة
13	147	M ¶ ¸ ¹ إِلَّآ » ¼ ½ ¾ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ L	آل عمران
13	66	. - , + *) (' & % $ # " ! M L = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 0 /	النساء
13	265	*) (' & % $ # " ! M 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + L = < ; : 9 7	البقرة
14	12	` _ ^] \ [Z YM K J I H G 8 7 l k j i h g f e d b a L q p o n m	الأنفال
15	28	- , *) (' & % $ # " ! M	الكهف

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		= < ; : 9 8 7 6 5 3 2 1 0 / . L A @ ? >	
17	153	L ﴿١٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ M	البقرة
18	65	L . - , + * (' & % $ # " ! M	مريم
18	65	Z Y X W V T S R Q P O M h g f e d c b a ` _ ^ \ [L k j i	الأنفال
18	66	y x w v u s r q p o n m l M ﴿٦٦﴾ © ¨ § ¥ ¤ £ ¢ مِّنكُمْ أَلْفٌ ~ } { z L	الأنفال
19	46—45	لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ ¾ ½ ¼ » M , * (' & % $ # " ! ﴿٤٥﴾ تُفْلِحُونَ L 0 / . -	الأنفال
19	249	, + *) (' & % $ # " ! M < ; : 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - J I H G F E D C B A @ > = V U T S R Q P O N L K L a ` _ ^ \ [Z Y X W	البقرة
19	249	, + *) (' & % $ # " ! M < ; : 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - J I H G F E D C B A @ > = V U T S R Q P O N L K L a ` _ ^ \ [Z Y X W	البقرة
19	250	k j i h g f e d c b M	البقرة

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		L q p o n m l	
20	251	z y x w v u t s r M ¦ ¥ ¤ £ ¢ وَلَوۡلَا ~ } | { L ° ¯ ® ¬ « ٱللَّهِ © ¨ §	البقرة
20	126	^] \ [Z X W V U T S R Q P O M L ` _	الأعراف
21	38	M ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ × لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ L	الحج
22	49	t s r q p o n m l j i h g f e M L { z y x v	هود
25	15	M مَن كَانَ × أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ à إِلَى â ثُمَّ لِيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ ç è é ê ë L	الحج
25	51	L @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 M	غافر
26	48	M وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ L	البقرة
26	93	L ^] \ [Z Y X W M	الشعراء
26	7	L ¯ ® ¬ « ٱللَّهَ © ¨ § ¦ ¥ M	محمد
26	160	Z Y X W V U T S Q P O N M L M L ` _ ^] \	آل عمران
26	40	; : 9 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - M G F E D C B A @ ? > = < L S R Q P O M L K J H	الحج
27	147	M ¶ ¸ ¹ إِلَّآ » ¼ ½ ¾ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ L	آل عمران

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
27	126	j i h g f e d b a ` _ ^] \ [Z M L l k	آل عمران
27	4	` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R M p o n m l k j i h g e d c b a L z y x w v u t s r	محمد
27	10	L D C B A @ ? M	القمر
27	22	- , + *) (' & % $ # " ! M 9 8 7 5 4 3 2 1 0 / . E D C B A @ > = < ; : W V U T S Q P O M L K J I G F L Y X	المجادلة
27	46	. - , * (' & % $ # " ! M L 0 /	الأنفال
27	1	L F E D C B A M	النصر
29	10	w v u t s r q p n m l k j M L | { z y x	القصص
30	14	½ ¼ » وَٱلۡأَرۡضِ ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° M L ﴿١٤﴾ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ¾	الكهف
30	11	M L K J I H G F E D C B M L X W V U T S R Q P O N	الأنفال
31	200	ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ¾ ½ ¼ M L ﴿٢٠٠﴾	آل عمران
31	60	µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « مَّا © ¨ M وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي ¾ ½ ¼ » دُونِهِمۡ ¹ ¸ ¶ L ﴿٦٠﴾ سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ	الأنفال

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الكهف	M ° ± 2 3 ´ µ ¶ ¸ 1 وَٱلۡأَرۡضِ » ¼ ½ ¾ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ L	14	31
الشورى	M B C D E F G I J K L M N P Q R S T U W X Y Z [L	24	32
التوبة	M u v w x y z { | } ~ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © إِنَّ « ¬ ¯ ° ± 2 3 ´ µ ¶ ¸ 1 ٱلَّذِينَ » ¼ ¾ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ L	40	32
البقرة	M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ L	153	32
الحديد	M ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < > ? @A B D E F G H L	4	32
النحل	M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ × مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ L	128	32
البقرة	M W X Y Z [\ ^ _ ` a b c d e f h i j k l m n o L	194	32
الشعراء	M * + - . / 0 1 L	62	32
الحديد	M ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < > ? @A B D E F G H L	4	33
المجادلة	M ! " # $ % & ' ( ) * + - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @A B CD E G H I J K L N O P Q R S L	7	34
النحل	M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ × مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ L	128	35
البقرة	M T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a b c	158	35

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		L o n m l k j i h f e d	
35	46	L ¶ µ ´ ³ ² ° ¯ ® M	طه
35	40	اْثَنَيْنِ إِذْ ~ }	{ z y x w v u M ° ¯ ¬ « إِنَّ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ¾ ¼ » ٱلَّذِينَ L ﴿٤٠﴾ حَكِيمٌ	التوبة
37	4	1 0 / . , + *) (' & % $ # " ! M E D B A @ ? > < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 L H G F	الحديد
37	7	3 2 1 0 / . - + *) (' & % $ # " ! M D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 L S R Q P O N L K J I H G E	المجادلة
37	40	اْثَنَيْنِ إِذْ ~ }	{ z y x w v u M ° ¯ ¬ « إِنَّ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ¾ ¼ » ٱلَّذِينَ L ﴿٤٠﴾ حَكِيمٌ	التوبة
38	51	L @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 M	غافر
38	158	c b a ` _ ^] \ Z Y X W V U T M L o n m l k j i h f e d	البقرة
38	194	c b a ` _ ^ \ [Z Y X W M L o n m l k j i h f e d	البقرة
38	128	L ﴿١٢٨﴾ مُّحۡسِنُونَ × إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ M	النحل

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
38	61	L) (' & % $ # " ! M	الشعراء
39	62	L 1 0 / . - , + * M	الشعراء
39	38	M ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ × لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨ L	الحج
40	13–9	*) (' & % $ # " ! M 8 7 6 4 3 2 1 0 / . - , + G F E D C B A @ ? > = ; : 9 S R Q P O N M L K J I H ` _ ^] \ [Z Y X W V U T l k j i h g f e d b a z y x v u t s r q p o n m L ۝١٣ ٱلۡعِقَابِ ~ } | {	الأنفال:
42	10	3 2 1 0 / . - M K J I H G 8 7 L A @ ? > = ; : 9 8 7 6 4	الأنفال
43	9	*) (' & % $ # " ! M L , +	الأنفال
45	12	f e d b a ` _ ^] \ [Z YM q p o n m l k j i h g L	الأنفال
45	26	+ *) (' & % $ # " ! M L 4 3 2 1 0 / . - ,	الأنفال
45	62	- , + *) ' & % $ # " ! M L .	الأنفال
46	40	ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ ~ } | { z y x w v u M ° ¯ ¬ « إِنَّ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢	التوبة

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		1 ¸ ¶ µ ´ 3 2 ± ٱلَّذِينَ » ¼ ¾ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ L	
46	22	M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > @ A B C D E F G I J K L M O P Q S T U V W X Y L	المجادلة
46	14	M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى × مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ à نَحۡنُ â ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ ç è é ê ë فَأَيَّدۡنَا î ï عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ô L	الصف
46	13	M O P Q R S T U W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e f g i j k l m n o L	آل عمران
47	17	M ! " # $ % ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 5 6 7 8 9 L	الأنفال
47	126	M Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i j k l L	آل عمران
47	13	M O P Q R S T U W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e f g i j k l m n o L	آل عمران
48	47	M m n o p q r s t u v w x y { | } ~ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ L	الروم
48	54	M 2 3 4 5 6 7 8 9 ; < = > ? A B C D E F G H I J K	الأنعام

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		L O N M L	
50	60	µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « مًا © ¨ M وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي ۚ ¾ ½ ¼ » دُونِهِمْ ¹ ¸ ¶ سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ L	الأنفال
51	60	¯ ® ¬ « مًا © ¨ M K J I H G 8 7 ¼ » دُونِهِمْ ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۚ ¾ ½ ﴿٦٠﴾ L	الأنفال
52	25	*) (' & % $ # " ! M 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + L ? > = < ; : 9	الحديد
53	60	µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « مًا © ¨ M وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي ۚ ¾ ½ ¼ » دُونِهِمْ ¹ ¸ ¶ سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ L	الأنفال
55	103	M L K J I H F E D C B A M Z Y X W V U T S R Q P O N L e d c b a ` _ ^ \ [	آل عمران
56	105	¤ £ ¢ ٱلْبَيِّنَٰتُ ~ } | { z y x w v M L ¦ ¥	آل عمران
56	159	X W V U T R Q P O N M L K J I M L] \ [Z Y	الأنعام
57	103	M L K J I H F E D C B A M Z Y X W V U T S R Q P O N L e d c b a ` _ ^ \ [	آل عمران
58	62،63	- , + *) ' & % $ # " ! M	الأنفال

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		< ; : 9 8 7 65 4 3 1 0 / . L E D C B @ ? > =	
59	46	. - , * (' & % $ # " ! M L 0 /	الأنفال
59	261	ZY X W V U T S R Q P O N M M L g f e d b a ` _] \ [	البقرة
60	195	ٱلۡمُحۡسِنِينَ ~ } | z x w v u t s r q p M L ١٩٥	البقرة
61	245	كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ ¾ ½ ¼ » قَرۡضًا 1 ¸ ¶ µ ´ M وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥ L	البقرة
61	274	µ ´ 3 2 ± ° ¯ ® ¬ M L ٢٧٤ ¾ ½ ¼ » خَوۡفٌ 1 ¸ ¶	البقرة
62	265	*) (' & % $ # " ! M 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + L = < ; : 9 7	البقرة
63	111	± ° ¯ ® ¬ « مِنَ © ¨ § ¦ M ٱلتَّوۡرَىٰةِ ¾ ½ ¼ » 1 ¸ ¶ µ ´ 3 وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ L	التوبة
63	11ــــ10	} | { z y x w v u t s r q p o M L ¬ « كُنتُمۡ © ¨ § ¦ ¤ £ ¢ فِي سَبِيلِ ~	الصف
64	13،12	¾ ¼ » فِي 1 ¸ ¶ µ ´ 3 2 ± ° ¯ ® M ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ L	الصف
64	60	µ ´ 3 2 ± ° ¯ ® ¬ « مَّا © ¨ M وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي ۚ ¾ ½ ¼ » دُونِهِمۡ 1 ¸ ¶	الأنفال

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ L		
الأنفال	M ¨ © مَّا « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ دُونِهِمۡ » ¼ ½ ¾ ﯾ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ L	60	65
الصف	M o p q r s t u v w x y z { | } ~ فِي سَبِيلِ ¢ £ ¤ ¦ § ¨ © كُنتُمۡ « ¬ L	11،10	66
محمد	M ¥ ¦ § ¨ © ٱللَّهُ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ L	8،7	67
التوبة	M n o p q r s u v x y z { | } ~ وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © أَنزَلَ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ﯾ » ¼ ½ ¾ ! " # $ % & ' ( ) + , - . L	27ـــــ25	68
الأنفال	M » ¼ ½ ¾ لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ L	45	69
النساء	M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A B C D E F G L	141	70
الصف	M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى × مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ à نَحۡنُ â ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ ç è é ê ë فَأَيَّدۡنَا î ï عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ô L	14	70
الأنفال	M » ¼ ½ ¾ لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ L	45	71
البقرة	M b c d e f g h i j k l m n o p q L	250	73

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
73	251	z y x w v u t s r M ¦ ¥ ¤ £ ¢ وَلَوۡلَا ~ } | { L ° ¯ ® ¬ « ٱللَّهِ © ¨ §	البقرة
75	152	L ﴿١٥٢﴾ وَلَا تَكۡفُرُونِ ¾ ½ ¼ » M	البقرة
76	49	w v t s r q p o n m l k M L ~ } | { z y x	الأنفال
77	173	Mٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ × ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ L	آل عمران
78	173	Mٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ × ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ L	آل عمران
78	3ـــ2	> = < ; : 9 8 7 5 4 3 2 1 0 M L E D C B @ ?	الأحزاب
79	25	Mوَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ L مريم: ٢٥	مريم
80	122ـــ121	Mوَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ! L . - , + * (' & % $ # "	آل عمران
81	160	Z Y X W V U T S Q P O N M L M L ` _ ^] \	آل عمران
82	7	L ¯ ® ¬ « ٱللَّهِ © ¨ § ¦ ¥ M	محمد
82	3	¤ ¢ ٱللَّهَ بَٰلِغُ ~ | { z y x w u t s r q M L ﴿٣﴾ © ¨ § ¦ ¥	الطلاق
82	8 ـــ7	3 2 ± ° ¯ ® ¬ « ٱللَّهِ © ¨ § ¦ ¥ M L ¶ µ ´	محمد
83	126	j i h g f e d b a ` _ ^] \ [Z M L l k	آل عمران

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الأنبياء	M§ ¨ © فَأَنجَيْنَٰهُمْ « ¬ ® ¯ ° L	9	84
الروم	M ! " $ % & ' ( ) * + , - L	6	85
الصافات	M ~ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © جُندَنَا « ¬ ® L	171 ـــــ 173	85
الأنعام	M ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ عَلَىٰ « ¼ ½ ¾ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ L	34	85
المجادلة	Mكَتَبَ ٱللَّهُ ç è é ë ٱللَّهَ قَوِىٌّ î ï L	21	86
يوسف	M ¦ § ¨ © وَظَنُّوٓا۟ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ µ ¶ ¸ ¹ ٱلْقَوْمِ » ¼ L	110	87
البقرة	M¤ ¥ ¦ § ¨ © يَأْتِكُم « ¬ ® ¯ ° ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ وَٱلَّذِينَ » ¼ ½ ¾ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ L	214	87
الحج	Mمَن كَانَ × أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ à إِلَى â ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ ç è é ê ë L	15	89
الروم	M m n o p q r s t u v w x y ~ { | } ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ L	47	89
الروم	Mفِى « ¬ ¯ ° ± ² ³ ´ ¶ ¸ ¹ ﴿٤﴾ » ¼ ¾ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ L	4 ــــ 5	90
آل عمران	MO P Q R S T U W X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e f g i j k l m n o L	13	90
محمد	MR S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e g h i j k l m n o p r s t u v w x y z L	4	90

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
91	51	M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L	غافر
91	47	M m n o p q r s t u v w x y { | } ~ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ L	الروم
92	35	7 8 G H I J K M ¼ ½ ¾ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ × ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ L	الأحقاف
94	7	M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L	الأحزاب
94	13	M I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a c d e f g h i j k l m n o p q r s L	الشورى
95	13—5	M ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © فَلَمۡ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ءَاذَانِهِمۡ » ¼ ½ ¾ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 L	نوح:
95	25	M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L	الأنبياء
96	27	M ¥ ¦ § ¨ قَوۡمِهِۦ© « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ ٱلرَّأۡيِ » ¼ ½ ¾ مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ L	هود
96	62—60	M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j L	الأعراف
96	32	M h i j k l m n o p q r s	هود

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
	L u t		
القمر	L > = < ; : 9 8 7 6 5 4 M	9	97
العنكبوت	M وَلَقَدۡ » ¼ ½ ¾ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ L	14	97
هود	M وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ × L	36	97
القمر	L D C B A@ ? M	10	98
الصافات	M وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ × 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! L : 9 8 7 6 5 4 3 2 1	75—81	98
هود	M وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ à ۤ â مُّغۡرَقُونَ ٣٧ L	37	99
القمر:	M E F G H I J K L M N O P QR S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a L	11—14	99
العنكبوت	7 8 G H I J K M ( ) * + , - . ׀ 0 1 2 3 4 5 6 L	16	101
النحل	M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L	120	101
مريم	M 7 8 9 : ; = < > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i L	41—44	102
مريم	M v w x y z { ׀ } ~ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ £ ¤ ¥ L	46	102
مريم	M ¦ § ¨ سَأَسۡتَغۡفِرُ « ¬ ׀ ¯ ° ± ² ³ L مريم: ٤٧	47	103

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
103	54ـــ52	¦ ¥ ¤ £ ¢ أَنتُمۡ لَهَا ~ } | { z y x w M L ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « قَالَ © ¨ §	الأنبياء:
104	23	0 / . - , + *) (' & % $ # " ! M L 6 5 4 3 2 1	الزخرف
105	70ـــ57	$ # " ! ﴿٥٧﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ M 1 0 / . - , + *) (' & % @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 L K J I H G F E D C B A V U T S R Q P O N M c b a ` _ ^] \ [Z Y X W n m l k j i h g f e d } | { y x w v u t s r q p o « بَرۡدًا © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ~ L µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬	الأنبياء:
106	59	L 2 1 0 / . - , + * M	الأنبياء
106	60،61	A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 M L C B	الأنبياء.
106	70ـــ62	O N M L K J I H G F E D M Z Y X W V U T S R Q P f e d c b a ` _ ^] \ [s r q p o n m l k j i h g حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ~ } | { y x w v u t ¯ ® ¬ « بَرۡدًا © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ L µ ´ ³ ² ± °	الأنبياء
107	68	L ¦ ¥ ¤ £ ¢ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ~ M	الأنبياء

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
107	69	L ¯ ® ¬ « بَرۡدٗا © ¨ § M	الأنبياء
108	99	L ﴿٩٩﴾ سَيَهۡدِينِ ¾ ½ ¼ » وَقَالَ M	الصافات
109	102—107	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ × مَاذَا تَرَىٰۚ M قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ â شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ç ! " # 1 0 / . , + *) (' & % $ L < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2	الصافات
110	40	N M L K J I H G F E D C B A @ M ^] \ [Y X W V U T S Q P O L e d c b a ` _	طه
111	4	فِرۡعَوۡنَ عَلَا ~ M ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © يُذَبِّحُ القصص: ٤ L ´ ³ ² ± ° ® ¬ «	القصص
111	6	+ *) (' & % $ # " ! M L - ,	القصص
111	4	فِرۡعَوۡنَ عَلَا ~ M ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © يُذَبِّحُ L ´ ³ ² ± ° ® ¬ «	القصص
112	38	S R Q P O N M L K J I H G M ` _ ^] \ [Z Y X W V U T L b a	القصص
112	24	L L K J I H M	النّازعات
113	7	< ; : 9 8 7 6 5 3 2 1 0 / . M L F E D C B A @ > =	القصص
113	9—8	Q P O M L K J I H G M ^ \ [Z Y X W V U T S R L i h g f e d c b a ` _	القصص
114	13	إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ¾ M	القصص

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ L	
114	14	L , + *) ' & % $ # " ! M	القصص
115	15	9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - M H G F E D C B A @ ? = < ; : L V U T S R P O N M L J I	القصص
115	16	L e d c b a _ ^] \ [Z Y X W M	القصص
116	19—18	} | { y x w v u t s r q p M ° ¯ ® ¬ « عَدُوٌّ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ~ مِنَ تَكُونَ أَن تُرِيدُ وَمَا ٱلۡأَرۡضِ ¾ ½ ¼ » إِلَّآ ¹ ¸ µ ´ ³ ² ± ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾ L	القصص
117	19	³ ² ± ° ¯ ® ¬ « عَدُوٌّ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ M ٱلۡمُصۡلِحِينَ مِنَ تَكُونَ أَن تُرِيدُ وَمَا ٱلۡأَرۡضِ ¾ ½ ¼ » إِلَّآ ¹ ¸ µ ´ ﴿١٩﴾ L	القصص
117	20	Mوَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ × ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ L	القصص
118	21	Mفَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ à نَجِّنِي â ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ L	القصص
118	25—23	9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - M I H F E D C B A ? > = ; : Y X W V U T S R Q P O N M L K J e d c b a ` _ ^] \ [Z v u t r q p o n m l k i h g f L x w	القصص
119	23	9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - M I H F E D C B A ? > = ; :	القصص

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		L K J	
120	26	L ¥ ¤ £ ¢ خَيْرَ مَنِ ~ ¦ | { z y M	القصص
121	129	¼ » عَسَىٰ ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ M وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ¾ ½ L ﴿١٢٩﴾	الأعراف
121	52	L ¾ ½ ¼ » أَسْرِ ¹ ¸ ¶ µ ´ M	الشعراء
121	53	M فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ L	الشعراء
121	56—54	M إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ L	الشعراء
122	64—60	) (' & % $ # " ! â مُّشْرِقِينَ à M : ¦ 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - + * L D C B A @ ? > = < ;	الشعراء
122	63	> = < ; : ¦ 8 7 6 5 4 3 2 M L @ ?	الشعراء
122	136	¤ £ ¢ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ~ } | { z y M L ¥	الأعراف
122	6—5	أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ¾ ½ ¼ » ٱلَّذِينَ ¹ ¸ ¶ µ M *) (' & % $ # " ! ﴿٥﴾ ٱلْوَٰرِثِينَ L - , +	القصص
123	141	Z Y ¦ W V U T S R Q P M L d c b a ` _ ^ ¦ \ [	الأعراف
123	49	*) (' & % $ # " ! M L 4 3 2 1 0 / . , +	البقرة
123	31—30	z y x w ¦ u t s r q p o n m l M	الدخان

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		L | {	
124	49	U T R Q P O NM L 1 4 K J I M b ` _ ^] \ [Z Y X W V o n m l k j h g f e d c L z y x w v u t s r p	آل عمران
124	30	L a ` _ ^] \ [Z Y M	مريم
125	45	M إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ L	آل عمران
125	21—16	O N M L K J I H G F E D C M] \ [Z Y X W V U T S R Q P l k j i h g f e d c b a ` _ ^ { z y x w v u t s r q p o n m « مَقْضِيًّا © ¨ ¦ ¥ ¤ £ ¢ هَيِّنٌ ~ } | L	مريم
126	22—20	{ z y x w v u t s r q p o n m M « مَقْضِيًّا © ¨ ¦ ¥ ¤ £ ¢ هَيِّنٌ ~ } | L ³ ² ± ° ¯ ® ¬	مريم
126	23	وَكُنتُ نَسْيًا ¾ ½ ¼ » قَالَتْ ¹ ¸ ¶ µ ´ M مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ L	مريم
127	24	Mفَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ L	مريم
127	26—24	Mفَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ *) (' & $ # " ! ﴿٢٥﴾ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا L 4 3 2 1 0 / . - , +	مريم
128	33—27	B A @ ? > = < ; : 8 7 6 5 M S R Q P N M L K J I H G F E DC	مريم

<table>
<tr><th>الصفحة</th><th>رقم الآية</th><th>الآية</th><th>السورة</th></tr>
<tr><td></td><td></td><td>b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T
p o n m l k j i h g f ed c
~ } | { z y x w v u t s r q
L</td><td></td></tr>
<tr><td>129</td><td>33—30</td><td>f ed c b a ` _ ^] \ [Z Y M
s r q p o n m l k j i h g
L ~ } | { z y x w v u t</td><td>مريم</td></tr>
<tr><td>129</td><td>33—31</td><td>n m l k j i h g f ed c b M
{ z y x w v u t s r q p o
L ~ } |</td><td>مريم</td></tr>
<tr><td>129</td><td>46</td><td>/ . , + *) (' & % $ # " ! M
L < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0</td><td>المائدة</td></tr>
<tr><td>129</td><td>6</td><td>1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! M
L A @ ? > = < ; : 8 7 6 5 4 3 2</td><td>الصف</td></tr>
<tr><td>129</td><td>72</td><td>C B A ? > = < ; : 9 8 7 6 M
R Q P O N M L K J H G F E D
L Z Y X W V T S</td><td>المائدة</td></tr>
<tr><td>130</td><td>49</td><td>W V U T R Q P O NM L K J I M
c b ` _ ^] \ [Z Y X
r p o n m l k j h g f e d
L z y x w v u t s</td><td>آل عمران</td></tr>
<tr><td>130</td><td>53—52</td><td>M ½ ¾ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ
نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ! " # $
% & ' ( ) * L</td><td>آل عمران</td></tr>
<tr><td>131</td><td>155</td><td>, + *) (' & % $ # " ! M</td><td></td></tr>
</table>

<table>
<tr><th>الصفحة</th><th>رقم الآية</th><th>الآية</th><th>السورة</th></tr>
<tr><td></td><td>158—</td><td>; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . -
J I H G F E D C B A @ ? > = <
^] \ [Z Y W V U T S R Q O N M L K
L o n m l k j i h g f e d c b a ` _</td><td>النساء</td></tr>
<tr><td>131</td><td>55</td><td>> = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 M
K J I H G F E D C B A @ ?
L R Q P O N M L</td><td>آل عمران</td></tr>
<tr><td>132</td><td>—157
158</td><td>M L K J I H G F E D C B A @ M
c b a ` _ ^] \ [Z Y W V U T S R Q O N
L o n m l k j i h g f e d</td><td>النساء</td></tr>
<tr><td>132</td><td>54</td><td>L 2 1 0 / . - , + M</td><td>آل عمران</td></tr>
<tr><td>133</td><td>1</td><td>+ *) (' & % $ # " ! M
L 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - ,</td><td>الإسراء</td></tr>
<tr><td>134</td><td>18</td><td>L | { z y x w v M</td><td>النجم</td></tr>
<tr><td>135</td><td>39—38</td><td>/ . - , + *) (' & % $ # " ! M
< ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0
L @ ? > =</td><td>هود</td></tr>
<tr><td>135</td><td>30</td><td>L E D C B A @ ? > = < ; : 9 M</td><td>يس</td></tr>
<tr><td>13513
5</td><td>34</td><td>وَلَا نَصۡرُنَاۚ أَتَىٰهُمۡ ¾ ½ ¼ » عَلَىٰ ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ M
L (٣٤) مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ</td><td>الأنعام</td></tr>
<tr><td>135</td><td>11</td><td>L (١١) ~ } | { z y x w M</td><td>الحجر</td></tr>
<tr><td>135</td><td>41</td><td>l k j i h g f e d c b a M
L n m</td><td>الأنبياء</td></tr>
<tr><td>135</td><td>106</td><td>L ¯ ® ¬ « وَٱتَّخَذُوٓاْ © ¨ § ¦ ¥ M</td><td>الكهف</td></tr>
</table>

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
135	41	L ﴿٤١﴾ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ رَأَوۡكَ إِن ~ M	الفرقان
136	7	L | { z y x w v u t M	الزخرف
136	95	L 8 7 6 5 M	الحِجر
137	30	l k i h g f e d c b a ` M L r q p o m	الأنفال
137	60	H G F E D C B A ? > = < ; : 9 M L T S R Q P O N L K J I	الإسراء
138	67	Z X W V U T S Q P O N M L K J I M L e d c b a ` _] \ [	المائدة
138	56	L L K J I H G F E D M	العنكبوت
138	80	f e d c b a ` _ ^] \ [Z M L h g	الإسراء
139	40	ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ ~ } | { z y x w v u M ° ¯ ¬ « إِنَّ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ 1 ¸ ¶ µ ´ 3 2 ± ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ¾ ¼ » ٱلَّذِينَ L ﴿٤٠﴾ حَكِيمٌ	التوبة
141	13ـــ7	¢ غَيۡرَ ذَاتِ ~ } | { z y x w v M ° ¯ ® ¬ « بِكَلِمَٰتِهِۦ © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ $ # " ! ¸ ¶ µ ´ 3 2 ± 1 0 / . - , + *) (' & % B A @ ? > = ; : 9 8 7 6 4 3 2 N M L K J I H G F E D C [Z Y X W V U T S R Q P O h g f e d b a ` _ ^] \	الأنفال

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
	s r q p o n m l k j i L (١٣) ٱلۡعِقَابِ ~ } | { z y x v u t		
الأنفال	M L K J I H G F E D C B M L X W V U T S R Q P O N	11	144
الأنفال	w v u t s q p o n m l M L £ ¢ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ~ | { z y x	43	145
الأنفال	¯ ® ¬ « قَلِيلًا © ¨ § ¦ ¥ ¤ M L (٤٤) ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± °	44	145
آل عمران	\ [Z Y X W U T S R Q P O M j i g f e d c a ` _ ^] L o n m l k	13	146
الأنفال	y x w v u s r q p o n m l M (٦٦) © ¨ § ¥ ¤ £ ¢ مِّنكُمۡ أَلۡفٌ ~ } { z L	66	146
الأنفال	¯ ® ¬ « قَلِيلًا © ¨ § ¦ ¥ ¤ M L (٤٤) ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± °	44	146
الأنفال:	*) (' & % $ # " ! M 8 7 6 4 3 2 1 0 / . - , + L A @ ? > = ; : 9	10—9	147
القمر	L (٤٥) سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ M	45	147
آل عمران	R Q P O N M K J I H G F E D C M ` _ ^ | \ [Z Y X W V U S L a	144	152
آل عمران	£ ¢ عَلَىٰٓ أَحَدٖ ~ } | { z M ¯ ® ¬ « تَحۡزَنُواْ © ¨ § ¦ ¥ ¤	153	153

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
	L ¸ ¶ µ ´ ³ ± °		
آل عمران	. - , + *) (' & % $ # " ! M < ; : 9 8 6 5 4 3 2 1 0 / P O N L K J I H G F D C B A @ > = a ` _ ^] \ [Z Y W V U T S R Q p n m l k j i h g f d c b L t s r q	154	153
آل عمران	q p o n m l k j i h g f M L s r	137	154
آل عمران	L ¥ ¤ £ ¢ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ~ } | { M	139	154
آل عمران	³ ² ± ° ® ¬ « مَسَّ © ¨ § ¦ M لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ ¾ ¼ » وَيَتَّخِذَ ¹ ¸ ¶ µ ´ L	140	156
النّساء	¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ٱلۡقَوۡمِۖ ~ } | { M L ¶ µ ´ ³ ² ° ¯ ® ¬ « وَتَرۡجُونَ	104	156
الأحزاب	` _ ^] \ [Z Y X W V U M L e d c b a	10	158
الأحزاب	J I H G F E D C B A @ ? > M Y X W V U T S R Q P O M L K d c b a ` _ ^] \ [Z L l k j i h g f e	11-9	161
الأحزاب	W V T S R Q O N M L K J I H M L Z Y X	25	161
التوبة	y x v u s r q p o n M ¤ £ ¢ وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ~ } | { z	27—25	163

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
		² ± ° ¯ ® ¬ « ©أَنزَلَ ¨ § ¦ ¥ ! ¾ ½ ¼ » ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ L . - , +) (' & % $ # "	
166	26	µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ©أَنزَلَ M L ¾ ½ ¼ » ¹ ¸ ¶	التوبة

ملحق (ب)

فهرس الأحاديث

رقم الحديث	طرف الحديث	الصفحة
1	"أن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله"	9
2	"يا غُلام ألا أُعلمك كلمات ينفعك الله بهنّ؟" فقلتُ: بلى، فقال: "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدّة، وإذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كُلّهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، واعلم أنّ في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأنّ النّصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يُسرى"	21
3	"أنصر أخاك ظالما أو مظلوما"	23
4	"من الرِّباط انتظارُ الصّلاة"	31
5	"أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي..."	35
6	مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"	37
7	«اللَّهُمَّ أَنْجِزَ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»	40
8	"لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"	42
9	"صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة"	43
10	"هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ"	43
11	"إني لأتبع رجُلا من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفتُ أنه قد قتله غيري"	43
12	" أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ " قَالَهَا ثَلَاثًا	51
13	"ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان". قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما لكم لا ترمون". قالوا كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "ارموا فأنا معكم كلكم"	52
14	"مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله"	61

رقم الحديث	طرف الحديث	الصفحة
15	"إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إلـيكم". فهزموهم أي هزم المسلمون المشركين، قال فأنا والله رأيت النساء يُشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم، الغنيمة ! ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله ابن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، أي المسلمون)	69
16	"اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"	73
17	"ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: "ذكر الله"	73
18	"اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".فلما سُل عن ذلك، قال: "إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"	74
19	"اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ"	74
20	"اللهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، وَبِكَ أُقَاتِلُ"	74
21	"اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم"	74
22	حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار.	77
23	ظاهر بين درعين يوم أحد"	79
24	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر"	79
25	"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"	87
26	يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سمّاك الله عبدا شكورا..."	94

رقم الحديث	طرف الحديث	الصفحة
27	"لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسطًا، فَيَكْسرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"	132
28	"رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ"	138
29	"اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ" فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك.	147
30	"لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا"	151
31	"احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلا تُشْرِكُونَا"	151
32	"اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة"	157
33	"اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة"	157
34	"اللهم مُنزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"	160
35	"أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب"	166
36	"شاهت الوجوه"	166
37	"انهزموا ورب محمد"	166

ملحق (ج)

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	تعريفه	الصفحة
1	الشافعي:	جلال الدين السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الطولوني المصري ، عالم مشارك في أنواع العلوم، له كثير من المؤلفات منها الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، والمزهر في اللغة، والجامع الصغير في الحديث، ت:911هـ.	13
2	أبو العباس:	عبد الله ابن عباس: هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، دعا له الرسول بالفقه في الدين وتعليمه التأويل، (توفي: سنة 68هـ).	92
3	مدين:	اسم لقبيلة نبي الله شعيب، وتقع بين وادي القرى والشام، وقيل بين المدينة والشام بجوار تبوك.	118
4	هوازن:	هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، بن قيس بن علان قبيلة مشهورة في العرب، منهم بنو سعد الذين استرضع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم.	162
5	ثقيف:	هم بنو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة، وثقيف اسمه قُسي، وهم قبيلة مشهورة منهم الحجاج.	162
6	العباس بن عبد المطلب بن هاشم:	يُكنى أبى الفضل، وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وصنوا أبيه، ولد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين، ومات في المدينة في رجب أو رمضان سنة (32هـ)، وكان طويلا جميلا أبيض.	162
7	مالك بن عوف:	هو مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصري، من بكر بن هوازن، كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، شهد القادسية وفتح دمشق.	165
8	الخواص:	هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخوّاص، له في التوكل والرياضيات حظ كبير، ت:291هـ، انظر: الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيري، ج1، ص104.	17
9	الزجاج:	الإمام أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد السري الزجاج البغدادي نحوي زمانه، مصنف كتاب (معاني القرآن)، وله تأليف جمة منها (الإنسان وأعضائه)، وكتاب(الفرس)، وكتاب(العروض)، وكتاب(الاشتقاق)، وكتاب(النوادر)، انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي، ج11، ص222.	8

10	الثعالبي	هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، مفسر، فقيه، صوفي، متكلم، له تصانيف منها: الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز، وقطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين، ونفايس المرجان في قصص القرآن، ت: 875هـ، انظر: معجم المؤلفين لعمر كحالة، ج5، ص192.	17

ملحق (د)
فهرس الأبيات الشّعريّة

فهرس الأبيات الشّعريّة

الاسم	البيت الشعري	الصفحة
قال الأخطل	تموتُ طَوراً وتحيا في أَسِرّتِها كما تُقَلّبُ في الرُّبْطِ المَراويدُ	28
قال الأخطل	ما زال فينا رِباطُ الخيلِ مُعْلَمَةً وفي كُلْيب رِباطُ اللُّؤْمِ والعارِ	28
ورد في كتاب المستطرف للأبشيهي	توكل على الرحمن في كل حاجة ولا تؤثرنّ العجز يوما على الطلب ألم تر أن الله قـــــال لمريـــم وهزي إليك الجذع تساقط الرطب ولو شاء أدناه لها من غير هزة إليها ولكن كل شيء لهُ سبـــــــب	80

المعلومات الشخصية

الاسم: محمد جمال الخرشة

الكلية: الشريعة

التخصص: ماجستير أصول الدين

السنة: 2013

هاتف رقم: 0796461759

البريد الإلكتروني: mohammad_2773@yahoo.com